

الصحيح

من سيرة النبي الأعظم (ص)

المؤلف: المصنف المحدث
السيد محمد باقر المجلسي

أجزاء الثمانية

كتاب السيرة

كتاب السيرة



Baruch's Museum

الصَّحِيحُ
مِنْ سَيَرَةِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ (ص)

الصَّحِيحُ

مِنْ سَيِّرَةِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ (ص)

الْعَلَامَةُ الْمُحَقِّقُ
الْمُسْتَنَادُ جَعْفَرُ مُقَرَّبِ الْقَائِمِ

الجزء التاسع

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرابعة
١٤١٦م - ١٩٩٥م

دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٤٥ - تليكس: MCSF-٧٧٧ - ٢٤٥٩٧ بلاغ.
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ - غبيري - بيروت - لبنان.



شارع الشهادة - بيروت لبنان - ص.ب: ٢٥/٤٩

القسم الرابع

من الخندق إلى فتح مكة

الباب الأول:

غزوة الخندق

القسم الخامس: من الخندق، الى فتح مكة ٩

آيات حول غزوة الخندق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ، مَسْتَهْمِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ، وَزَلْزَلُوا، حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ: مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودُ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ، وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ، وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ، يَقُولُونَ: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا. وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا، ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ

١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

لأتوها، وما تلبثوا بها إلا يسيراً.

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، وكان عهد الله مسؤولاً. قل: لن يتفعلكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل، وإذا لا تمتعون إلا قليلاً. قل: من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم رحمة، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً.

قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم: هلم إلينا. ولا يأتون الباس إلا قليلاً. أشحّة عليكم، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم، كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد، أشحّة على الخير، أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيراً. يحسبون الأحزاب لم يذهبوا، وإن يأت الأحزاب يوّدوا لو أنهم بادون في الأعراب، يسألون عن أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً.

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيراً.

ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً. ليجزي الله الصادقين بصدقهم، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم، إن الله كان غفوراً رحيماً.

وردّ الله الذين كفروا بغيظهم، لم ينالوا خيراً. وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

القسم الخامس: من الخندق، الى فتح مكة ١١.

وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم، وقذف
في قلوبهم الرعب، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً. وأورثكم أرضهم
وديارهم، وأموالهم، وأرضاً لم تطؤوها. وكان الله على كل شيء
قديرًا^(١).

القسم الخامس: من الخندق، الى فتح مكة ١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين.
إياك نعبد وإياك نستعين. إهدنا الصراط المستقيم.
والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، وبعد.
فان حديثنا في هذا الجزء سيكون - إن شاء الله - عن غزوة
الأحزاب: «الخندق». وهي الغزوة التي سميت سورة قرآنية باسمها،
بسبب أهميتها البالغة.

وحيث إن الحديث عن هذه الغزوة سوف يتخذ منحى تحقيقياً
وتتبعيةً، بالإضافة إلى وقفات تحليلية سريعة ومقتضبة، ومتناثرة هنا
وهناك، فسيكون من الصعب على القارئ لملمة أطراف الحديث،
وجمع شتات المطالب، وربط بعضها ببعض ولو في حدود الخطوط
العامة للحدث. ولأجل ذلك رأينا أن نذكر نصاً مختصراً لهذه الغزوة،
يكاد يقتصر على عناوينها العامة.

فنعول:

موجز عن غزوة الخندق:

إنه في السنة الرابعة - كما هو الأقوى - أو في الخامسة - سار

١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

عدد من اليهود إلى مكة واستنفروا أهلها لقتال النبي (ص)، واستئصال المسلمين. واتصلوا أيضاً بقبيلة غطفان، وقبائل عربية أخرى، وحرصوهم على حرب محمد، ووعدوهم بالأموال. فساروا وهم ألوف كثيرة إلى المدينة لانجاز هذا المهم.

فبلغ النبي (ص) خبرهم، فحفر خندقاً حول المدينة من الجهة المكشوفة منها. وجعل للخندق أبواباً، وجعل على الأبواب حرساً.

وقد شارك النبي (ص) بنفسه في حفر الخندق، وظهرت له صلى الله عليه وآله حينئذ كرامات ومعجزات، سندكرها في الموضع المناسب إن شاء الله تعالى.

وقد عسكر صلى الله عليه وآله إلى جنب جبل سلع، وجعل الخندق بينه وبين الأحزاب. وجعل النساء والصبيان في بعض حصون المدينة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. وكان لواء النبي (ص) مع علي عليه السلام.

ولما وافى الأحزاب فوجئوا بالخندق. ونزلوا في الجهة الأخرى منه. وحاصروا المسلمين.

وذهب حيي بن اخطب اليهودي إلى بني قريظة، ولم يزل بهم حتى نقضوا العهد مع المسلمين.

فلما بلغ النبي (ص) ذلك أرسل إليهم من يتثبت له الأمر، فرجعوا إليه وأخبروه بأن ما بلغه صحيح. فاشتد الأمر على المسلمين وضائق عليهم الأرض بما رحبت. وعظم البلاء، ونجم النفاق، وكثر الخوض. وبلغت القلوب الحناجر. وقال المنافقون والذين في قلوبهم

القسم الخامس: من الخندق، الى فتح مكة ١٥
مرض: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله بالليل يحرسهم، فان تحرك أحد من قريش نابذهم. وكان النبي (ص) يحرس بنفسه بعض مواضع الخندق.

ولم يكن بين المسلمين والمشركين قتال إلا الرمي بالنبل والحصا. وكان المشركون يتناوبون على الخندق، فلا يمكنهم عبوره، والمسلمون يمنعونهم بالنبل والحجارة.

وأصيب يومئذ سعد بن معاذ رحمه الله بسهم، رماه به حبان بن العرقة. وقيل: رماه به أبو أسامة الجشمي، أو خفاجة بن عاصم.

فجعل سعد رحمه الله في خيمة رفيدة، التي كانت تداوي فيها الجرحى. ويبدو أن جماعات من المسلمين قد تركوا النبي (ص) وفروا، واختبأوا في حديقة هناك وفيهم عمر بن الخطاب وطلحة، وقد كشفت عائشة أمرهم، وذلك بعد إصابة سعد بن معاذ.

كما أن النصوص تؤكد على أن النبي (ص) قد بقي في ثلاث مئة من المسلمين، بل في نص آخر: أنه لم يبق مع النبي (ص) سوى اثني عشر رجلاً فقط.

وقد تحدثت الآيات القرآنية عن هؤلاء الفارين، فراجع سورة الأحزاب.

ومهما يكن من أمر، فقد انتدب فوارس من المشركين فأتوا مكاناً ضيقاً من الخندق، وأكروها خيلهم على عبوره، فعبره عكرمة بن أبي جهل، وعمر بن عبد ود، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب، وحسل بن عمرو بن عبد ود، ونوفل بن عبد الله المخزومي.

١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

فخرج أمير المؤمنين في نفر من المسلمين، حتى أخذوا عليهم
الشرعة التي اقتحموها وطلب عمرو بن عبد ود البراز فلم يبرز إليه أحد
من المسلمين، وخافوا منه خوفاً شديداً، لما يعرفون من شجاعته
وفروسيته، وكان يعد بالف فارس. وطلب علي من النبي أن يأذن له
بمبارزته فلم يأذن له.

فكرر النداء، وأنشد الشعر، وعيّر المسلمين المحجمين عنه،
فطلب علي الإذن مرة أخرى فلم يأذن له الرسول.

فلما كان في المرة الثالثة، ولم يبادر إلى ذلك سوى علي عليه
السلام أذن له النبي (ص) وعممه ودعا له، وقال: برز الإيمان كله إلى
الشرك كله. فبارزه علي عليه السلام فقتله. وقتل ولده حسلاً، ونوفل
بن عبد الله، وفر الباقون. فقال صلى الله عليه وآله: ضربة علي يوم
الخنندق تعدل (أو أفضل من) عبادة الثقلين إلى يوم القيامة.

وزعمت بعض الروايات: أن الذي قتل نوفلاً هو الزبير، وسيأتي
الاشكال في ذلك.

وتزعم بعض الروايات أن نعيم بن مسعود قد ساهم في أحداث
الفتنة بين بني قريظة وبين المشركين. ولكن الظاهر هو أن النبي (ص)
هو الذي القى فيما بينهم بذور الخلاف والشك كما سنوضحه.

ثم أرسل الله سبحانه الريح على المشركين فكانت تكفأ
قدورهم، وتطرح خيامهم، وتعبث بكل ما يحيط بهم، وقذف الله في
قلوبهم الرعب، فعادوا بالخزي والخيبة، والرعب يلاحقهم، وكفى الله
المؤمنين القتال.

القسم الخامس: من الخندق، الى فتح مكة ١٧.

وقال النبي (ص) حينئذٍ الآن نغزوهم ولا يغزوننا، فكان كما قال.. وفي هذا الجزء تجد التفصيل لكل ذلك، مع بعض التحقيق، والتكذيب والتصديق، والتعديل والتحليل، حسبما يقتضيه المقام فإلى ما يلي من مطالب وفصول.

الفصل الأول:

الأحزاب إلى المدينة

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٢١

تمهيد وبيان

لقد كان لتوالي الحروب في المنطقة فيما بين المسلمين من جهة، وبين أعدائهم من اليهود والمشركين ومن تبعهم من جهة أخرى، وانشغال المسلمين الدائم بهذه الحروب تأثير قوي على حالة المسلمين الاقتصادية، حيث اختلت الحياة التجارية، والحرفية، وظهرت عوارض خطيرة فيما يختص بالشأن الزراعي، حيث كانت الزراعة بمثابة العمود الفقري للاقتصاد بالنسبة لأهل المدينة على الخصوص.

وقد بدأت بوادر الحاجة الملحة في النواحي المعيشية، وشحة المواد الغذائية تظهر بصورة وبأخرى في هذا المجتمع الإسلامي الصغير الناشيء، والمحاط بالاعداء، والمستهدف بالشر والسوء من كل ناحية ومكان.

وبعد أن خاض المسلمون عدة حروب، ومرّوا بأزمات كثيرة في أكثر من اتجاه، وبعد كسر شوكة بني النضير، وكشف خياناتهم، وافشال مؤامراتهم. وبعد غزوة ذات الرقاع وغيرها.. جاء تأجيل المشركين للحرب في بدر الموعد بسبب رعبهم وخوفهم، ثم استفادة المسلمين تجارياً من سوق بدر بهذه المناسبة أمراً يبعث على الارتياح، ويشير البهجة والأمل، والشعور لديهم بإمكانية تحسن

٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الأوضاع المعيشية، حيث يتوفر الوقت الكافي لاعادة تنظيم مواسمهم الزراعية، والانتعاش اقتصادياً في مجالات أخرى من حرفية، وتجارية وغيرها في أجواء يهيمن عليها السلام والأمن، والطمأنينة النسبية.

هذا بالإضافة إلى توفر الوقت لمواجهة المشكلات التي خلفتها الحروب السابقة، فردية كانت أو اجتماعية، ومحاولة وضع الحلول المناسبة لها، أو التخفيف من وطأتها وعسى ولعل يمكنهم أيضاً ترتيب العلاقات بمن يحيطون بهم في المنطقة بصورة أكثر حميمية وصفاءً، وصياغتها بصورة أكثر قوة وثباتاً عنها من ذي قبل.

ثم انهم بعد وفوق كل ذلك يصبحون أقدر على ممارسة دور الإعلام المركز والهادىء للدعوة الالهية التي يحملونها، ويقومون بواجبهم في نشرها، لتقوم على اسس متينة ورصينة من القنوات العقلية والوجدانية، ولتثمر من ثم حياة في الفكر، ويقظة في الضمير، ومسؤولية وطهرأ في الوجدان.

فجاءت حرب الأحزاب المفاجئة لتبدد كل هذه الآمال، ولتزيد من قسوة الظروف، ومرارة المعاناة، ولتكون الكابوس المخيف، والمخيف جداً. خصوصاً بما تميزت به من حشد بشري هائل، واعداد واستعداد لم تعرفه المنطقة من قبل. مع هذا الإجماع المستقطب تقريباً على العداء لهم من مختلف القبائل والديانات والشعوب التي تعيش في المنطقة. يصاحبه إطمينان إلى التعاطف والتأييد من كل الآخرين، من أي الديانات، أو الفئات كانوا، في جزيرة العرب، أو في خارجها.

ثم ان حركة الأحزاب قد جاءت محرجة للمسلمين إلى درجة كبيرة وخطيرة من الناحية العسكرية والاستراتيجية الحربية، لأنها

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٢٣

اتخذت صفة هجوم شامل عليهم، من مختلف المواضع والمواقع؛ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم.

يقابل ذلك ضعف ظاهر لدى المسلمين، في العدة وفي العدد واختراق خطير من قبل الاعداء لصفوف أهل الإيمان، من خلال قوى النفاق التي كانت تتغلغل داخل جسم هذا المجتمع الاسلامي الصغير والناشيء.

هذا كله بالاضافة إلى المشاكل المعيشية، والحياتية على مستوى الفرد والجماعة. سواء تلك المشاكل الناشئة عن الحروب والمواجهات مع الاعداء، أو المشاكل التي تنشأ عادة من صياغة حياة إجتماعية لفئات تعاني أصلاً من تناقضات كثيرة فيما بينها، بسبب اختلافها في مستوياتها وفي حالاتها الطبيعية والعارضة، وبسبب وجود الكثير مما هو من مخلفات الجاهلية الرعناء.

ولا ننسى هنا الإشارة إلى ضعف تأثير العامل القبلي لدى الفريق الاسلامي، لأن المسلمين كانوا لا يشكلون تياراً قبلياً زائحاً وهادراً ذا لون واحد، لأنهم عبارة عن مجموعات صغيرة من قبائل شتى، فيبقى الشعور والعصبية للقبيلة هو العامل الاضعف تأثيراً على صعيد رصف الصف، وتقوية البنية، وتأكيد اللحمة الداخلية. وإنما الحالة الايمانية والدينية وحدها هي التي توحدهم، وتشد من أزهم، وتشحذ فيهم الهمم، وتبعث فيهم روح الاباء والشمم. وقد كانت هذه الروح في بدايات تكوينها لدى الكثيرين منهم فلم تكن مؤهلة للصمود كثيراً وطويلاً في المواضع الصعبة والخطيرة.

وأخيراً.. نشير إلى أن تحزيب الأحزاب قد انطلق من خلال قناعة تامة، ومن شعور اكيد بأن قوة المسلمين قد بلغت حداً لم يعد

٢٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
يمكن القضاء عليها إلا بحشد كامل وشامل لكل القدرات والقوى
المادية والمعنوية على مستوى المنطقة بأسرها. وهذا ما حصل
بالفعل، كما سنرى. ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

تحزيب الأحزاب في روايات المؤرخين

لقد ذكر المؤرخون - والنص في اكثره للواقدي - أنه لما أجلى
النبي (ص) يهود بني النضير، ساروا إلى خيبر. وكان بها من اليهود
قوم أهل عدد وجلد (وليست لهم من البيوت والأحساب ما لبني
النضير). فخرج عدد من اليهود، بعضهم من بني وائل. والباقون من
بني النضير، وهم بضعة عشر رجلاً، أو حوالي عشرين، خرجوا إلى
مكة يدعون قريشاً واتباعها إلى حرب محمد (ص). وكان ذلك في
السنة الرابعة، أو الخامسة أو السادسة للهجرة.

وهؤلاء هم: - كما ورد في النصوص المختلفة - حيي بن
أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن الحقيق، وهوذة
بن قيس الوائلي (أو الوالبي كما في الارشاد) وهو أوسي من بني
خطمة، وأبو عامر الراهب أو أبو عمار، - الوائلي - أو أبو عمار
الوالبي، كما عند المفيد في نفر من بني والبة.

وزاد البعض: سلام بن مسلم. (وأضاف آخر: حوج بن عامر،
وأبا رافع، والربيع بن أبي الحقيق^(١)).

(١) راجع: جامع البيان ج ٥ ص ٨٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥١٣،
وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٨ فقد ذكر أبا عمار وحوج بن
عمرو.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٢٥

(وأضاف غيره سلام بن أبي الحقيق، لكن عند ابن الأثير: عبد الله بن سلام بن أبي الحقيق).

قال المفيد: «فصاروا إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته لرسول الله، وتسرع له لقتاله. فذكروا له ما نالهم منه. وسألوه المعونة على قتاله. فقال: إنا لكم حيث تحبون، فاخرجوا إلى قريش، فادعوهم إلى حربه، واضمنوا النصر لهم، والثبوت معهم حتى تستأصلوه. فطافوا على وجوه قريش، ودعوهم إلى حرب النبي».

ويستمر الواقدي وغيره فيقولون: فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمداً.

أو قالوا: سنكون معكم عليه، حتى نستأصله ومن معه.

قال أبو سفيان: هذا الذي أقدمكم ونزعكم؟.

قالوا: نعم. جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله.

قال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد. زاد في نص آخر قوله: «ولكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا، حتى نطمئن إليكم. ففعلوا^(١)».

قال النفر: فأخرج خمسين رجلاً من بطون قريش كلها، أنت فيهم، وندخل نحن وأنت بين أستار الكعبة، حتى نلصق أكبادنا بها، ثم نحلف بالله جميعاً: لا يخذل بعضنا بعضاً، ولتكون كلمتنا واحدة على هذا الرجل، ما بقي منا رجل.

(١) ويقال: إن ذلك أيضاً قد كان في مرة سابقة، وذلك حين جاء كعب بن الأشرف ومن معه، يطلبون منهم المسير إلى حرب محمد (ص) والمسلمين. وربما يكون ذلك قد حصل مرة واحدة، لكن الأمر قد اشتبه على الرواة. والله هو العالم بحقيقة الحال.

٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ففعّلوا، فتحالفوا على ذلك، وتعاقدوا.

ثم قالت قريش بعضها لبعض: قد جاءكم رؤساء أهل يثرب، وأهل العلم والكتاب الأول؛ فسلوهم عما نحن عليه ومحمد: أينما أهدى؟!

قالت قريش: نعم.

فقال أبو سفيان: يا معشر اليهود، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا فيه نحن ومحمد، ديننا خير أم دين محمد؟! فنحن عمار البيت، وننحر الكوم، (أي الناقة عالية السنام). ونسقي الحجيح، ونعبد الاصنام.

قالوا: اللهم أنتم أولى بالحق، انكم لتعظمون هذا البيت، وتقومون على السقاية، وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آبائكم، فأنتم أولى بالحق منه. فانزل الله في ذلك:

﴿الم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب، يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾^(١).

فاتعدوا لوقت وقته.

وفي نص آخر: «فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله (ص) واجمعوا لذلك واتعدوا له».

فقال صفوان بن أمية: يا معشر قريش، إنكم قد وعدتم هؤلاء القوم لهذا الوقت وفارقوكم عليه، ففوا لهم به! لا يكون هذا كما كان، وعدنا محمداً بدر الصفراء، فلم نف بموعده، واجترأ علينا

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٢٧

بذلك . وقد كنت كارها لميعاد أبي سفيان يومئذ .

فخرجت اليهود حتى أتت غطفان [وقيس عيلان]، وأخذت قريش في الجهاز، وسيرت في العرب تدعوهم الى نصرها . وألبوا أحابيشهم ومن تبعهم .

ثم خرجت اليهود حتى جاؤا بني سليم، فوعدوهم يخرجون معهم اذا سارت قريش . ثم ساروا في غطفان، فجعلوا لهم تمر خبير سنة . وينصرونهم ويسيرون مع قريش إلى محمد، إذا ساروا .

فأنعمت بذلك غطفان، ولم يكن أحد اسرع الى ذلك من عيينة بن حصن .

قال ابن خلدون: وخرج بهم عيينة بن حصن على أشجع^(١) .

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٣ . وذكّرت هذه النصوص باختصار، أو بتفصيل في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٢ و ٥١٣ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ وحبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ والثقات ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ والدر المنثور ج ٢ ص ١٧٢ عن ابن اسحاق، وابن جرير . وجامع البيان ج ٥ ص ٨٦ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ و اعلام الوری ص ٩٠ وتفسير القرآن الكريم ج ٢ ص ٥١٣، والوفا ص ٦٩٢ وأنساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٣ . وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩ و ٣٩٨ وفيه نصوص تختلف عن الذي ذكرناه وراجع ص ٤٠٨ و ٤٠٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٣ فما بعدها والبدایة والنهاية ج ٤ ص ٩٤ و ٩٥ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ و ١٨٢ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٦ و ٢١٧ وتجارب الأمم ج ١ ص ١٤٩ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٦ و ١٦٧ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ والعبر وديوان المبتدا والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ والسيرة الحلبيّة ج ٢ ص ٣٠٩ =

٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وذكر البعض: أن كنانة بن أبي الحقيق جعل نصف تمر خبير لغطفان في كل عام^(١).

وذكروا أيضاً: أن قريشاً كتبت إلى رجال من بني سليم، بينهم وبينهم أرحام، استمداداً لهم، فأقبل أبو الأعور بمن تبعه من بني سليم مدداً لقريش ثم كتب اليهود إلى حلفائهم من بني سعد أن يأتوا إلى امدادهم^(٢).

وحسب نص البلاذري: «وكان عيينة بن حصن الفزاري أسرع القوم إلى اجابتهم. ثم أتوا بني سليم بن منصور فسألوهم مثل ذلك، فأنجدوهم.

وساروا في جميع العرب ممن حولهم، فنهضوا معهم.

= ٣١٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٨ و ١٨٩ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٦ - ١٨٨ والبحار ج ٢ ص ٢١٦ - ٢٣٣ و ١٩٧ و ٢٥٠ و ٢٥١ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٢ و ٢٦٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢١٦ - ٢١٨ وحدثات الانوار ج ٢ ص ٥٨٤ باختصار والارشاد للمفيد ص ٥٠ و ٥١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠١ و ٢٠٢ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠.

(١) الاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٨. لكن ذكرت مصادر أخرى: أنهم جعلوا لهم تمر خبير سنة، فراجع: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢١٧ وانساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٠. وراجع أيضاً: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٣ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ وراجع: الاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٨ / ٣٩٩.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٢٩

فخرجت قريش في من ضوى إليها ولافها من كنانة وثقيف وغيرهم ولحقهم أفناء العرب عليها قادتها وكبراؤها^(١).

تجمع القوى:

ويستمر الواقدي فيقول:

وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها أربعة آلاف.

وعقدوا اللواء في دار الندوة (زاد في بعض المصادر قوله: وحمله عثمان بن أبي طلحة، وقائد القوم أبو سفيان).

وقادوا معهم ثلاث مئة فرس، وكان معهم من الظهر ألف بعير، وخمس مئة بعير.

وأقبلت سليم فلاقوهم بمر الظهران. وبنو سليم يومئذ سبع مئة، يقودهم سفيان بن عبد شمس، حليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي الأعور، الذي كان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين. لكن عند القمي: أن قائدهم هو عباس بن مرداس. وخرج أيضاً الاقرع بن حابس في قومه.

وخرجت قريش يقودها أبو سفيان بن حرب.

وخرجت بنو أسد، وقائدها طلحة (طليحة ظ) بن خويلد الاسدي.

وخرجت بنو فزارة وأوعبت، وهم ألف يقوهم عيينة بن حصن (ونص آخر يقول: خرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن).

(١) انساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٣.

٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
 وخرجت اشجع وقائدها مسعود بن رخیلة (أو مسعر بن زحيلة
 أو جبلة) وهم أربع مئة، ولم توعب اشجع [وعند المفيد: ووبرة بن
 طريف في قومه من اشجع].
 وخرج الحارث بن عوف يقود قومه بني مرة، وهم أربع مئة^(١).

الأحزاب إلى المدينة:

ووافى الأحزاب المدينة بعد أن فرغ رسول الله (ص) من حفر
 الخندق^(٢) وكان الذين وافوا من قريش، وسليم، وغطفان، واسد

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٤٤ وذكر ذلك باختصار أو بتفصيل في
 المصادر التالية: الاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩ اعلام الوری ص ٩٠ وفاء الوفا ج
 ١ ص ٣٠١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص
 ٤٨١/٤٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٦ والوفا ص
 ٦٩٣/٦٩٢ والثقات ج ١ ص ٢٦٥، وعيون الاثر ج ٢ ص ٥٥ وتهذيب
 سيرة ابن هشام ص ١٩٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ والسيرة النبوية
 لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١/٢٣٠ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧
 وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٩ وراجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٤٨.
 وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٣ و ٢٣٤ والسيرة النبوية لابن
 كثير ج ٣ ص ١٨٢ والبدایة والنهاية ج ٤ ص ٩٥ وراجع ص ١٠٢ وراجع:
 المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ والامتناع ج
 ١ ص ٢١٨ و٢١٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٣ و٥١٤ والارشاد
 للمفيد ص ٥١ وكشف الغمة للاربلي ج ١ ص ٢٠٢ وتفسير القمي ج ٢
 ص ١٧٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢١٧ عنه وص ١٩٧ و ٢٥١ ومجمع البيان ج
 ٨ ص ٣٤٠ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٧ وعيون الأثر ج ٢، ص ٥٦
 ومحمد في المدينة ص ٥٤ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ وشرح
 الأخبار ج ١ ص ٢٩١.

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٣١

عشرة آلاف بقيادة أبي سفيان. فنزلت قريش برومة، ووادي العقيق في أحابيشها، ومن ضوى إليها من العرب. ونزلت غطفان بالزغبة إلى جانب أحد.

وجعلت قريش تسرح ركابها في وادي العقيق، في عضاهه. وليس هناك شيء للخيول إلا ما حملوه معهم من علف. وكان علفهم الذرة. وسرحت غطفان ابلها إلى الغابة، في أثلها وطرفائها.

وقدموا في زمان حصد الناس زرعهم قبله بشهر. وأدخلوا حصادهم، واتبانهم. وكانت غطفان ترسل خيلها في أثر الحصاد - وكانت خيل غطفان ثلاث مئة - فيمسك ذلك من خيلهم لكن ابلهم كادت تهلك من الهزال. وكانت المدينة ليالي قدموا جديية^(١).

ويقول نص آخر: نزلت كنانة برومة، وغطفان بالزغبة إلى نقي^(٢).

=ص ٢٦٢ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ وحدائق الانوار ج ٢ ص ٥٨٧ وكشف الغمة للاريلي ج ١ ص ١٩٧ وغير ذلك.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤. وراجع اجمال او تفصيل ذلك في: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ والثقات ج ١ ص ٢٦٦ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و ٢٣١ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ و ١٩٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٢ و ١٠٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٥ و ٥٢٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠ والبحار ج ٢ ص ٢٢١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٨.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥.

٣٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
وعند البعض: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومة، بين
الجرف وزغابة. ونزل عيينة ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أحد،
بباب نعمان (أو ذنب نقيم)^(١).

ونص آخر يقول: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومة، بين
الجرف ورباعة^(٢) ولعله تصحيف: زغابة.
أما القمي فقال: نزلت قريش وحلفاءها من كنانة بالعقيق.
ونزلت فزارة بالزغابة ونزلت سليم وغيرهم حصن بني ذبيان^(٣).

مناقشات وايضاحات:

ولنا فيما تقدم العديد من المناقشات والتحفظات، كما أنه
يحتاج إلى بعض الإيضاحات ونحن نذكر فيما يأتي نماذج لكلا هذين
الأمرين، فنقول:

تاريخ غزوة الخندق:

لقد اختلف المؤرخون في تاريخ غزوة الخندق. فقالت طائفة
منهم: إنها كانت سنة خمس من الهجرة: ذهب إلى ذلك الواقدي،

(١) الاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص
٢٣٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٤٨٣ وفيه: أنه واد بجانب أحد. وراجع: دلائل النبوة
لليهيقي ج ٣ ص ١٠٩ وفيه: نزلوا بنقمين وجوامع السيرة النبوية ص
١٤٩.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣.

(٣) تفسير القمي ج ٣ ص ١٨٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢١ عنه.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٣٣

وابن اسحاق، والمقرئزي، والطبري، وابن الأثير، والبيهقي،
والذهبي، وابن حبيب، وابن الكازروني والمقدسي، وابن القيم، وابن
حجر، وابن العماد، والمسعودي. وكذا روي عن عروة، وقتادة
وأحمد. وغيرهم كثيرون، كما يتضح من المصادر في الهامش^(١).

(١) لكي تجد القول بان هذه الغزوة كانت في السنة الخامسة، إما بصورة قول
تبناء المؤلف أو يذكره بلفظ قيل: راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي
ج ٢ ص ٤٤١/٤٤٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ والسيرة النبوية
لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٤ و ٢٤١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٨ ودلائل
النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٥ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ وصححه،
وشذرات الذهب ج ١ ص ١١، ومختصر التاريخ ص ٤٢ والمختصر في
أخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و ٦٤. وتاريخ
اليقوبي ج ٢ ص ٥٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ وتاريخ الأمم
والملوك ج ٢ ص ٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٨ و ١٩٥ وتفسير
القمي ج ٢ ص ١٧٦ والبحار ج ٢ ص ٢١٦ و ٢٠٨ عنه ونقله في ص
٢٧١ عن اعلام الوری لكن الموجود في اعلام الوری أنها في الرابعة.
والمحبر ص ١١٣ ومروج الذهب ج ٢ ص ٢١٩ والثقات ج ١ ص ٢٦٤
وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٥٩ وشرح بهجة
المحافل ج ١ ص ٢٦٢ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٢ بلفظ: قيل. وامتناع
الاسماع ج ١ ص ٢١٦ والجامع للقيرواني ص ٢٧٩ و ٢٨١ والتنبيه
والاشراف ص ١١٥ وأنساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٣ ومجمع البيان ج ٨
ص ٢٠٨ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٦ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢
عن ابن اسحاق والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وسبل الهدى والرشاد ج
٤ ص ٥٦١ ونسبه إلى الجمهور. وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٣ و
٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ و ١٨١ وتاريخ الخميس ج ١
ص ٤٧٩ و ٤٨٠ عن ابن اسحاق. وفتوح البلدان ج ١ ص ٢٣ وصفة
الصفوة ج ١ ص ٤٥٥ - ٤٥٩ والطبقات الكبرى ج ٢ ق ٢ ص ٤٧ وج ٤
ق ١ ص ٦٠ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧ وسيرة مغلطاي ص ٥٦

٣٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

أما اليعقوبي فيقع في الغلط حيث يقول: إن الخندق كانت «في السنة السادسة، بعد مقدم رسول الله بالمدينة بخمسة وخمسين شهراً»^(١).

فإن عدد الاشهر المذكور يقتضي أن تكون في السنة الخامسة لا السادسة، كما هو ظاهر.

وثمة فريق آخر يقول: إن هذه الغزوة كانت في السنة الرابعة، وهو ما ذهب إليه مالك، ورواه أحمد في مسنده عنه. وذهب إليه أيضاً: ابن العربي وعياض، وابن حزم، وابن الديبع، والصاحب بن عباد، وابن حبيب، وصححه ابن خلدون، والنووي في الروضة، وقواه البخاري ورواه موسى بن عقبة عن الزهري، وبه قال الفاكهاني، في رياض الأفهام. ويعقوب بن سفيان^(٢).

=والعبر لابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والرصف ج ١ ص ٦٠ بلفظ قيل وراجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وتاريخ الاسلام للذهبي والمغازي ص ٢٠٥ وسير اعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨٩/٢٩٠.

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ ط صادر.

(٢) راجع المصادر التالية، فانها قد ذكرت هذا القول: عنوان المعارف في ذكر الخلائف ص ١٢ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وقال: الثابت انها في الرابعة بلا شك. والمحبر ص ١١٣ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ واعلام الوري ص ٩٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ وشرح صحيح مسلم للنووي بهامش ارشاد الساري ج ٨ ص ٦٤ والعبر لابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و٣٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وتاريخ مختصر الدول ص ٩٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ وتاريخ الاسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٠٥ وص :

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٣٥

بل قال ولي الدين العراقي: «المشهور أنها في السنة الرابعة»^(١).

ومقتضى هذا القول: أن أبا سفيان قد خرج لبدر الموعد في شعبان ثم عاد وخرج إلى الخندق في شوال السنة الرابعة، كما ذهب إليه البعض^(٢) وعند الواقدي أنها كانت في ذي القعدة.

وقد حاول البيهقي الجمع بين هذين القولين، فقال: «قلت: لا اختلاف بينهم في الحقيقة، وذلك لأن رسول الله (ص) قاتل يوم بدر لستين ونصف من مقدمة المدينة في شهر رمضان، ثم قاتل يوم أحد من السنة القابلة لستين ونصف من مقدمة المدينة في شوال، ثم قاتل يوم الخندق بعد أحد بستين على رأس أربع سنين ونصف من مقدمة المدينة.

فمن قال سنة أربع أراد بعد أربع سنين، وقبل بلوغ الخمس، ومن قال: سنة خمس، أراد بعد الدخول في السنة الخامسة،

= ٢٤٤ عن ابن عقبة عن ابن شهاب وعروة عن ابن عقبة والنووي، وشذرات الذهب ج ١ ص ١١ عن النووي، والجامع للقيرواني ص ٢٧٩ و٢٨١ عن مالك، وسيرة مغلطاي ص ٥٦ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٢ وعيون الأثر ج ٢ هامش ص ٥٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٣ و٣٩٥ و٤٠٠ و٣٩٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧٦ ومراة الجنان ج ١ ص ٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وراجع: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢١٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ وحداثق الأنوار ج ١ ص ٥٢ متناً وهامشاً عن الدرر في اختصار المغازي والسير للقرطبي ص ١٧٩ وذهب إليه العاقولي في الرصف ج ١ ص ٦٠.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٦.

٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
وقبل انقضائها^(١).

ونقول:

إن الظاهر هو صحة قولهم: إن غزوة الخندق كانت في السنة الرابعة، وفقاً لما اعتادوه من التاريخ، ولا حاجة إلى وجه الجمع الذي ذكره البيهقي ولا لغيره. وذلك لما يلي:

١ - لقد قوى البخاري القول بأنها كانت في السنة الرابعة بقول ابن عمر: ان النبي (ص) قد عرضه يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجره. ثم عرضه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة، فأجازه.. ومن المعلوم: أن أحداً كانت في سنة ثلاث.

وقد استدل بهذا أيضاً النووي، وابن حزم، وابن خلدون، وغيرهم^(٢).

-
- (١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٥.
- (٢) راجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ وج ٢ ص ٦٩ والعبر وديوان المبتدا والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و ٣٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وراجع: تاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٠٥ و ٢٤٤ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ وشرح صحيح مسلم للنووي (مطبوع بهامش إرشاد الساري) ج ٨ ص ٦٤. وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و ٤٨١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ ص ١٠٥ وأنساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٣/٣٤٤ باضافة كلمة: «وأشرف منها» والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٣.
- والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣١٠ و ٣١١ ومسند احمد بن حنبل ج ٢ ص ١٧ وصحيح مسلم ج ٦ ص ٣٠ وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ٨٥٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ و ٣١٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٦. والجامع الصحيح للترمذي، كتاب الاحكام، باب ما جاء في حد بلوغ الرجل والمرأة ج ٣ =

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٣٧

وقد احتمل البعض: أن يكون ابن عمر في غزوة أحد أول ما طعن في الرابعة عشرة. وفي الأحزاب كان قد استكمل الخامسة عشرة. وبهذا أجاب البيهقي^(١)

ثم أيد البعض هذا الاحتمال بأن أبا سفيان قال للمسلمين، حين انتهت حرب أحد: موعدكم العام المقبل ببدر.

ثم لم يأت إلى بدر في ذلك الموعد؛ بسبب الجذب. وخرج إليها النبي (ص) في شعبان سنة أربع، ورجع، ولم يلق كيدا. وهي الغزوة المسماة ببدر الموعد.

فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد ذلك بشهرين لأجل غزوة الخندق^(٢).

ويؤيد ذلك أيضاً: قول البعض: «كانت وقعة الأحزاب بعد أحد بستين»^(٣).

ص ٦٣٢ و ٦٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤١ و ٢٤٢ والغدير ج ١٠ ص ٤ عن البخاري، وفتح الباري، وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٦ و ٧ وعن تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٦.

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ والبدية والنهاية ج ٤ ص ٩٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ وراجع دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ هامش ص ٣٩٥.

(٢) راجع: البدية والنهاية ج ٤ ص ٩٣ و ٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ والطبقات الكبير لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١.

(٣) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٢ و ٣٦٧ انساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٥ والمغازي للذهبي (تاريخ الاسلام) ص ٢٤٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٨.

٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ونقول:

لو صح ما ذكره لكان الفرق بين احد التي هي في شوال السنة الثالثة، والخندق التي هي في ذي القعدة السنة الخامسة سنتين وشهراً. وهذا يعني: أن ابن عمر كان عمره في الخندق ست عشرة سنة.

فاذا جاز أن يقول: إنه ابن أربع عشرة سنة؛ لأنه كان أول ما طعن فيها، كان عليه أن يقول: إنه كان في الخندق ابن ست عشرة سنة، لأنه كان طعن فيها أيضاً بصورة أوفى. وذلك ليجري الكلام في صدره وذيله على نسق واحد.

ولكان على عمر بن عبد العزيز وعمر بن الخطاب أن يجعلوا العطاء لمن بلغ ست عشرة سنة، استناداً إلى قضية ابن عمر المذكورة، فكيف فرضا إلى ابن خمس عشرة سنة استناداً الى ذلك؟!^(١) وقد صرح ابن حزم بأنه قد صح أنه لم يكن بين أحد والخندق إلا سنة واحدة فقط وأنها قبل دومة الجندل بلا شك^(٢).

أما قولهم: إنه لا يعقل أن يأتوا المدينة بعد شهرين من بدر الموعد. فجوابه: أن ذلك معقول، إذا كان التعلل من قبل المشركين بالجذب كان جبناً منهم، وهروباً من المواجهة، ثم لما وجدوا الرجال والأموال، وجمعوا عشرة آلاف مقاتل أو أكثر بكثير، فلا شيء يمنعهم

(١) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣١١ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ والبدية والنهاية ج ٤ ص ٩٤.

(٢) جوامع السيرة النبوية ص ١٤٨.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٣٩

عن انتهاز الفرصة، في أي من الظروف والأحوال.

٢ - ومما يدل على أن غزوة الخندق كانت سنة أربع: قولهم: إن ابا زيد بن ثابت قد قتل يوم بعث، وكان عمر زيد حيثئذ ست سنين، وكانت بعث قبل الهجرة بخمس سنين^(١)، وكان عمر زيد حين قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة إحدى عشرة سنة^(٢).

ثم يقولون: إن أول مشاهد زيد الخندق^(٣) لأنه (ص) قد أجازته يوم الخندق^(٤) وهو ابن خمس عشرة سنة^(٥).

ويروى عن زيد قوله: أجازني رسول الله (ص) يوم الخندق،

(١) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٢٧ و ٣٠ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ وراجع: شذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩.

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ عن زيد نفسه، وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٩ والثقات ج ٣ ص ١٣٦ وصفة الصفوة ج ١ ص ٧٠٤ وسير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٢٧/٤٢٨ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٢٥ و ٢٧ وتهذيب الاسماء ج ١ ص ٢٠٠/٢٠١ والاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة) ج ١ ص ٥٥١ وشذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩.

(٣) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠ و ٣١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠ وشذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ وراجع: تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٩ عن الواقدي.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ عن الطبراني وص ٢٨٤ عن ابن عساكر.

(٥) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠ و ٣١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥.

٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
وكساني قبطية^(١).

وعنه: أجزت يوم الخندق. وكانت وقعة بعث وانا ابن ست سنين^(٢).
وعنه: لم أجز في بدر، ولا في أحد، وأجزت في الخندق^(٣).
وتوفي زيد سنة ثمان وأربعين، وسنه تسع وخمسون سنة^(٤).
وقال الواقدي: مات سنة خمس وأربعين، وهو ابن ست
وخمسين سنة^(٥) وكل ذلك يؤيد ما قلناه ويدل عليه.

وأورد بعضهم على كون الخندق في السنة الرابعة بأن من
المعلوم: أن غزوة بني قريظة قد كانت في السنة الخامسة، ومعلوم
أنها كانت عقيب الخندق^(٦).

وأجيب عن ذلك بأن الخندق يمكن أن تكون قد استمرت إلى
أواخر الرابعة^(٧) لا سيما إذا صح قولهم: إنهم استمروا في حفر
الخندق شهراً^(٨)، وأن الحصار قد استمر شهراً أيضاً^(٩)، مع ملاحظة:
أن ابن سعد يقول: إن الخندق قد كانت في شهر ذي القعدة^(١٠)! هذا

-
- (١) سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٢ وفي هامشه عن الطبراني وتهذيب الكمال
ج ١٠ ص ٢٩ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩.
(٢) سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٣ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ وتهذيب
تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠.
(٣) الاصابة ج ١ ص ٥٦١.
(٤) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١.
(٥) صفة الصفوة ج ١ ص ٧٠٤ / ٧٠٥.
(٦) راجع: مرآة الجنان ج ١ ص ٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٨ و ٢٢٩.
(٧) راجع: مرآة الجنان ج ١ ص ٩ وراجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٩.
(٨) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤.
(٩) ستأتي الاقوال في ذلك، حينما نتكلم عن مدة حفر الخندق في هذه الغزوة.
(١٠) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٨. وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٠.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٤١

بالإضافة إلى حصاره (ص) الطويل لبني قريظة حسبما سيأتي.

وبعد ما تقدم نقول: إنه لا حاجة إلى الأفاضة في بيان خطأ قول البعض: إن الخندق كانت سنة خمس باتفاق المؤرخين باستثناء ابن خلدون^(١).

غزوة الخندق في زمن الحصاد:

وذكرت النصوص الآتية الذكر: أن الأحزاب قدموا المدينة في زمانٍ حصد الناس زرعهم قبله بشهر. وأدخلوا حصادهم وأتبانهم.

وكانت غطفان ترسل خيلها في أثر الحصاد - وكان خيل غطفان ثلاث مئة - فيمسك ذلك من خيلهم. لكن إبلهم كادت تهلك من الهزال. وكانت المدينة ليالي قدموا جدية^(٢).

ومن جهة ثانية، فإن غزوة بني قريظة كانت بعد الخندق مباشرة، ويذكر الزهري أن أبا لبابة الذي خان الله ورسوله فيها، قد ارتبط في المسجد في حر شديد^(٣) وكان يوماً صائفاً^(٤).

ومعنى ذلك هو أن الأحزاب قد قدموا المدينة في أواسط فصل الصيف؛ أو أواخره، لأن الحصاد يكون عادة في أوائل فصل الصيف، لا سيما في بلاد الحجاز المتميزة بشدة الحر فيها.

وهذا يلقي ظلالاً من الشك على ما يزعمونه من أن غزوة الخندق كانت «في أيام شاتية»^(٥). أو «في برد

(١) محمد رسول الله (ص)، تأليف محمد رضا ص ٢٢٧.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ راجع ج ١ ص ٢١٩ وسبل الهدى والرشاد وغير ذلك من مصادر تقدمت.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٥٠٧.

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٥١٤.

(٥) تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢.

٤٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
 شديد^(١). و «في زمن شات، وليال باردة كثيرة الرياح»^(٢). وسيأتي أن
 عائشة كانت تدفيء رسول الله (ص) وهم يحفرون الخندق، كما يزعمون.
 وستأتي سائر النصوص والمصادر لذلك حينما نتكلم أسباب
 هزيمة الأحزاب وعن حفر الخندق.
 إلا أن يقال: إن الحصاد قد يستمر إلى الخريف، فلا مانع من
 البرد والشتاء حينئذٍ.

هل أخطأ التقويم التطبيقي؟!

وبالمناسبة فإن كتاب «التقويم التطبيقي لالف وخمس مئة سنة
 هجرية قمرية وميلادية»^(٣). قد ذكر أن أول شهر شوال للسنة الرابعة
 الهجرية يوازي ٦ شهر آذار سنة ٦٢٦ م وأول شهر ذي القعدة يوازي
 ٤ شهر نيسان وأول ذي الحجة يوازي ٤ أيار.
 أما في سنة خمس فان شوال وذا القعدة وذا الحجة توازي ٢٣
 شباط حتى ٢٣ أيار.

وهذا التطبيق يخالف ما ذكره المؤرخون في تاريخ غزوة الخندق.
 أما بناء على ما ذكره الواقدي فواضح؛ لأننا قدمنا أن مقتضى
 كلام الواقدي هو أن غزوة الخندق قد حصلت في أواخر الصيف، وأن

-
- (١) الجامع للقيرواني ص ٢٨١ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٤
 والبداءة والنهاية ج ٤ ص ٩٥ و٩٦ عن البخاري.
 (٢) تجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٢.
 (٣) راجع كتاب: تقويم تطبيقي هزار وبانصدساله هجري قمري وميلادي قسم
 الجداول ص ١. تأليف: فردينا ندوو ستنفلد، وادوارد ماهر.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٤٣

انصراف الاحزاب من الخندق كان في الخريف.

وأما بناء على ما ذكره الآخرون، فإن من الواضح: أنهم يذكرون: أن الاحزاب قد انصرفوا في ليلة باردة شاتية، وان انصرفهم كان في اواخر ذي الحجة، أي في أواخر شهر أيار، ومن الواضح: أن الجو في الحجاز، وفي المدينة لا يكون في هذا الوقت بارداً ولا شاتياً فضلاً عما يذكرونه من برد كان يقاسيه رسول الله (ص) وهم يحفرون الخندق - كما سيأتي - في شوال أو في ذي القعدة. فإن الجو في المدينة يكون في هذه الايام في اعدل أحواله. كما هو معلوم، من حال منطقة الحجاز لكل أحد.

مشاركة الحارث بن عوف في الخندق:

قد ذكرت النصوص المتقدمة: أن الحارث بن عوف قد شارك في حرب الخندق. ولكن قد روى الزهري وكذلك بنو مرة خلاف ذلك، فذكروا: أنه لما أجمعت غطفان السير أبي الحارث بن عوف المسير، وقال لقومه:

«تفرقوا في بلادكم، ولا تسيروا إلى محمد؛ فاني أرى أن محمداً أمره ظاهر. لو ناواه من بين المشرق والمغرب لكانت له العاقبة» فتفرقوا في بلادهم، ولم يحضر واحد منهم^(١).

وفي نص آخر: أنه قال لعينة بن حصن، ولقومه من غطفان: «يا قوم أطيعوني، ودعوا قتال هذا الرجل، وخلوا بينه وبين عدوه من العرب» فغلب عليهم الشيطان، وقطع اعناقهم الطمع، ونفذوا لأمر

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٣ وراجع: الاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩.

٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
 عيينة على قتال رسول الله (ص)، وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد؛
 فأقبل طلحة في من اتبعه من بني أسد الخ^(١). وقال المقرزي والحلي
 الشافعي: «وقيل لم تحضر بنو مرة^(٢)».

لكن الواقدي يصرّ على أن بني مرة قد شهدوا الخندق، بقيادة
 الحارث بن عوف، وهجاه حسان شعراً. وذكروا: انه كان بينه وبين
 النبي جوار. وقال الواقدي: «فكان هذا أثبت عندنا: أنه شهد الخندق
 في قومه. ولكنه كان أمثل تقية من عيينة^(٣)».

وقال الواقدي أيضاً: «لم يحضر الخندق الحارث بن عوف ولا
 قومه. ويقال: حضرها الحارث بن عوف. قال ابن واقد: وهو أثبت
 القولين عندنا^(٤)».

أبو رافع قتل بعد أحد:

وقد ذكرت بعض النصوص أيضاً أبا رافع اليهودي في جملة من
 حرض المشركين وحزب الأحزاب في غزوة الخندق^(٥).
 ونقول:

إن أبا رافع قد قتل كما يقولون في السنة الثالثة في جمادى

-
- (١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩.
 (٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ والامتناع ج ١ ص ٢١٩.
 (٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤.
 (٤) المغازي ج ٤ ص ٤٧٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧.
 (٥) راجع: جامع البيان ج ٥ ص ٨٦ والدر المنثور ج ٢ وتفسير القرآن العظيم
 ج ١ ص ٥١٣.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٤٥

الآخرة منها^(١)، وذلك بعد قتل ابن الأشرف، وقيل بعد أحد، وقيل في السنة الرابعة^(٢). ولكن من الواضح أن ذلك كان قبل وقعة الخندق، التي كانت في أواخر الرابعة، واستمرت حتى الخامسة، هي وغزوة بني قريظة، كما رجحناه، أو كانت في السنة الخامسة.

ولو كان أبو رافع حياً في غزوة الخندق، لكان المناسب أن يذكر مقتله، بعد الخندق، لا بعد أحد، فراجع ولاحظ كلماتهم.

هل كان أبو الأعور في الخندق؟!

وقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن أبا الأعور السلمي كان قائد بني سليم في غزوة الأحزاب ضد المسلمين^(٣).

ولكن الظاهر هو صحة ما ذكره الواقدي وغيره، من أن أبا أبي الأعور السلمي هو الذي حضر مع الأحزاب في حرب الخندق^(٤). ويدل على ذلك: قول قيس بن سعد للنعمان بن بشير: انه لم يكن مع معاوية غيره وغير صويحبه مسلمة بن مخلد^(٥) كما سيأتي، فلو كان أبو

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٨٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٦.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٨٣.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٨٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ والاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩.

(٤) راجع المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ وامتناع الاسماع ج ١ ص ٢١٨.

(٥) صفين للمنقري ص ٤٤٩.

٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
الأعور صحابياً لم يصح قول قيس هذا. فيظهر أن الراوي أو الناسخ
قد اسقط كلمة (أبا) الأولى، إما اشتباها أو سهواً، أو لحاجة في نفسه
قضاها.

والذي نخشاه هو أن يكون هذا الإسقاط قد جاء لخدمة هدف
سياسي من نوع ما، كأن يكون هو دعوى أن أبا الأعور قد لقي
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورآه، وذلك بهدف الإيحاء بصحة
دعوى كون أبي الأعور من الصحابة، وذلك تدعيماً لموقف معاوية
بتكثير عدد الصحابة معه، وإيجاد شبهات حول بغيه على امام
زمانه.

ولكن مراجعة كتب الرجال والتراجم توجب المزيد من الشك
والريب في هذا الأمر، فقد قال العسقلاني:

« قال ابن أبي حاتم، عن أبيه: أدرك الجاهلية، ولا صحبة له.
وحديثه مرسل. وتبعه أبو أحمد العسكري. وذكره البخاري في من
اسمه عمر. ولكن لم يذكره في الصحابة. . إلى أن قال: وقال ابن
حبان: في ثقات التابعين، يقال له صحبة»^(١).

ونقل ابن منظور عن ابن عساكر قوله: «يقال: له صحبة.
ويقال: لا صحبة له»^(٢).

(١) الاصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٥٤٠ وج ٤ ص ٩ وراجع: أسد الغابة
ج ٤ ص ١٠٩ وج ٥ ص ١٣٨ والاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة ج ٤
ص ١٤).

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج ١٩ ص ٢١٨.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٤٧

توثيق أبي الأعور!!:

والذي يلفت نظرنا هنا هو توثيقهم لأبي الأعور^(١)، رغم تصريحهم بأنه كان أشد من عند معاوية على علي عليه السلام. وكان علي عليه السلام يدعو عليه في القنوت في آخرين^(٢).

بل لقد قال ابن الأثير: «كان من أعيان أصحاب معاوية، وعليه كان مدار الحرب بصفين»^(٣).

فمقام أبي الأعور لدى معاوية وخدماته لعرش الشام وضديته مع علي عليه السلام قد جعل الكثيرين ممن يسرون في هذا الاتجاه يهتمون بصياغة الفضائل له، لأنها ستكون في نهاية الأمر فضائل لمعاوية نفسه. ولعلمهم أرادوا ان يلبسوه ثوب الصحبة لرسول الله (ص) من أجل تكثير الصحابة عند معاوية؛ بهدف ايجاد شبهات حول بغيه على إمام زمانه، كما قلنا.

وقد تعودنا من هذا النوع من الناس محاولات من هذا القبيل، تهدف إلى تقليل عدد الصحابة مع علي عليه السلام، وزيادتهم مع خصومه، حتى ليروون عن الشعبي أنه قال: «من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر إلا أربعة فكذبه. كان علي وعمار في ناحية، وطلحة والزبير في ناحية»^(٤).

(١) الاصابة ج ٢ ص ٥٤٠ و ٥٤١، ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٧.

(٢) راجع: أسد الغابة ج ٥ ص ١٣٨ والاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة) ج ٤ ص ١٤.

(٣) اسد الغابة ج ٤ ص ١٠٩.

(٤) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٢٨.

٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ويظهر أن أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه قد التفتوا إلى هذا الأمر ولذلك نجدهم يتحدثون عن حضور الصحابة معهم، ويعطون أرقاماً دقيقة في هذا المجال.

فقد رووا: أن ناساً من قراء أهل الشام لحقوا بعلي عليه السلام، فقال عمرو بن العاص لمعاوية عن علي عليه السلام في جملة كلام له: «وإنه قد سار إليك بأصحاب محمد صلى الله عليه المعدودين، وفرسانهم، وقرائهم، وأشرافهم، وقدمائهم في الاسلام، ولهم في النفوس مهابة الخ...». فجمع معاوية أجناد أهل الشام وخطبهم، فبلغ علياً عليه السلام ذلك، فامر الناس فجمعوا. قال ابو سنان الاسلمي: «وكأنني أنظر الى علي متوكئاً على قوسه، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه عنده، فهم يلونه و[كأنه] أحب أن يعلم الناس: أن أصحاب رسول الله متوافرين عليه، فحمد الله ثم قال الخ^(١)».

وقال سعيد بن قيس في خطبة له: «وقد اختصنا الله منه بنعمة فلا نستطيع أداء شكرها، ولا نقدر قدرها: أن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا، وفي حيزنا. فوالله الذي هو بالعباد بصير: أن لو كان قائدنا حبشياً مجدعاً إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا الخ^(٢)».

ويقول الاشر في صفين: «وانتم مع البدرين، قريب من مائة بدري، ومن سوى ذلك من أصحاب محمد صلى الله عليه^(٣)».

(١) صفين للمقري ص ٢٢٢ و ٢٢٣.

(٢) صفين ص ٢٣٦.

(٣) صفين ص ٢٣٨.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٤٩

وقد كان لهم أثر عظيم في الحرب ولا سيما الانصار منهم كما اعترف به معاوية فراجع^(١).

وقد قالوا: كان مع علي عليه السلام ثمان مئة رجل ممن بايع النبي (ص) تحت الشجرة.

وعن سعيد بن جبير: كان مع علي رضي الله عنه يومئذ ثمان مئة رجل من الأنصار، وتسعمائة ممن بايع تحت الشجرة.

وعن الاعمش: كان معه ثمانون بدرية. وثمان مائة من أصحاب محمد (ص)^(٢).

وقال الزبير بن بكار: شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام من أهل بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر رجلاً من المهاجرين وسبعون من الأنصار. وأما من باقي الصحابة فكان معه ألف وثمان مئة، منهم تسعون رجلاً بايعوا رسول الله (ص) تحت الشجرة^(٣).

ويعترف معاوية بأن المهاجرين والأنصار كانوا مع علي عليه السلام، فهو يقول لابن عباس: «فاذكروا علي بن ابي طالب ومحاربه إياي، ومعه المهاجرون والأنصار، الخ...»^(٤).

(١) صفين ص ٤٤٥ - ٤٤٩.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٤٥٠.

(٣) تذكرة الخواص ص ٨١/٨٢ راجع: المعيار والموازنة ص ٢٢ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٤ والغدير ج ١٠ ص ١٦٣ عن بعض المصادر الأخرى.

(٤) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ٢٣٩.

٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وقال قيس بن سعد للنعمان بن بشير: «انظر اين المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان، الذين رضي الله عنهم، ثم انظر، هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك الخ^(١)». والمراد بصويحبه: مسلمة بن مخلد.

آية سورة النساء متى وفيمن نزلت:

لقد تحدثت النصوص التاريخية المتقدمة عن قوله تعالى: «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب، يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً. أولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله؛ فلن تجد له نصيراً. أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً. أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الخ^(٢)».

فذكرت أن هذه الآيات قد نزلت في هؤلاء اليهود الذين ذهبوا إلى مكة، وإلى سائر القبائل ليحرضوهم على قتال النبي (ص)؛ فجمعوا الجموع، وحزبوا الأحزاب، فكانت غزوة الخندق. ونقول:

إننا نشك في أن تكون هذه الآية قد نزلت في هذه المناسبة، وذلك لما يلي:

١ - هناك روايات تقول: إن هذه الآية قد نزلت في مناسبة أخرى سبقت غزوة الخندق. وذلك لما ذهب كعب بن الأشرف إلى

(١) صفين ص ٤٤٩ وراجع ابتداء من ص ٤٤٥.

(٢) سورة النساء / ٥١ - ٥٤.

الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة ٥١

قريش، يحرضهم على غزو المسلمين، فسألوه عن أن أي الفريقين أهدى، فأجابهم بما يقرب مما سبق، وذكروا أيضاً أنهم طلبوا منه أن يسجد لأصنامهم، ليطمئنوا إلى أنه لا يمكر بهم. ففعل؛ مجارة لهم.

وظاهر بعض النصوص الأخرى أن هذه الآيات قد نزلت في مكة قبل الهجرة حيث ذكرت نزول سورة الكوثر في هذه المناسبة أيضاً، وهي انما نزلت قبل الهجرة^(١) إلا أن يقال: إنها مما تكرر نزوله.

٢ - قيل: كان أبو برزة كاهناً في الجاهلية، فتنافس إليه ناس ممن اسلم، فنزلت الآية. عن عكرمة^(٢).

-
- (١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٣ عن الطبراني، والبيهقي في الدلائل، عن عكرمة عن ابن عباس. وعن سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن عكرمة مرسلاً. وعن أحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس. وعن عبد الرزاق، وابن جرير عن عكرمة. وعن ابن جرير عن مجاهد. وعن عبد بن حميد، وابن جرير عن السدي، عن أبي مالك. وعن البيهقي في الدلائل، وابن عساكر في تاريخه عن جابر عن عبد الله. وعن عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة والجامع لاحكام القرآن ج ٥ ص ٢٤٩ ومجمع البيان ج ٣ ص ٥٩ والتفسير الكبير ج ١٠ ص ١٢٨ والتبيان ج ٣ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ والبحر المحيط ص ٢٧١ والنهر الماد من البحر (مطبوع بهامش البحر المحيط) ج ٣ ص ٢٧١ والكشاف ط دار الفكر ج ١ ص ٥٣٢ وجامع البيان ج ٥ ص ٨٥ و ٨٦ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥١٣ وفتح القدير ج ١ ص ٤٧٨ و ٤٧٩ وتفسير الخازن ج ١ ص ٣٦٨ ومدارك التنزيل للنسفي (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج ١ ص ٣٦٩.
- (٢) مجمع البيان ج ٣ ص ٥٩.

٥٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

توضيح وتصحيح:

ان القصة التي يحكيها المؤرخون قد فرضت وجود فريقين هما: جماعة اليهود، والمشركون. وقد سأل المشركون اليهود عن الاهدى، هم؟ أم المسلمون؟ فأجابهم اليهود: انتم اولى بالحق. مع ان الآية تفرض الفريقين يتحدثان عن فريق ثالث اشير إليه بقولهم: هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سييلا. أي ان اليهود قالوا للمشركين: هؤلاء اهدى، ولم يقولوا لهم: انتم اهدى. فلا ينطبق مدلول الآية على روايات المؤرخين، سواء راوية كعب بن الاشرف، أو حيي بن اخطب، أو رواية ابي برزة الأنفة الذكر.

إلا أن يقال: في الآية التفتات من الخطاب بالضمير إلى الإشارة بكلمة. هؤلاء. والإلتفات موجود في القرآن.

والنكتة المسوغة لهذا الالتفات هي: أن الله سبحانه قد قال: «ويقولون للذين كفروا» فجاء بصيغة المضارع ليفيد أن هذا النهج في التعامل مستمر في هذا النوع من الناس. وليست القضية قضية مضت وذهبت، قد يكون لها ظروفها ومبرراتها؛ فلا تمثل خطأ مستمراً لهؤلاء الناس.

فلما عبر تعالى عما حدث بصيغة المضارع، فانه لم يعد بالإمكان أن يقول: «أنتم اهدى»؛ لأن الخطاب لما صار فعلياً، فيحتمل فيه أن يكون موجهاً لهؤلاء الناس الذين يسمعون الآية من النبي (ص)، ويخاطبهم (ص) بها، ويحتمل أن يكون خطاباً للكافرين أيضاً.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٥٣

فهو من قبيل ما لو قلت لرجل: زيد قال لعمر: أنت رجل فاسق، فكلمة أنت رجل فاسق يحتمل فيها أن تكون موجهة لمخاطبك أنت، ويحتمل أن تكون موجهة لعمر.

إذن، فلا بد في الآية من التصرف في خطاب أولئك الناس، والأتیان بالمضمون بطريقة تدفع هذا الالتباس. وهكذا كان، فانه تعالى استخرج مضمون كلامهم وهو أن هؤلاء أي الكفار المشركون الذين خاطبهم أهل الكتاب، (وهم غير من يخاطبهم النبي بالقرآن فعلاً)، أهدى من المؤمنين.

فاتضح أن الآية لا تنافي سياق الحدث التاريخي الذي هو مورد البحث.

تحريض اليهود:

لقد رأى اليهود عن كثب كيف أن المسلمين يزدادون قوة، ويزداد الاسلام انتشاراً باستمرار.

ويرون أن نفوذهم كمصدر وحيد للمعارف بدأ ينحسر ويتلاشى وها هو الاسلام ينتقد ما يدعيه اليهود من ذلك ويفنده، ويبين الصحيح من المزيف منه. وهو بذلك يزلزل مكانتهم، ويفقدتهم الشيء الذي كانوا ولا يزالون يعتزون ويفتخرون ويتسامون به على الناس.

ويبطل مزعمتهم بأنهم شعب الله المختار، ويرفع شعار: «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» ولا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى.

فاحترقت قلوبهم بالغیظ وطفحت بالحقد. وتآمروا على هذا الدين ونقضوا عهودهم التي قطعوها على أنفسهم؛ وجروا على أنفسهم

٥٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
البلاء والعناء. وكانت واقعة بني قينقاع، ثم واقعة بني النضير.

وهم يريدون أن يأخذوا بثأرهم حسب زعمهم. ولكنهم يدركون عجزهم عن ذلك بأنفسهم؛ فالتجأوا إلى تأليب قريش والعرب الموتورين من الاسلام، والطامعين بتحقيق مكاسب مالية وغيرها من حرب كهذه.

ويقول القاضي النعمان ما ملخصه: إن يهود المنطقة، وهم أهل نعم وأموال، وأصحاب رياسة، قد ازعجهم انتشار الإسلام، لأنهم رأوا أنهم يفقدون هيمنتهم على المنطقة وعلى أهل الشرك الذين يكذبون بالبعث، فجحدوا رسول الله وشككوا الآخرين ما أمكنهم بنبوته. فلما كان من أمر احد ما كان ندموا على عدم المساعدة على حرب محمد، لأنهم رأوا أنها كانت فرصة. ولو أقام المشركون على الحرب لظفروا بالمسلمين فأرسلوا إلى أبي سفيان ووعدوه النصر، فوجد انها فرصة. وطلب منهم أن يعلنوا للناس بتكذيب محمد، لأن الناس يركنون إليهم، لأنهم اهل كتاب.

فمضى وجوهم وساداتهم إلى مكة، وشهدوا للمشركين بأنهم أهدى من محمد سبيلاً، فوثقوا بهم، ومشوا معهم إلى قبائل العرب ليقنعوهم بحرب محمد (ص) واستئصاله، وتعاقدوا على ذلك الخ^(١).

الداء الدوي:

قد اتضح مما تقدم: أن اليهود كانوا هم الذين خططوا لحرب الخندق، واتصلوا بقريش وبغطفان، وسائر القبائل، وحرصوهم،

(١) شرح الاخبار ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٩١.

الفصل الاول: الاحزاب الى المدينة ٥٥

وشجعوهم، وساعدوهم على التفاهم والإتفاق ثم المبادرة الى غزو النبي محمد، والمسلمين في المدينة وبذلوا لهم من أموالهم ثلث ثمار خبير أو أكثر من ذلك.

وقد بدا واضحاً من سير الأحداث أن اليهود كانوا أشد حقداً وحنقاً على الاسلام والمسلمين. وأنهم رغم كل الآيات والحقائق التي كانوا يعرفونها ويشاهدونها لم يستطيعوا أن يتفاعلوا مع هذا الدين، ولا تذوقوا طعم الإيمان به. إلا أفراد قليلون منهم وفقهم الله لنيل هذه الكرامة والفوز بهذا الشرف العظيم من أمثال مخيريق الشهيد السعيد رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

ثم إنهم منذ دخل الاسلام إلى المدينة لم تجتمع لهم هم كلمة على حربه، لأنه دخل قوياً عزيزاً بتحالفه مع القبائل ذات النفوذ في المنطقة، ولا سيما الاوس والخزرج. ثم من عقد النبي (ص) تحالفات معهم بين الحين والآخر.

ولم يزل اليهود في موقع الضعف والهوان في قبال عز الاسلام ومنعته، ونفوذه وشوخته. فالتجأوا منذ اللحظة الأولى الى مناوآته بأساليب التآمر والغدر والخيانة، واذكاء الفتنة، وإثارة النعرات العرقية وغيرها، وكان هذا هو السبيل الذي اختاروه لأنفسهم، بعد أن صدوا عن سبيل الله، واتخذوا آيات الله هزوا.

أما المشركون فانهم حين يستجيبون لليهود، فانما يستجيبون لانقاذ سمعتهم، واستعادة هيبتهم التي اهتزت وأصبحت بنكسة قوية بسبب تخلفهم عن بدر الموعد. لدواعي حقد دفين يعتمل في نفوس الكثيرين منهم. أو إلى نوازع الطمع والجشع وحب الحصول على شيء من حطام الدنيا كتمر خبير، لدى كثيرين آخرين، كما ويستجيب

٥٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
فريق آخر لنداء الشيطان، الذي يزين لهم أعمالهم ويعدهم ويمنيهم،
وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، فيصرون على الجحود وعلى
الإستكبار والعتو والعلو. وإن ربك لبالمrصاد.

ولكن حين يفرض الايمان والاسلام نفسه عليهم، فانك تجد
الأمر لا يصل في صعوبته وتعقيده إلى الدرجة التي نجدها عند اليهود
رغم وضوح الأمر لدى اليهود، حتى إنهم ليعرفون هذا النبي كما
يعرفون ابناءهم، ويجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وليس
الأمر بالنسبة للمشركين كذلك، إلا أنهم يرون المعجزات والكرامات،
ويقيم صلى الله عليه وآله وسلم عليهم الحجة، حتى لا يبقى عذر
لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة.

هذا، ومن المضحك المبكي هنا: أننا نجد اليهود يريدون أن
ينتصروا على محمد والمسلمين بواسطة قريش والقبائل العربية،
وقريش تريد أن تحقق هذا الهدف بالذات بالافادة من خيانة اليهود،
ومساعدة قبائل غطفان وغيرها.

أما غطفان وغيرها من القبائل العربية فتريد الحصول على المال
ولكن بالإعتماد على الجهد القرشي والكيد اليهودي. ولم يكن
اهتمامها باستئصال شأفة الاسلام والمسلمين يصل إلى درجة اهتمام
قريش واليهود بذلك - كما ربما يظهر من بعض المؤلفين.

أهداف الحرب:

أما اهداف الحرب فهي كما يظهر من كلامهم السابق استئصال
محمد ومن معه، ولكننا إذا أردنا تحديد ذلك بدقة، فاننا نقول: لقد
حدد علي عليه السلام هدف الاحزاب والعرب من الحرب فقال: «إن

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٥٧

قريشاً والعرب تجمعت، وعقدت بينها عقداً وميثاقاً، لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله، وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب»^(١).

ونعتقد: أن هذا الكلام هو الأقرب والأنسب فيما يرتبط بتحديد الهدف الأقصى للحرب، فإن كلامهم المتقدم في النصوص التي أوردناها، وإن كان ينص على استئصال محمد ومن معه، إلا أن استئصال جميع من مع النبي من الأوس والخزرج، وسائر قبائل العرب لن يكون سهلاً ولا ميسوراً لهم. ولا يمكن لهم أن يقدموا على إذكاء نارٍ قد لا يمكنهم إطفاء لهيبها على مدى أجيال، ولسوف ينالهم منها الشيء الكثير والخطير كما هو معلوم.

أما قتل محمد وبني عبد المطلب، فهو الأسهل والأيسر، وبه يتحقق المطلوب، ولماذا يذهبون إلى أبعد من ذلك؟!!

غير أن من الواضح: أن هذا لن يقنع اليهود، لأن هدفهم هو استئصال محمد وجميع من معه. ولعل ذلك يفيدهم في إعادة بسط هيمنتهم ونفوذهم على يثرب وعلى المنطقة.

أما غطفان وسائر القبائل فيهمتها تمر خبير بالدرجة الأولى، أما استئصال محمد والمسلمين فلا ترى فيه أية سلبية، بل هو أمر محبوب بالنسبة إليها ومطلوب.

الأحقاد هي المحرك:

قد قرأنا فيما سبق: أن اليهود يقولون للمشركون: «جئنا

(١) الخصال - باب السبعة - ج ٢ ص ٣٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٧ والاختصاص ص ١٦٦/١٦٧.

٥٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله». فأجابهم أبو سفيان: «مرحباً
واهلاً، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد».

والذي نريد أن نلفت النظر إليه هنا، هو أن هؤلاء الناس لم
يكلفوا أنفسهم حتى تلطيف عباراتهم، وعقلنة تصريحاتهم. بل أظهروا
كل ما يضمرونه من سوء دونما رادع من خلق، أو وازع من عقل أو
شرف أو منطق.

فلم يقولوا لأهل مكة مثلاً: إننا جئنا لأجل ان نندارس الأمور،
بموضوعية وانصاف، ثم بحكمة وبمسؤولية، واضعين في حسابنا
الحفاظ على المصالح الاجتماعية العامة، وتوفير الأمن والاستقرار
للناس، وتجنبيهم مآسي الحروب وسلبياتها على جميع الأصعدة،
وفي مختلف الاتجاهات، واعطاء الناس الفرصة لبناء حياتهم بناءً
سليماً، ثم الاعداد لمستقبلهم، في ظلال من السلام والأمن، وفراغ
البال واطمئنان خاطر.

كما أنهم قد أخفوا ما يضمرونه من الطموح الى تحقيق مكاسب
سياسية، وامتيازات على صعيد النفوذ والهيمنة على المنطقة، أو فيما
هو أوسع منها.

ولم يعترفوا أيضاً: أن مصالحهم الدنيوية، وما فيها من اموال
وتجارات ومواقع ومناصب، ولذائد لها دور في اندفاعهم إلى حرب
محمد ومن معه، لظنهم أنهم سوف يخسرون الكثير مما يستأثرون به
لأنفسهم على حساب غيرهم من الناس المستضعفين والمحرومين.

بل غاية ما صرحوا به هو أن دافعهم ليس إلا الأحقاد
والضغائن، والعداوات الباطلة، والبغي والحسد، بلا مبرر ظاهر سوى
انهم لا يريدون لهؤلاء الناس أن يقولوا: ربنا الله، وليس الحجارة.

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٥٩

ولا يريدون ان يتخذوا الطواغيت ارباباً من دون الله .

وصدق الله تعالى حيث يقول: «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا»^(١).

يريدون ليطفئوا نور الله سبحانه:

قد عرفنا: أن اليهود انما قدموا مكة ليتحالفوا ويتعاقدوا مع المشركين على استئصال محمد (ص) ومن معه حسب زعمهم، حيث قالوا لقريش: «نحن معكم حتى نستأصل محمداً» أو «سنكون معكم حتى نستأصله ومن معه» .

كما أنهم وهم يقررون ما يتعاقدون عليه، قالوا: «ولتكون كلمتنا واحدة على هذا الرجل ما بقي منا رجل» .

وذلك يعني:

أ - أن هدفهم المعلن هو استئصال شأفة الاسلام والمسلمين .

٢ - إنهم مصممون على تحقيق هذا الهدف بأسلوب الحرب حتى آخر رجل منهم .

٣ - إن هذه المبادرة منهم قد جاءت عن طريق خيانتهم لعهودهم ومواثيقهم التي كانوا قد ابرموها مع نفس الذي يريدون استئصالهم . مع العلم بأن ذلك الطرف لم يزل وفياً بعهده حافظاً لمواثيقه معهم، ولم يحدث أن خان أو تردد في عهد مع أي فريق منهم . ولم يسبّء إليهم ولا إلى غيرهم بشيء إلا ما يجرونه هم على أنفسهم بخياناتهم المتتالية .

(١) سورة المائدة الآية ٨٢ .

٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وهم يرتكبون هذه الخيانة رغم أنهم قد رأوا بأعينهم عواقب خيانة بني قينقاع، ثم خيانة بني النضير، وأكثرهم نضيريون - كما تقدم.

٤ - إن مبرر هذا الاجرام العظيم والبشع هو مجرد الحسد والحقد منهم. بالاضافة إلى مكاسب سياسية، واجتماعية وغيرها يحلمون بتحقيقها على المدى البعيد من خلال فرض هيمنتهم على المدينة وعلى غيرها بصورة وبأخرى.

فلم يكن الهدف عقيدياً ولا انسانياً ولا اخلاقياً. بل هم قد داسوا بأقدامهم الانسانية والأخلاق وحتى مبادئهم وعقيدتهم التي يدعون أنهم ينتسبون إليها وهذا هو منتهى الاسفاف، وغاية التردى في حماة الجريمة والبغي.

الايمان والمواثيق لا تجدي:

وبعد، فإن الملفت للنظر هنا: أننا نجد اليهود يفقدون صفة الاخلاقية والمبدئية في مواقفهم، وفي مجمل تحركهم في مواجهة الاسلام والمسلمين. وكذلك نجد المشركين خصوصاً أبا سفيان لا يختلف عن اليهود في ذلك..

فأبو سفيان يحاول أن يخدع قومه في حركته الهادفة إلى دفعهم إلى مواجهة الاسلام، حيث ان اليهود يتصلون به أولاً، ثم يتفق معهم على دعوة الناس إلى استئصال النبي، وحين يطلبون ذلك من الناس علناً يظهر أبو سفيان بمظهر من يسمع هذا الكلام لأول مرة!!

ثم إنهم يصرحون بأنهم جاؤا للتحالف على العداء لمحمد، فلم

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٦١

يكن هذا المجيء. لمحاولة فهم دعوة هذا الرجل، والتعامل معه ومعها بانصاف وبموضوعية، وتعقل وتدبر كما أسلفنا.

كما أنهم يفضلون الاتصال أولاً بابي سفيان، ولم يكن المبرر لذلك إلا أنهم يعلمون بعداوتهم لرسول الله، وتسرع له لقتاله، فهم يريدون إذن توظيف حالة الحقد غير المسؤول لدى أبي سفيان، وحالة التسرع اللاواعي عنده لصالح تحقيق الأهداف التي يرمون إلى تحقيقها.

أضف إلى ما تقدم: أنهم لا يتورعون عن ارتكاب جريمة التضليل الإعلامي والتعليمي، ومخالفة قناعاتهم، وحتى أصول دينهم في هذا السبيل، فهم يقررون للمشركين أن الشرك أهدي من التوحيد، وأن دعوى الجاهلية خير من الهدي الإلهي.

هذا كله عدا عن استخدامهم المال أيضاً كوسيلة لتحريك بعض الفئات لحرب محمد (ص) ومن معه.

وإذا صحت الرواية التي تقول: إن أبا سفيان قد طلب من اليهود أن يسجدوا للاصنام لأن قريشاً خافت من مكرهم، فاستجاب اليهود، وسجدوا للأوثان. وكذلك فعل كعب بن الأشرف ومن معه، حين جاؤا في مرة سبقت حرب الخندق لتحريض المشركين على حرب محمد - إذا صح ذلك - فان الأمر يصبح في غاية الوضوح؛ حيث يكون اليهود قد أسقطوا عن وجوههم جميع الاقنعة، وتجاوزوا كل حد، وكل الارقام القياسية في سحق المثل والقيم، والمبادئ الأخلاقية والانسانية وأثبتوا أنهم وصوليون بكل ما لهذه الكلمة من معنى ..

والغريب في الأمر: أننا نجدهم يعتمدون على الايمان والمواثيق

٦٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
لاحكام أمرهم مع المشركين، وللحصول على الحد الأدنى من
الاطمئنان والثوق ببعضهم البعض. رغم أنهم قد مارسوا - عملياً -
أساليب من شأنها أن تنسف كل عوامل الثقة ولو بمستواها الأضعف
والأدنى..

ولإلا، فهل يمكن أن يكون المشركون قد وثقوا باليهود لمجرد
أنهم قد رأوهم يسجدون للأوثان؟!

وهل اعتقد المشركون: أن اليهود قد تركوا يهوديتهم، ودخلوا
في الشرك؟!

وإذا كانت الاجابة بالنفي، فما معنى وثوقهم بأيمانهم
ومواثيقهم؟! وما معنى اطمئنانهم إلى عدم مكرهم بهم، وخديعتهم
لهم؟!

أليست نفس استجابتهم لطلب المشركين بالسجود للأوثان دليلاً
على أنهم لا عهد، ولا ميثاق. ولا أيمان لهم؟ بل هي دليل على أنهم
يخادعونهم ويمكرون بهم، ويريدون استخدامهم فيما يريدون بأية
صورة كانت، وبأي ثمن كان؟!

ألم يدرك المشركون: أن وثوقهم باليهود استناداً إلى ذلك معناه
أنهم يخدعون أنفسهم؟! ويظهرون للملأ: أنهم على درجة كبيرة من
الرعونة والسداجة؟!

٢ - ومما يزيد في ضراوة هذه الشكوك: أننا نجد اليهود، حين
سألهم المشركون عن ذلك؛ قد طلبوا من المشركين أن يعرضوا عليهم
دينهم ودين محمد، ليحكموا لهم أو عليهم.

فلما عرضوا ذلك عليهم أصدروا حكمهم لصالح دين

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٦٣

المشركين، وأنهم أولى بالحق كما تقدم. والسؤال هنا هو هل صحيح ان اليهود كانوا لا يعرفون دين المشركين. الذين يعيشون بينهم، ويتعاملون معهم منذ عشرات السنين؟!

وهل كان المشركون أعرف بأمر محمد (ص) وبدعوته، من اليهود، وهو يعيش بين ظهرائهم، وقد عقدوا معه التحالفات، وخاضوا معه الحروب، ولم يزل يدعوهم إلى دينه ويحتج عليهم، وقد جاؤا ليحرضوا الناس على حربه واستئصاله؟!

٣ - والاغرب من ذلك أن يخطر ببال أحد من المشركين وغيرهم: أن يجيب اليهود، الذي جاؤا للتحريض على استئصال محمد، بغير ما أجابوا به!!

٤ - والأعجب من ذلك: أن يعتبر الشرك ديناً يصلح للمقارنة مع ما جاء به النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله تعالى.

تمر خبير:

بقي أن نشير أخيراً إلى هذا السخاء الذي تجلى في اليهود حتى جعلوا تمر خبير سنة، أو نصفه كل سنة لغطفان لتوافق على المشاركة في الحرب ضد الاسلام.

ولا ندري ما هو الدافع لهم للاقدام على هذه الخطوة فهل كان هذا يستبطن غدراً ونقضاً كما هو معروف عن اليهود أي أنهم بعد ان يتخلصوا من عدوهم الاقوى والأخطر بنظرهم يرفضون الوفاء بما تعهدوا به لغطفان.

وهل فكرت غطفان في هذا الأمر بصورة جدية وواقعية؟!

٦٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وما هو المبرر لهذه العداوة الراسخة من اليهود للاسلام ولنبي الاسلام؟!

وكيف نفسر هذا السخاء الذي لا نظير له من قوم لم نعرف عنهم إلا المزيد من الحرص على المال وعلى الدنيا، وإلا الشح المزري، والبخل المشين؟!

هذا السخاء قد جاء من أجل استئصال أناس لم يروا منهم إلا الوفاء والصدق، والنبل، والالتزام بالقيم الانسانية والمثل العليا!!

إن التفسير الوحيد المعقول لذلك هو أنهم يشعرون أن الاسلام يمثل خطراً يهدد دنياهم وامتيازاتهم، وهو يتناقض بصورة عميقة وأساسية مع ما يفكرون به، ويخططون له من استغلال لثروات البلاد، واذلال واستعباد للعباد.

فلماذا إذن، لا يضحون ببعض المال من أجل إزاحة هذا الكابوس الجاثم على صدورهم، فاذا تمكنوا من ذلك، فانهم سوف يستقبلون الدنيا العريضة بكل ما لديهم من خطط مأكرة، وأساليب شيطانية، تجعلهم يتحكمون بكل مقدرات الأمم، ويهيمنون على كل نبضات الحياة فيها.

تأثير المال في تحزيب الأحزاب:

وإن من الواضح: أنه لم يكن لقوى الكفر قيادة موحدة، ترسم الخطة، ثم تتخذ القرار، ثم تعمل على تنفيذه. بل كانت لهم قيادات متعددة ومختلفة، وذلك من شأنه أن يضعف أمرهم، ويوهن وحدتهم، مع وجود فرص تساعد على القاء الخلاف فيما بينهم،

٦٥ الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة
وإذكاء روح التنافس، وإشاعة روح التشكيك ببعضهم البعض كما حصل لبني قريظة.

كما أن من البديهي: أنه لم يكن بإمكان كل قبيلة أن تستقل بعداوة محمد وقتاله. وكانت كل قبيلة تخشى من مواجهة المؤمنين وحدها. فكان لا بد من تفاهم القبائل فيما بينها لتحصيل اجماع على الاجتماع على قتال محمد وصحبه. فبادر اليهود إلى العمل لتحصيل هذا الإجماع، على أمل أن يحسموا الأمر لصالحهم، ويكونون بذلك قد ثأروا لانفسهم، وتصبح - من ثم - لهم هم الكلمة الأولى والأخيرة في المدينة على الأقل، ويكون لهم النفوذ والتأثير القوي في المنطقة بأسرها. ثم إنه قد كان من جملة العوامل التي ساعدت على تجيش الجيوش وتحزيب الأحزاب، هو الوعود المالية السخية للناس، إذا نفروا لحرب المسلمين. حتى لقد رفض بنو مرة نصيحة الحارث بن عوف، إذ قد «غلب عليهم الشيطان، وقطع اعناقهم الطمع»^(١).

الإرهاب الفكري والخداع للسذج

وقد اظهر النص المتقدم أن قريشاً - والظاهر أن المقصود هو الزعماء منها - أرادت خداع السذج والبسطاء من الناس بالاستفادة من حالة الانبهار بأهل الكتاب، التي كانت لدى عامة الناس في المنطقة العربية، التي كانت حين ظهور الاسلام تعاني من الجهل الذريع، الذي مكن لشياطين أهل الكتاب أن يصوروا لهم: أنهم هم مصدر العلوم والمعارف، وهم المرجع والموئل والمفرع للناس فيما يهمهم من أمور الدين، والمعارف الدينية.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠.

٦٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

واستطاع أهل الكتاب أن يمسكوا بعواطف الناس، البسطاء والسذج والجهلة باستخدام طريقة التهويل والاحالة على الغيب الذي يضعف أقوى الناس أمامه إذا كان يلامس مصيره ومستقبله بصورة أو بأخرى.

والملفت هنا: أن يستغل زعماء قريش هذه الفرصة للاستفادة من هذا الانبهار من أجل سوق الناس بالاتجاه الذي يريدون، ويرون أنه يحقق لهم مآربهم، ويوصلهم إلى أهدافهم الشريرة.

فيطلبون من الناس: أن يسألوا اليهود عن الأهدى من الفريقين: أهم بشركهم وضلالاتهم؟ أم محمد (ص) وما جاء به من عند ربه من الهدى؟ ويأخذ أبو سفيان هنا زمام المبادرة ليلقي سؤاله بطريقة فنية وذكية، حينما ضمن كلامه خليطاً من الأمور التي ترضي آنثد غرور الانسان العربي والقرشي على وجه الخصوص، بملاحظة طبيعة حياته، وعاداته وموقعه، ككونهم ينحرون الجزور الكوماء، ويسقون الحجيج، وكونهم عمار البيت، ثم هم يعبدون الاوثان.

فيفهم اليهود ما يرمي إليه ويناغمون الكيد والتزوير. ويحكمون لهم بأنهم أولى بالحق من محمد بالاستناد إلى نفس ما أراد أبو سفيان ان يستندوا إليه والقى إليهم به.

الحارث بن عوف ينصح قومه:

ويستوقفنا هنا ما قاله الحارث بن عوف لقومه، وهو ينهاهم عن المسير إلى حرب محمد (ص)، فانها نصيحة مهمة تعبر عن إدراك حقيقي لما يجري، ثم هو يقيّم الواقع بصورة متوازنة، وعاقلة؛ حيث

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٦٧

عبر لهم عن اعتقاده أن أمر الاسلام ظاهر وغالب، ولو ناوأه ما بين المشرق والمغرب لكانت له العاقبة.

ونعتقد: أنه قد ادرك هذا الأمر بحسن تقديره للأمر، وهو يراقب ما يطرحه هذا الدين للناس من مفاهيم وتشريعات، وما يمارسه من تدابير وسياسات تنسجم مع أحكام العقل والفطرة السليمة، ومع الخلق السامي والنبيل. ثم هو يرى الواقع السياسي، وكل التحولات التي تستجد على المنطقة بصورة مطردة ومستمرة، ويرى أن هذا الدين لا يزال ينتشر، ويتجذر، ويطرسخ، وتتنامي هيئته وتتأكد هيئته، رغم كل الكيد الذي يواجهه به أعداؤه، وكل الحقد الذي يعامله به مناوؤوه.

عقدة بدر الموعد:

وإن الماح صفوان بن أمية إلى ما جرى في بدر الموعد، ليدل دلالة واضحة على أن المسلمين قد سجلوا فيها نصراً مؤزراً للاسلام وهزيمة روحية وسياسية ساحقة لكبرياء الكفر والشرك ليس في مكة وحسب، وإنما في المنطقة بأسرها. ولكن من دون أن يكلف ذلك المسلمين أية تضحيات، بل هم قد ربحوا في تجارتهم في سوق بدر، حسبما تقدم بيانه.

عيينة بن حصن والمعاني الانسانية:

ربما يفهم من كلام البعض: أن الحارث بن عوف كان يرتبط مع النبي (ص) بجوار، لكنه اعتبره أحسن تقية من عيينة بن حصن.

٦٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ولعل السر في ذلك هو: أن الحارث، وإن كان قد نقض الجوار، الذي قد يقال: إنه يعني الالتزام بعدم الإعتداء، حفظاً للجوار، مع أن البعض كالزهري، وبني مرة ينكرون أن يكون الحارث قد فعل ذلك، ويصرون على أنه لم يحضر حرب الخندق.

إلا أن عينة قد زاد على ما فعله الحارث: أنه لم يحفظ الجميل، بل جازى الإحسان إليه بالإساءة، ولكنها إساءة جاءت على درجة كبيرة من القبح، لأنها تضمنت خروجاً على كل الأعراف، والقيم، وحتى أعراف الجاهلية. فقد تقدم ان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان قد سمح لعينة، حينما أجذبت أرضه: أن يرعى في منطقة نفوذ وسيطرة وحاكمية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لينقذهم من الخطر الذي يتهددهم، ويساعدهم على التغلب على المشكلة الحياتية التي يعانون منها، رغم أنهم كانوا يختلفون معه (ص)، من جهة أنهم كانوا على شركهم وضلالهم. ففعل (ص) ذلك من دون أي مقابل، ودون أن يسجل لنفسه أي امتياز.

وقد عرف عن العرب أنهم يعتزون ببعض المعاني التي يرون فيها شيئاً من القيمة، مثل: حسن الجوار، وحفظ الجوار، والوفاء بالعهد، ومقابلة الإحسان بمثله. ويعتبرون ذلك هو الرصيد الذي يؤهلهم لاحتلال مواقع اجتماعية متميزة، حتى إذا ما تبين لهم أن أحداً لا يملك شيئاً من هذا الرصيد، فانه يبوء بذل العمر، وعار الدهر، وهو عندهم ساقط ومرذول، أو هكذا زعموا.

ولكن الأمور عند هؤلاء الناس قد انعكست الآن، حيث أصبح العداء للإسلام ولنبي الإسلام هو العمل الصالح عندهم الذي يبيح لهم كل محرم، وتهاوى وتسقط معه كل قيمهم ومثلهم، التي يعتزون بها،

الفصل الأول: الأحزاب الى المدينة ٦٩

ويعطون الاوسمة والامتيازات من خلالها وعلى أساسها.

فنقض العهود، وخفر الجوار، والاساءة لمن أحسن، وكل خزي وعار لم يعد مهماً عندهم إذا كان ذلك في قبال محمد (ص) وضد الاسلام والمسلمين. بل إن هذه المخازي قد أصبحت أوسمة لهم، ومن دواعي تأكيد شخصيتهم، وبسط هيمنتهم بزعمهم.

وإلا، فكيف نفسر احتفاظ عيينة بن حصن، وكثيرين من امثاله بمواقفهم الإجتماعية، وهم قد اثبتوا أكثر من مرة أنهم لا يملكون شيئاً من هذه المعاني التي قبلها العرب، وتبنوها، وتغنوا وافتخروا بها.

وقبل أن نخلص إلى نهاية القول: نقول: إن من الطبيعي للإنسان الذي يحتفظ بميزاته وخصائصه الانسانية ان يشعر بالامتنان تجاه من يحسن إليه، ويشعر بالاحترام والتقدير تجاه من يحسن جواره وكذلك تجاه من يتعامل معه بطريقة أخلاقية وانسانية، حتى ولو كان يختلف معه في الرأي، وفي العقيدة والدين.

فإذا أراد أن يكون له موقف يختلف عن هذا، فلا بد أن يتناقض أولاً مع نفسه، ويقوم صراع حادّ مع تلك الخصائص النبيلة، ولن يكون قادراً على اتخاذ ذلك الموقف إلا بعد أن يتم التغلب عليها وقهرها.

وتختلف صعوبة اتخاذ القرار، والموقف هذا باختلاف درجات البشاعة والشر فيهِ، إلا إذا فرض: أن تلك المعاني الانسانية قد تناهى بها الضعف، بسبب ممارسات سابقة، حتى بلغت درجةً فقدت معها تأثيرها وفاعليتها. وأصبح الانسان بذلك على درجة كبيرة من الصلف واللامبالاة، والوقاحة، وتحول إلى مجرم معترف، لا يبالي أي شيء يرتكب ويقترف، كما كان الحال بالنسبة لعيينة بن حصن، الذي

٧٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

هو موضع البحث.

وأخيراً، فإن عيينة بن حصن هذا هو الذي يروى أن النبي وصفه بالاحمق المطاع، وكان من المؤلفة قلوبهم، وقد ارتد عن الاسلام بعد ذلك، وقاتل تحت قيادة طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة. فلتراجع ترجمته في كتب الرجال والتراجم.

شك المشركين:

والملفت للنظر هنا: أننا نجد المشركين يشكون في صحة ما هم عليه، كما أن طلب أبي سفيان من اليهود تصديق ما هم عليه يشير الى طغيان هذه الشكوك إلى درجة كبيرة حتى احتاجوا الى تسكينها وطمأنة الناس وتثبيتهم.

الفصل الثاني:

**الخدق في خطة
الحرب والدفاع**

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٧٣

المفاجأة

١ - إن معرفة الانسان بعدوه تجعله أقدر على التعاطي معه من موقع القوة والحزم، من خلال ما تهيء له تلك المعرفة من قدرة على رسم الخطة السليمة، ثم التنفيذ الدقيق والواعي.

ولا تقتصر هذه المعرفة المؤثرة على معرفة عناصر الضعف والقوة في العدة وفي العدد، وسائر النواحي العسكرية، والامتيازات الحربية. بل تتعداها إلى الإشراف على خصائص شخصية العدو، والمعرفة بطبائعه، وأخلاقياته، ومبادئه ومفاهيمه، وعاداته وتقاليده، ومستواه الفكري والعلمي، وما إلى ذلك، مما له دور وتأثير في اتخاذ القرار العسكري، أو تسجيل الموقف على الصعيد السياسي، أو التعامل في مجال السلوك. وهكذا على كافة الصعد. ثم انعكاسات ذلك كله على التحرك باتجاه حشد الطاقات، ورسم الخطط، والاعداد والاستعداد للمواجهة والتصدي.

فإن التعامل مع العدو الذي يلتزم بالعهود والمواثيق، يختلف عنه مع من عرف أن من طبيعته الغدر، وعدم الوفاء. كما أن التعامل مع من يلتزم بعهده لدوافع دينية وعقيدية ومبدئية يختلف عن التعامل مع من يلتزم بذلك لدوافع أخرى... وهكذا الحال في سائر النواحي ومختلف المواضع والمواقع.

٧٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

٢ - ونبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف تماماً حقيقة ما يفكر به المشركون، واليهود والمنافقون، وسائر القوى التي تحيط به. ثم هو يعرف طبيعة تركيباتهم السياسية، والاجتماعية، وواقعهم الثقافي والاقتصادي. ثم هو يعرف نهجهم، وأساليبهم، وطموحاتهم وطريقتهم في الحياة.

وقد اثبتت له التجربة الحسية في اكثر من موضع وموقع ما ينطوون عليه من غدر وخيانة، ومن روح أنانية تأمرية حاكمة وشريرة، وغير ذلك من أوضاع وحالات.

وهذا الواقع العدائي، والروح التآمرية، وتلك الاعمال الخيانية، التي كانت تهيمن على أعداء الله والانسانية، قد فرضت على النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين أن يعيشوا حالة الحذر القصوى، فكان أن بث رسول الله (ص) عيونه وارصاده في طول البلاد وعرضها في الجزيرة العربية، هذا بالإضافة إلى ما كان يلمسه (ص) من التسديد بالوحي والالطاف الالهية به (ص) وبالمسلمين في الفترات الحرجة، والخطيرة.

وهذا ما يفسر لنا ما نشهده من معرفة النبي التامة بواقع ما يجري حوله، فلم يكن ليفاجئه أمر داهم، بل كان هو الذي يفاجيء أعداءه ويباغتهم. إما بسبقه لتوجيه الضربة الأولى لهم، وإما بمواجهتهم بالخطة التي تبطل كيدهم، وتفشل مؤامراتهم، ومكرهم السيء، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

وهذا بالذات هو ما حصل في حرب الخندق، حيث فاجأ المشركين بحفر الخندق حول المدينة، وتحصين سائرهما، الأمر الذي احبط خططهم، وتسبب لهم بالفشل الذريع، والخيبة القاتلة والمريرة.

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٧٥

٣ - أما معرفة اعداء النبي بالنبي (ص) فهي تختلف في مضمونها، وفي آثارها ونتائجها عن معرفته بهم؛ فانهم وإن كانوا يعرفون نبوته وصدقه وامانته، ولا يشكون في حقانية ما جاء به.

إلا أنهم يجهلون الكثير الكثير من آثار الاسلام، والايمان، ولا يعرفون الكثير عما يحدثه الالتزام بتعاليمه وشرائعه من تغييرات عميقة في فكر وروح الانسان وفي شخصيته، وفي كل وجوده.

نعم، إنهم يعرفون صدق هذا النبي، وصحة نبوته، وحقانية ما جاء به، إلى درجة أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ويجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل.

أما المشركون، فقد عاش النبي (ص)، بينهم، وعرفوه طفلاً ويافعاً، وشاباً ومكتهلاً، وهم الذين سموه بالصادق الأمين. ورأوا منه الكثير من المعجزات والكرامات والخوارق. وعانوا وسمعوا منه من الحجج ما يقطع كل عذر، ويزيل كل شبهة وريب، حتى لم يعد أمامهم إلا البخوع والتسليم، أو الاستكبار والجحود على علم، فالزموا أنفسهم بالخيار الثاني؛ كما حكاه الله تعالى عنهم: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا».

فكان من نتيجة ذلك: أن أصبح محض الحق، يواجه محض الكفر والجحود وظهر بذلك صحة قوله (ص) حين برز علي عليه السلام لعمر بن عبد ود الذي وضع المشركون فيه كل آمالهم: «برز الايمان كله إلى الشرك كله».

ولا عجب بعد هذا إذا تعاون أهل الشرك والأوثان، مع اليهود مدعي التوحيد. بل لا عجب إذا رأينا هؤلاء اليهود، الذين يدعون

٧٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
 أنهم يعبدون الله يشهدون لأهل الأوثان بأنهم أهدى من أهل التوحيد،
 رغم أن ذلك يستبطن اعترافاً من اليهود ببطلان دينهم وعقيدتهم!!
 وبعدها تقدم، فأننا نستطيع أن نتفهم بعمق السبب في أن هذه
 الحرب فيما بين المسلمين وأعدائهم لا بد أن تكون مريرة وقاسية،
 وتتميز بالشمولية والإتساع، والعمق. ثم برسوخ آثارها على كل
 صعيد. ما دام أن أعداء الاسلام يرون ضرورة أن تستنفذ جميع
 الطاقات المتوفرة لديهم للهدم وللإستصال، والابادة الشاملة، فإن
 الهدف هو استئصال محمد ومن معه. ويمكرون ويمكر الله والله خير
 الماكرين.

المشورة، والتخطيط:

ويقول المؤرخون: إنه لما فصلت قريش من مكة إلى المدينة
 خرج ركب من خزاعة إلى النبي فساروا من مكة إلى المدينة أربعاً
 فأخبروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر. فذلك حين ندب
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس، وأخبرهم الخبر.
 وشاورهم في أمرهم، وأمرهم بالجد والجهاد، ووعدهم النصر، إن
 هم صبروا واثقوا، وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله.

وشاورهم (ص) - وكان يكثر من مشاورتهم في الحرب - فقال:
 أنبرز لهم من المدينة؟ أم نكون فيها ونخندقها علينا؟ أم نكون قريباً
 ونجعل ظهورنا إلى الجبل؟!

فاختلفوا.

[زاد المقرئ قوله: وكان سلمان الفارسي يرى رسول الله (ص)

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٧٧

يهم بالمقام بالمدينة^(١)، ويريد أن يتركهم حتى يردوا ثم يحاربهم على المدينة وفي طرقها فاشار بالخندق].

فقال سلمان: يا رسول الله! إنا إذ كنا بأرض فارس، وتخوفنا الخيل خندقنا علينا؛ فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟!

فاعجب رأي سلمان المسلمين. وأحبوا الثبات في المدينة.

فركب رسول الله (ص) فرساً له، ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين، والانصار؛ فارتاد موضعاً ينزله؛ فكان أعجب المنازل إليه: أن يجعل سلماً - جبل معروف بسوق المدينة - خلف ظهره، ويخندق على المذاد، إلى ذباب، إلى راتج.

فعمل يومئذ الخندق.

وندب الناس، وخبرهم بدنو عدوهم، وعسكرهم الى سفح
سلع^(٢).

واختصر ذلك المفيد وابن شهر اشوب، فقال: «فلما سمع النبي (ص) باجتماعهم استشار أصحابه، فاجتمعوا على المقام بالمدينة، وحربهم على انقابها»^(٣).

ولنا مع هذا الذي يذكره المؤرخون وقفات، وهي التالية:

(١) لا ندرى من أين فهموا: أنه كان يرى ذلك، ولو كان حقاً يرى ذلك فلا ندرى من أين فهموا أن رسول الله كان يهم بالمقام في المدينة.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ والامتناع ج ١ ص ٢١٩ و ٢٢١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ والمج الى ذلك في: الثقات ج ١ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ وراجع سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٤ و ٥١٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ والارشاد ص ٥١ وكشف الغمة للاربلي ج ١ ص ٢٠٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥١.

٧٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

من أخبر النبي (ص) بمسير الأحزاب:

قد تقدم أن ركباً من خزاعة قدم إلى المدينة في مدة أربعة أيام؛ فأخبروا النبي (ص) بمسير الأحزاب إليه.

ولكننا نجد نصاً آخر عن علي عليه السلام يقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد علم بذلك من جهة جبرئيل عليه السلام «فخندق على نفسه ومن معه»^(١).

ولا نستبعد أن يكون كلا الأمرين قد حصل.

وقد ذكرنا فيما سبق أن خزاعة كانت ترتبط مع الهاشميين بحلف عقده معها عبد المطلب رحمه الله، وقد بقيت وفية لهذا الحلف، وكانت عيبة نصيح لرسول الله (ص).

وقد أشرنا فيما سبق إلى أنها قد دفعت ثمن هذا الوفاء غالياً فيما بعد وفاة رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. فجزى الله أنصار الله، وأنصار رسوله خير جزاء وأوفاه. إنه ولي قدير، وبالإجابة حري وجدير.

من المشير بحفر الخندق؟!

إن السياق المذكور آنفاً يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بادر إلى اقتراح حفر الخندق، ثم لما اختلف المسلمون تكلم سلمان الفارسي رحمه الله بطريقة بين لهم فيها وجه

(١) الخصال - باب السبعة ج ٢ ص ٢٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ عنه.

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٧٩

الحكمة في اعتماد اجراء كهذا، فاعجبهم ذلك حينئذ، فقبلوه، واجتمعت كلمتهم عليه.

ولكن كلمات كثير من المؤرخين قد أظهرت أن سلمان هو المشير بحفر الخندق^(١). من دون أن تشير الى أي تحفظ في ذلك.

وهذا هو ما استنتجه بعض المشركين حين فوجئوا بالخندق^(٢).

بل قال مسكويه: «فأشار سلمان على رسول الله صلى الله عليه

(١) راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ وج ٤ ص ١٢٠٦ والثقات ج ١ ص ٢٦٦ والتبئية والاشراف ص ٢١٦ وسيرة مغلطاي ص ٥٦ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ والوفا ص ٦٩٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و ٤٧٩ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٧٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٨ ص ٣٥ وانساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٣ ومناقب آل ابي طالب ج ٣ ص ١٣٤ و ج ١ ص ١٩٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٤ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥١ و ٢١٨ و ١٩٧ وج ٤١ ص ٨. ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ واعلام الوري ط دار المعرفة ص ٩٩ والخرائج والجرايح ج ١ ص ١٥٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٤ وحدائق الانوار ج ٢ ص ٥١٥ والارشاد للمفيد ص ٥١ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ ومختصر التاريخ ص ٤٣ وحبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ وسعد السعود ص ١٣٨.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ وبحار الانوار ج ٢٠ ص ٢٢٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٧٣ وراجع: الارشاد للمفيد ص ٥٢ وكشف الغمة للاريلي ج ١ ص ٢٠٢ واعلام الوري ط دار المعرفة ص ١٠٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥. وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤.

٨٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

لما رآه يهيم بالمقام بالمدينة، ويدبر أن يتركهم حتى يردوا، ثم يحاربهم على المدينة وفي طرقها: أن يخندق. ففعل ذلك»^(١).

لكن مؤرخين آخرين قد عبروا عن شكهم في هذا الأمر، فقال بعضهم: «استشار النبي (ص) سلمان - فيما يزعمون - بأمر الخندق»^(٢).

وقال آخرون: «فحفر الخندق. قيل: أشار به سلمان»^(٣).

وفي مقابل ذلك نجد ابن اسحاق وكذا غيره ينسب حفر الخندق الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يشير الى مشورة سلمان، ولا من قريب ولا من بعيد^(٤).

بل ان النبي (ص) قد كتب في رسالته الجوابية لابي سفيان: «وأما قولك من علمنا الذي صنعنا من الخندق، فان الله الهمني ذلك»^(٥).

(١) تجارب الأمم ج ١ ص ١٤٩.

(٢) البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ وراجع: اعلام الورى ص ٩٠.

(٣) راجع: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ والعبر وديوان المبتدا والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ والبداء والنهاية ج ٤ ص ٩٥ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٢/١٨٣ وراجع قول ابن هشام في السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٥ وراجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٥٠.

(٤) راجع: السيرة النبوية، لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وعيون الاثر ج ٢ ص ٥٥. وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩ عن ابن عقبة وص ٤٠٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٢ وتاريخ الاسلام للذهبي المغازي ص ٢٣٤ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٢.

(٥) الامتاع ج ١ ص ٢٤٠ وخاتم النبیین ج ٢ ص ٩٤٢.

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٨١

وكل ذلك يجعلنا نميل الى أن كلام الواقدي قد جاء اكثر دقة في هذا المجال. وهو يفسر لنا السر في كلام ابن اسحاق من جهة، وكلام غيره المقابل له من جهة أخرى...

أما أولئك الذين ظهر منهم التردد في ذلك فلعلهم لم يقفوا على كلام الواقدي. ولم يتمكنوا من الجمع بين كلام ابن اسحاق وهو الحجة الثبت في السيرة، وبين كلام غيره.

وعى سلمان:

ولا نخفي هنا اعجابنا بهذا الوعي من سلمان المحمدي، حيث بادر في الوقت المناسب إلى تقديم تبرير لأولئك الناس الذين اختلفوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، يتوافق مع طريقة تفكيرهم، حيث قرر لهم: أن الخندق المقترح من شأنه أن يحدّ من فاعلية الخيل في الحرب، ويدفع غائلتها، ويصبح الجهد الشخصي للأفراد هو الذي يقرر مصير الحرب ونتائجها.

فكان أن استجاب المسلمون لاقتراح حفر الخندق، وأعلنوا موافقتهم عليه، وتحملوا مسؤولية الخيار والإختيار، وهذا بالذات هو ما أراده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

لو كان الخندق بإشارة سلمان:

وقد رأينا: أن عدداً من المؤرخين قد زعم أن الخندق قد حفر بإشارة سلمان، وإن كنا نرجح: أن النبي (ص) هو الذي بادر الى اقتراحه فاختلف المسلمون، فكان دور سلمان ان بين لهم وجه

٨٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
الحكمة في ذلك، حسبما تقدم بيانه عن الواقدي ..

ومهما يكن من أمر؛ فقد ظهر أن المشركين قد فوجئوا بالخندق وقالوا عنه: إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها^(١) ولعل الانظار قد اتجهت الى سلمان الفارسي منذئذ ..

وسواء أكان ذلك بمشورة سلمان أم لم يكن فإن ما نريد أن نؤكد عليه هو أن الإسلام لا يمنع من الاستفادة من تجارب الآخرين، ومن خبراتهم في المجالات الحياتية البناء فقد روي:

أن «الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها» وفي معناه غيره^(٢).

نعم، إن المؤمن احق بالحكمة من غيره، ما دام أن ذلك الغير قد يستفيد منها لتقوية انحرافه، وتأكيد موقعه المناوئ للحق وللإصالة والفطرة.

وقد رأينا: أن النبي (ص) قد أطلق الصناعات وأصحاب الحرف في خير ليستفيد بهم المسلمون^(٣).

وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشركين في بدر، الذين لا يجدون ما يفتدون به: أن يعلم الواحد منهم عشرة من أطفال

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٢٣٨ وتحف العقول ص ١٣٨ و ٢٩٢ وغرر الحكم ج ١ ص ٣٩٤ والبحار ج ٧٥ ص ٣٤ و ٣٨ و ٣٠٧ و ج ٢ ص ١٧ و ٩٦ و ٩٧ ومواضع أخرى منه. وراجع: دستور معالم الحكم ص ١٩ والمجروحون ج ١ ص ١٠٥ والتراتب الادارية ج ٢ ص ٣٤٨.

(٣) راجع: التراتيب الادارية ج ٢ ص ٧٥ وستأتي إن شاء الله بقية المصادر في غزوة خيبر.

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٨٣

المسلمين القراءة والكتابة، ويطلق سراحهم في مقابل ذلك^(١).

ولكن هذه الاستفادة مشروطة بأن لا تنشأ عنها سلبات أخرى، كما لو كان ذلك يعطي لأولئك المنحرفين فرصة لتضليل الناس، وجزّهم الى مهالك الانحراف، أو يعطيهم بعض النفوذ والهيمنة، أو يجروهم على التدخل في الشؤون الخاصة بالمسلمين، وما الى ذلك.

وهكذا، فانه يصبح واضحاً: أن المرفوض اسلامياً هو التبعية للآخرين والإنبهار الغبي بهم، وتقليدهم على غير بصيرة. وأما الاستفادة الواعية من منجزاتهم الحيوية لبناء الحياة، والتغلب على مصاعبها، بصورة تنسجم مع أحكام الشرع، ومن دون أن تنشأ عنه سلبات خطيرة فذلك أمر مطلوب، ولا غضاضة فيه.

وحتى لو كان الخندق بإشارة سلمان من الاساس، وكان سلمان قد استفاد ذلك من بيئته وقومه، الذين ما كانوا على طريقة الاسلام، ولا على دين الحنيفية، فلا ضير ولا غضاضة في قبول مشورته. بل الغضاضة في ترك العمل بتلك المشورة إذا كانت موافقة للصواب، ويتسبب الاعراض عنها بوقوع المسلمين في مأزق، هم في غنى عنه، ولا مبرر للوقوع فيه. مع وجود مخرج ليس في العمل به حرج ولا تنشأ عنه أية سلبات يرغب عنها.

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٤٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٣ والروض الأنف ج ٣ ص ٨٤، والطبقات الكبرى ج ٢ ق ١ ص ١٤، والتراتب الادارية ج ٢ ص ٣٤٨ وج ١ ص ٤٩/٤٨ عن السهيلي، وعن المطالع النصرية في الاصول الخطية، لأبي الوفا نصر الهوريني، وعن الامتاع للمقريزي ص ١٠١.

٨٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩ طريقة استشارته (ص) أصحابه:

هذا، ولا نرى أننا بحاجة الى التذكير بمبررات مشاوره النبي (ص) أصحابه، في أمر الحرب، فقد تحدثنا عن ذلك، وعن أسبابه، وآثاره الإيجابية في أوائل غزوة أحد.

غير أننا نشير هنا إلى أننا نلمح في طريقة مشاوره النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه خصوصيتين رائعتين تجلنا لنا في النص الذي ذكره الواقدي.

إحداهما: إنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بادر الى اقتراح حفر الخندق ثم انتظر مبادرة سلمان الاقناعية، متعمداً أن تسير الأمور بهذه الطريقة، سياسة من (ص) لأصحابه، وترويضاً لعقولهم، واعداداً لهم ليبادروا الى تحمل المسؤولية، ولغير ذلك من أمور.

الثانية: إنه صلى الله عليه وآله وسلم في نفس الوقت الذي يمارس فيه أسلوب المشاورة بهدف تحسين أصحابه بالمسؤولية، وافهامهم عملاً، لا قولاً فقط - أنهم الجزء الحركي والفاعل والمؤثر حتى على مستوى التخطيط، والقرارات المصيرية، وأن القضية قضيتهم، بما يعنيه ذلك كله من ارتفاع ملموس في مستوى وعيهم وتفكيرهم السياسي، والعسكري، وغير ذلك من أمور كانت محط نظره صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم، إنه في هذا الحين بالذات يطرح أمامهم خيارات من شأنها أن تخرجهم من حالة الضيق والخرج، وتفتح أمامهم نوافذ جديدة على أفاق رحبة من التدبير العسكري، الذي يحفظ لهم وجودهم، ويبعد عنهم شبح الهزيمة المرة، أو التعرض لحرب تحمل معها أخطار القتل الذريع، دون أن يجدوا في مقابل ذلك أيًا من تباشير النصر، أو التفاؤل به.

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٨٥

الخندق في إيجابياته الظاهرة:

قد تحدثنا في غزوة أحد في الفصل الأول منها، في فقرة: ما هو رأي النبي ص في أحد، ما يفيد الاطلاع عليه في فهم إيجابيات البقاء في المدينة، والتمتع فيها، فيرجى مراجعة ما ذكرناه هناك.

أما هنا، فنقول: انه لم يطل بالمسلمين الأمر، حيث إنهم سرعان ما أدركوا: أن حفر الخندق هو ذلك التدبير الذكي الرائع، الذي فوت على عدوهم ما كان يحلم به من منازلهم ومكافحتهم الى درجة الحاق الهزيمة بهم ثم استئصالهم وإبادة خضرائهم، وتقويض عزهم.

وقد أعطى الخندق المسلمين القدرة على ممارسة التسويف في الوقت، وهو الأمر الذي لم يكن المشركون قادرين على تحمل التسويف فيه الى أجل غير مسمى.

وقد رأى المسلمون بأم أعينهم:

١ - كيف أن عدوهم لم يستطع الصبر طويلاً، بسبب بعده عن مصادر الإمداد البشري والتمويني، مع ملاحظة محدودية طاقاتهم التموينية؛ لعدم امكان توفير مدّخرات كافية لهذا العدد الهائل من الناس، ولكل ما معهم من خيل وظهر كانوا بحاجة اليه في حريهم فان منطقة الحجاز لم تكن قادرة - بحكم طبيعة حياة الناس فيها - على توفير هذا النوع من القدرات والإمكانات بهذا المستوى الكبير، والحجم الهائل - ولا أقل من أن المشركين لم يفكروا مسبقاً بإيجاد خطوط تموين لحرب طويلة الأمد. ولا خططوا أبداً لمثل هذه

٨٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الحرب، كما أنهم لم يعتادوا حروباً كهذه ولا ألفوها؛ فمن الطبيعي -
والحالة هذه - ان يملوا حرباً كهذه، وينصرفوا عنها.

٢ - إن هذا الخندق قد استطاع أن يحفظ لهم وجودهم
وكرامتهم، فلم يسجل عليهم عدوهم نصراً وقد كبت الله به عدوهم،
وردّهم بغيظهم لم ينالوا شيئاً مما كانوا يحلمون به، دون أن يكلف
ذلك المسلمين خسائر تذكر، وحرّم المشركين بذلك من امكانية اشراك
اعداد ضخمة في المواجهات مع المسلمين.

٣ - ثم وجد المسلمون أنفسهم بعد ذلك أمام فرص اكبر، وحظ
أوفر من ذي قبل، واستمروا يواصلون جهدهم وجهادهم للحصول
على المزيد من أسباب القوة، والمنعة، والعمل على اضعاف عدوهم.
وتقويض هذا التوافق فيما بين فئاته لصالح بقاء هذا الدين، وترسيخ
دعائمه وأركانه.

٤ - إنه صلى الله عليه وآله قد جمع بين أن خندق على المدينة،
وبين جعل جبل سلع خلف ظهر المسلمين - كما سنرى - فيكون بذلك
قد استفاد من الموانع الطبيعية، ثم أحدث مانعاً مصطنعاً من الجهة
الأخرى، لتكتمل خطته بحرمان العدو من أية فرصة للنيل من صمود
المسلمين، أو إحداث أي إرباك، أو تشويش، أو خلخلة، أو مناطق
نفوذ وتسلل في صفوفهم.

وأخيراً، فنجد نصاً عن سلمان الفارسي يصرح فيه بالمبررات
لحفر الخندق، فهو يقول:

«يا رسول الله، إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة.

قال: فما نصنع؟

قال: نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٨٧

المطاولة. ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه. فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق، فيكون الحرب من مواضع معروفة.

فنزول جبرئيل (ع) على رسول الله (ص) فقال: أشار سلمان بصواب^(١).

بين الأصالة والتجديد:

وآخر ما نقوله هنا: أن حفر الخندق قد أفهم المسلمين: أنه ليس من الضروري أن يبقى الإنسان أسير الأفكار والعادات والأساليب المتداولة في المحيط الذي يعيش فيه، فإذا كان باستطاعته أن يبتكر أساليب، ويحدث وسائل جديدة، تمكنه من تحقيق أهدافه على النحو الأفضل والأمثل، فعليه أن يبادر إلى ذلك، ويكسر حاجز الاستغراب والاستهجان والرغبة، ويتحرر من عقدة الحفاظ على القديم، أو على العادة والتراث لمجرد أنه قديم وتراث، ومن موقع الجمود، والخواء، والتقوقع.

أما إذا كان هذا القديم يمثل الأصالة، والعمق والانتماء، ويعيد للإنسان هويته الحقيقية، ويحول بينه وبين التخلي عن خصائصه الإنسانية الأصيلة، فذلك القديم يكون هو الجديد النافع، في مقابل كل ما هو غريب، أو يجر الإنسان إلى غربة حقيقية، تبعده عن واقعه، وتجرده من خصائصه الإنسانية الأصيلة، ليعيش في الظلام والضياء، حيث الشقاء والبلاء، وحيث الوحشة والوحدة والغربة، بكل ما لهذه

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢١٨.

٨٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
الكلمات من معنى.

فالتجديد الايجابي البناء هو الأصالة ذاتها. أما التجديد الذي يفقد الانسان أصالته، فهو الذي يمثل العودة إلى الوراء، وهو حقيقة التغرب والإنحطاط، والسقوط والتراجع. وهو بالتالي الكارثة الحقيقية والمدمرة له إن في الحاضر أو في المستقبل.

أضف إلى ما تقدم: أن التعارف فيما بين الشعوب المختلفة حين ينتهي إلى توظيف حصيلة تجاربها الحياتية لاستكمال سماتها الأصيلة للحياة بكل امتداداتها وعلى مختلف المساحات في الآفاق الرحبة؛ فإن هذا التعارف يصبح ضرورة لا بد منها ولا غنى عنها لأمة تريد لنفسها الخير والسعادة والفلاح. وتريد كذلك أن تستثمر ذلك كله في خط التقوى والعمل الصالح. وفي صراط حصصه الحق ليكون هو الملاذ، والرجاء، في كل شدة ورخاء. وقد قال تعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾^(١).

أين كان الخندق وما هي مواصفاته:

قد تقدم: أن النبي (ص) قد ركب فرساً وخط لهم الخندق. وقد بينت النصوص التاريخية لنا مواضع الخندق وخصوصياته ومواصفاته بشيء من التفصيل، ونحن نذكر طائفة من هذه النصوص، فنقول:

١ - موضع الخندق:

قال الواقدي: «كان الخندق ما بين جبل بني عبيد بخربي، إلى

(١) سورة الحجرات / ١٣.

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٨٩

راتج. قال: وهذا أثبت الأحاديث عندنا»^(١).

وفي نص آخر: «من المذاذ، الى ذباب، إلى راتج»^(٢).

وعند القمي: «فأمر (ص) بمسحه من ناحية أحد إلى راتج»^(٣).

وفي نص أكثر تفصيلاً: «حفر النبي (ص) الخندق طولاً، من أعلى وادي بطحان، غربي الوادي، مع الحرة، إلى غربي مصلى العيد، ثم إلى مسجد الفتح، ثم إلى الجبلين الصغيرين، اللذين في غربي الوادي. ومأخذه قول ابن النجار».

إلى أن قال: «والحاصل: أن الخندق كان شامي المدينة، من طرف الحرة الشرقية، إلى طرف الغربية»^(٤).

وروي بسند معتبر، عن عمرو بن عوف قال: «خط رسول الله (ص) الخندق عام الاحزاب من أجمل الشيخين (السمري) طرف بني حارثة، حتى بلغ المذاذ (المدايحج)»^(٥). والمذاذ بطرف منازل بني

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ - ٤٥٢ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ والثقات ج ١ ص ٢٦٦.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ وبحار الانوار ج ٢٠ ص ٢١٨ وقال الطبرسي في معجم البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وعنه في بحار الانوار ج ٢٠ ص ٢٠٣: «كان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق: المذاذ».

(٤) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٤ والفقرة الأخيرة ص ١٢٠٦ أيضاً وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والعبارة الأخيرة في السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣.

(٥) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥.

٩٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
سلمة، مما يلي مساجد الفتح، ومنزلهم في جهة الحرة الغربية^(١).

قال السمهودي: «سيأتي أن الشيخين أطمأن شامي المدينة
بالحرة الشرقية، أما المداحج فلا ذكر لها في بقاع المدينة»^(٢).

وأقول: لعل كلمة «المداحج» تصحيف لكلمة المذاد، ولعل
كلمة: السمر، تصحيف لكلمة الشيخين.

٢ - جعل الابواب للخندق:

«وذكروا: أن الخندق له أبواب، فلسنا ندري أين موضعها»^(٣).
وحسب نص آخر: «جعل له رسول الله (ص) أبواباً، وجعل على
الابواب حرساً»^(٤).

ولكن كعب بن مالك قد أشار إلى وجود خندقين، فهو يقول:
بياب الخندقين كأن أسداً شوا بكهن يحمين العرينا^(٥)
ويقول ضرار بن الخطاب:
كأنهم إذا صالوا وصلنا بياب الخندقين مصافحونا^(٦)
وقال الفرزدق:

(١) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢
وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

(٤) المصادر السابقة، وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص
٢٦٧ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٦.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٦.

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٩١

بدرله شاهد والشعب من احد والخندقان ويوم الفتح قد علموا^(١)
وذكر القمي: أن عدد الابواب كان ثمانية^(٢).

٣ - خصوصيات ومواصفات أخرى:

«والخندق فيه قناة، تأتي من عين قباء إلى النخل الذي بالسنع،
حوالي مسجد الفتح.

وفي الخندق نخل أيضاً.

وانطم أكثره، وتهدمت حيطانه^(٣).

وذكروا أيضاً: أنه قد «بلغ طول الخندق نحواً من خمسة آلاف
ذراع وعرضه تسعة أذرع، وعمقه سبعة أذرع»^(٤).

الموقع الجغرافي للخندق:

ونحن إذا راجعنا الواقع الجغرافي للمدينة، فانه يتضح: أن
الخندق قد ضرب على المدينة في مواقع من الجهة الغربية والشمالية.
أما الجهة الشرقية والجنوبية فقد شبكت بالبنيان، ولم يخندق
المسلمون عليها.

ولعل ذلك يرجع أن المواقع التي تستوعب الوف الفرسان،
وتصلح أن تكون ساحة حرب ونزال هي المنطقة الواقعة بالقرب من

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٧٤.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ وعنه في بحار الانوار ج ٢٠ ص ٢٢٠.

(٣) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١.

(٤) الرسول العربي وفن الحرب لمصطفى طلاس ص ٢٤٠/٢٤١ والسيرة
النبوية للندوي ص ٢٨١.

٩٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ثنيات الوداع شمال وغرب المدينة. حتى تنتهي بجبل أحد. وهي منطقة واسعة ومسطحة ومكشوفة، وليس فيها عراقيل مهمة، وهي المنطقة التي حفر الخندق فيها.

أما سائر المناطق حول المدينة فلم تكن تصلح لذلك، ولا سيما بالنسبة لجيوش كبيرة تعد بالآلوف، من فرسان ورجالة، بالإضافة إلى ما يتبع هذه الجيوش من دواب وخيول تحمل ازوادهم وامتعهم، وتحمل الرجالة منهم أيضاً في سفرهم الطويل.

وذلك لأن سائر المناطق حول المدينة كان فيها من الجبال والأودية، ومن تضاريس وأشجار وحجارة ما يحد من قدرة تلك الجيوش الغازية على الحركة الفاعلة، والمؤثرة، ويفقدها الكثير من الامتيازات الحربية، ويحرمها من الاحتفاظ بزمام المبادرة، ويفوت عليها نصراً تطمح إلى تحقيقه.

ويوضح ذلك: أنه كانت توجد في الجهة الشرقية حرة واقم، وفي الجهة الغربية حرة الوبرة، وهي مناطق وعرة فيها صخور بركانية، وتمثل حواجز طبيعية. وكان في جهة الجنوب اشجار النخيل وغيرها، بالإضافة إلى الابنية المتشابهة. وكل ذلك لا يتيح لجيش المشركين ان يقوم بنشاط فاعل وقوي ضد المسلمين.

وحيث إن بعض المواضع في جهتي الشرق والجنوب كان يمثل النقطة الأضعف من غيرها، الأمر الذي يحمل معه احتمالات حدوث تسلل تكتيكي للعدو، يهدف إلى إرباك الوضع العسكري والنفسي للمسلمين؛ فقد كان لا بد من سد تلك الثغرة، ورفع النقص، وتفويت الفرصة على العدو، حتى لا يضطر المسلمون لتوزيع قواهم وبعثرتها هنا وهناك بطريقة عشوائية، أو من شأنها أن تضعف فيهم درجة

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٩٣

الصمود والتصدي في ساحة الصراع الحاسم في ميدان الكر والفر الأول والاساس ..

فكان أن بادر المسلمون إلى تشييك المدينة بالبنيان وذلك في مواقع الضعف المشار اليها. وهذه الاجراءات كلها قد حالت دون استخدام قوات كبيرة في مهاجمة المدينة إلا من جهة الخندق، وهي قد اصبحت مشلولة بسبب حفر الخندق تجاه العدو فيها.

غير ان هذا الذي ذكرناه لا يعني أن يمرّ القادم من مكة على ثنية الوداع، وهي الجهة الشمالية للمدينة. فان طريق المسافرين، الذين تضمهم في الغالب قوافل صغيرة ومحدودة العدد ليس كطريق الجيوش الضخمة التي تضم ألوفاً كثيرة من الناس ومن وسائل النقل المختلفة، حسبما المحنا إليه ..

وبذلك يتضح: أن من الممكن أن نتفهم أنه لا مانع من أن تأتي الجيوش إلى جهة ثنية الوداع من جهة الشام، ولكن المسافرين يأتون من طريق آخر. ولا يمر القادم من مكة على ثنية الوداع ولا يراها، كما جاء في النص التاريخي^(١).

يقول مصطفى طلاس:

«ويحفر الخندق استطاعت قيادة الجيش الاسلامي أن تعزل قوات العدو عن مكان التجمع الرئيسي للقوات المدافعة عن المدينة، وان تحول بينها وبين اقتحام مداخل المدينة، لأن هذه المداخل أصبح من الممكن حراستها بعد حفر الخندق.

(١) راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٧٢ و ١١٧٠ وزاد المعاد ج ٣ ص ١٠ والتراتيب الادارية ج ٢ ص ١٣٠.

٩٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وقد أفادت قوات الثورة الاسلامية من مناعة جبل سلع، الذي كان الى يسارها وإلى الخلف، كما أفادت من وعورة حرة الوبرة لحماية جناحها الأيسر. ومن وعورة حرة واقم لحماية جناحها الأيمن. ومن الحرة الجنوبية وجبل عسير لحماية المؤخرة»^(١).

تشبيك المدينة بالبنيان:

وكان سائر المدينة مشبكاً بالبنيان، شبكوها من كل ناحية، وهي كالحصن^(٢).

قال في خلاصة الوفاء: «كان أحد جانبي المدينة عورة، وسائر جوانبها مشبكة بالبنيان والنخيل، لا يتمكن العدو منها»^(٣).

ثم إنه صلى الله عليه وآله «اختار ذلك الجانب المكشوف للخذق. وجعل معسكره تحت جبل سلع»^(٤).

وبذلك يكون صلى الله عليه وآله وسلم قد سد الثغرات التي يمكن للعدو أن يتسلل منها ليحدث ارباكاً خطيراً في معسكر المسلمين.

(١) مصطفى طلاس: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٣٤.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ وراجع ص ٤٤٦ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٦.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥.

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٩٥

ثم جعل للخندق ابواباً، وجعل على الابواب حرساً، بطريقة تمنع من التسلل، ومن التواطؤ عليه كما سنرى.

ثم اختار الجانب المكشوف للخندق، وجعل معسكره تحت جبل سلع، مستفيداً منه كمانع طبيعي يصعب على العدو اجتيازه لمهاجمة المسلمين.

مدة حفر الخندق:

وقال المؤرخون: «وجعل المسلمون يعملون مستعجلين، يبادرون قدوم العدو عليهم»^(١).

والأقوال في مدة حفر الخندق هي التالية:

كان حفر الخندق في ستة أيام وحصنه^(٢).

وقيل: بضع عشرة ليلة^(٣).

وقيل: شهراً أو قريباً من شهر. قال البعض: وهو أثبت^(٤).

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤١١. المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ وراجع:

الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨. وراجع البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧.

وفتح الباري ج ٢ ص ٣٠٢.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ وسيرة مغلطاي ص ٥٦ والوفا ص ٦٩٣

وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٠ والسيرة النبوية

لدحلان ج ٢ ص ٤ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٤ ونهاية الارب ج ١٧

ص ١٧٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٤ و١٢٠٨

و١٢٠٩.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ ووفاء الوفاء ج ٤

ص ١٢٠٩.

(٤) المصدر السابق ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٩ عن الهدى لابن القيم وكذا في

٩٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ووقع عند موسى بن عقبة: أنهم أقاموا في عمل الخندق قريباً من عشرين ليلة^(١).

وعند الواقدي: أربعاً وعشرين^(٢)

وجزم النووي في الروضة بأنهم حفروه في خمسة عشر يوماً^(٣) وصرح القمي بأنه (ص) قد فرغ من حفر الخندق قبل قدوم قريش والاحزاب بثلاثة أيام^(٤)

ونقول:

إن الأرقام التي تقول: انهم أقاموا يعملون في الخندق عشرين يوماً أو شهراً أو نحو ذلك، يبدو أنها بعيدة عن الصواب، لأن المفروض أن ركب خزاعة قد خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن فصلت قريش من مكة إلى المدينة. وبقي أربعاً حتى وصل إليها، وأبلغ الرسول بالأمر...

ولنفترض أن مسير قريش إلى المدينة قد استغرق أربعة أضعاف الأربعة أيام المذكورة، فتكون قد وصلت إلى المدينة خلال ستة عشر يوماً فمع حذف الأربعة أيام الأولى لمسيرة ركب خزاعة فإنه يبقى اثنا

المواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢.

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢، عنه، والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٨ راجع فتح الباري ج ٧ ص ٣٢.

(٢) المصادر السابقة وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ١٢٠٨ و١٢٠٩.

(٣) راجع: المصادر السابقة في الهامش ما قبل السابق.

(٤) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢١.

الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع ٩٧

عشر يوماً تمّ حفر الخندق فيها، فكيف يقال: إن العمل في الخندق قد استمر عشرين أو أربعاً وعشرين أو ثلاثين يوماً؟!

هذا.. ولا يمكننا أن نخفي دهشتنا وأعجابنا بهذا الانجاز الضخم والسريع جداً، مع ملاحظة ضعف الوسائل والامكانيات المتوفرة للعاملين في حفر الخندق آنئذٍ، بالإضافة إلى وجود المشبطين عن العمل، كما سنرى...

فحيا الله هذه الهمم، وبورك لهم جهادهم المبارك والرائد تحت قيادة وفي طاعة رسول الاسلام الاعظم والأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

زامم المبادرة بيد من؟!

وقد اتضح من خلال النصوص المتوفرة لدينا: أن العدو وإن كان قد فرض على النبي وعلى المسلمين معركة غير متكافئة من حيث العدد والعدة. واختار هو التوقيت لحشد جيوشه، وتحزيب أحزابه.

ولكنه بمجرد وصوله إلى المدينة قد فقد زمام المبادرة ليصبح في يد النبي والمسلمين بصورة نهائية. فأصبح (ص) يتحكم بمسار الحرب، وهو يفرض على عدوه الموقع الذي يريد، في هذا المكان، أو في ذاك، ولا يملك عدوه أية وسيلة للتغيير في المواقع والمواضع، فلا يمكنه أن يجبر المسلمين إلى هذا الموقع، أو إلى ذلك الموقع.

كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم أصبح يتحكم بالزمان والتوقيت للحرب، ولا يستطيع عدوه أن يهاجمه في وقت لا يرغب هو بدخول الحرب فيه.

٩٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أصبح قادراً على اختيار الوسيلة الحربية التي تلائمها، وتنسجم مع ظروفه. وقد اسقط العتاد والعدة الحربية للعدو من خيول وغيرها عن الفاعلية المؤثرة، وأصبحت عبئاً على العدو، لا بد أن يهيء العدو لها ظروف بقائها وصيانتها من التلف في مصابرتها على الحصار الطويل، الذي كان يستنزف طاقته وصبره، حتى انتهى الأمر به إلى هزيمة مخزية، كما سيتضح.

وهذه هي ثمرة التخطيط الواعي والمسؤول، وثمره الإدراك الواعي للواقع وللظروف المحيطة، التي كان لا بد من التعامل معها، والتغلب على سلبياتها، والاستفادة من إيجابياتها على النحو الأكمل والأفضل والأمثل.

الفصل الثالث:

**حفر الخندق:
أحداث ودلالات**

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٠١

شدائد ومتاعب

إن من الواضح: أن حفر خندق بهذا الحجم حول مدينة كبيرة، ليس بالأمر السهل، ولا سيما بالنسبة لأناس لم يقوموا بعمل ضخيم طيلة حياتهم. خصوصاً مع بدائية الوسائل ومحدوديتها، حتى اضطروا لاستعارة بعضها من يهود قريظة، كما سنرى، هذا بالإضافة إلى انقطاع المسلمين عن العمل في سبيل لقمة العيش، فانقطعت موارد ارزاقهم فكان من الطبيعي أن يعاني المسلمون من هذا الأمر من متاعب كبيرة، وشدائد لا تطاق، وذلك من ناحيتين.

أحدهما: في نفس هذا العمل الشاق والكبير، وما يحتاج لانجازه في فرصة محدودة وقصيرة جداً، من جهد مضمّن لم يعتد هؤلاء الناس على أقل القليل منه، ولا واجهوا نظيره، ولو مرة واحدة طيلة حياتهم.

الثانية: في الضائقة المالية التي كانوا يعانون منها، التي تتجلى فيما يصفه لنا المؤرخون من حالة الضعف والجهد، والخصاصة والجوع في تلك الظروف بالذات..

وقد يحاول البعض أن يقول: إن هذه الضائقة لم تنل جميع الناس آنئذٍ، لأن الناس - كما يروى الواقدي والمقرئزي - قد كان كثير

١٠٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

منهم في وفرة معقولة في تلك الفترة، لأن مجيء الأحزاب كان بعد انتهاء موسم الحصاد، وقد أدخل الناس غلاتهم واتبانهم، ولا يزال معظمها موجوداً لدى أصحابها.

أضف إلى ذلك: أن بعض الروايات الآتية التي تحكى لنا قصة جابر تقول: إن الذين احتاجوا للاصابة من طعام جابر كانوا ثلاث مئة، أي حوالي ثلث المشاركين في حفر الخندق. فالباقون لم يكونوا بحاجة ماسة إلى طعام، أو لعل أكثرهم كان كذلك.

ونقول:

إن هذه المحاولة غير كافية لاثبات ذلك، إذ قد صرح المؤرخون أن العام كان عام جذب. ولم يكن ثمة غلات في مستوى يؤثر في تغيير ظاهرة الفقر والخصاصة والجوع، التي كانت مهيمنة على عامة الناس آنئذ. ولو كان ثمة غلات بهذا الحجم لبادر أصحابها إلى تقديمها طوعاً، إلى هؤلاء الناس. بل كان النبي (ص) يأمرهم ببذلها لإخوانهم، ولا سيما في ظروف الحرب هذه. ولكننا قد رأيناهم يتسابقون على دفع أذى الجوع عن شخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي يتسابقون على نيل بركاته والفوز برضاه..

إلا أن ذلك لا يمنع من أن يكون لدى المنافقين قسطاً من تلك الأموال، كانوا يضمنون بها وييخلون عن بذلها، ومن ييخل فانما ييخل عن نفسه.

حفر الخندق في روايات المؤرخين:

ونحن نذكر هنا طائفة من النصوص التاريخية، المرتبطة بحفر

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٠٣
 الخندق، متوخين فيها - قدر الامكان - تبويبها وتقسيمها، حسبما يتهيأ
 لنا، ثم نعقب ذلك ببعض ما يرتبط بما أجمل منها أو اشكل، ومن الله
 نستمد القوة والحول، فنقول:

المساحي والمكاتل:

ويقولون: إنه (ص) قد استعار من بني قريظة آلة كثيرة، من
 مساحي وفؤوس ومكاتل، يحفرون به الخندق - وهم يومئذ سلم للنبي
 (ص)، ويكرهون قدوم قريش^(١).
 ونقول:

لا ندري مدى صحة هذا القول، بعد أن كان رسول الله - حسبما
 تقدم، حين الكلام حول ايمان أبي طالب - يدعو الله أن لا يجعل
 لكافر ولا لمشرك عنده يداً أو نعمة.
 إلا أن يكون صلى الله عليه وآله قد قرر عليهم المعونة بهذا
 المقدار، إن دهمهم عدو، حسبما تقدم في معاهدته (ص) مع يهود
 المدينة. فلا تبقى لهم بذلك منة على أحد، بل لله المنة عليهم، وإنما
 يعملون بما أخذ عليهم العمل به.

تقسيم العمل في الخندق:

قال الواقدي: «وكل بكل جانب من الخندق قوماً يحفرونه،

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١
 والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥
 والامتناع ج ١ ص ٢٢٠ وراجع وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٧.

١٠٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذباب، وكانت
الأنصار تحفر من ذباب إلى جبل بني عبيد» وفي نص آخر: إلى
خربى^(١).

وفي نص آخر: وخندقت بنو عبد الاشهل عليها بما يلي راتج
إلى خلفها، حتى جاء الخندق من وراء المسجد. وخندقت بنو دينار
من عند خربى إلى موضع دار ابن أبي الجنوب اليوم^(٢).

ومن جهة أخرى، فانه (ص) قطع الخندق أربعين ذراعاً بين كل
عشرة^(٣) وقال القمي: «جُعلَ على كل عشرين خطوة، وثلاثين خطوة
قوم من المهاجرين والأنصار يحفرونه»^(٤).

وفي نص آخر يقول: «وجعل لكل قبيلة حداً يحفرون إليه»^(٥).
لكن القطب الراوندي يقول: «قسمه بين المهاجرين والأنصار بالذراع؛

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٦ و ٤٥٠ وراجع: امتاع الاسماع ج ١ ص
٢٢٠ وحدائق الانوار ج ٢ ص ٥٨٥ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣
ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٥١ ووفاء الوفاء ج ٤ ص
١٢٠٥.

(٣) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ والبحار ج ٢٠ ص ١٨٩ وسبل
الهدى والرشاد ج ٤ ص ٢١٥ ومجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ و ٣٤١ وبهجة
المحافل ج ١ ص ٢٦٣ وشرحه مطبوع بهامشه، وقال: رواه الطبري،
والطبراني، والحاكم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والكامل في التاريخ
ج ٢ ص ١٧٩ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج
٣ ص ٤١٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٥ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢.

(٤) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ وعنه في بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٨.

(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٠٥
فجعل لكل عشرة منهم عشرة أذرع^(١).

النبي (ص) يشارك في حفر الخندق:

وقد شارك النبي صلى الله عليه وآله المسلمين في حفر الخندق كما صرحت به النصوص التاريخية، وذلك رغبة في الاجر ولينشط المسلمين^(٢).

وقد أجهد المسلمون أنفسهم، والنبي (ص) يكابد معهم^(٣) النصب والجوع وقد استمرت هذه المشاركة حتى فرغ من حفر الخندق^(٤).

وكان (ص) يضرب مرة بالمعول، ومرة يغرف بالمسحاة التراب، ومرة يحمل التراب بالمكتل. قال أبو واقد: ولقد رأيته يوماً بلغ منه، فجلس، ثم اتكأ على حجرٍ على شقه الأيسر، فذهب به النوم؛ فرأيت أبا بكر وعمر واقفين على رأسه ينحيان الناس أن يمرؤا به فينبهوه. وأنا قريب منه؛ ففزع، ووثب؛ فقال: ألا أفزعتموني؟!

-
- (١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٢ والبحار ج ١٨ ص ٣٢ عنه.
(٢) راجع ما يلي: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦. وراجع: الهداية والنهية ج ٤ ص ٩٥ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٤ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و٥٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩ و٤٠٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٣ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٤٠٧ والاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١.
(٣) بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥.
(٤) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

١٠٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

فأخذ الكرز (الفأس) يضرب به، وإنه ليقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر لالأنصار والمهاجرة
اللهم العن عضلاً والقاره فهم كلفوني أنقل الحجارة^(١)

وكان (ص) يحمل التراب على ظهره، أو على عاتقه^(٢). حتى
إن التراب على ظهره وعكته^(٣) وربما كان يحفر معهم حتى يعيا، ثم
يجلس حتى يستريح. وجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله، نحن
نكفيك، فيقول: أريد مشاركتكم في الأجر^(٤).

وعن أم سلمة بسند صحيح - عند احمد - كان النبي (ص)
يعاطيهم اللبن يوم الخندق، وقد اغبر شعر صدره^(٥).

وفي نص آخر ذكره البخاري وغيره: «رأيتُه ينقل من تراب
الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر -
فسمعتُه يرتجز بكلمات ابن رواحة:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الاقدام إن لاقينا

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢ وامتناع
الاسماع ج ١ ص ٢٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٨ وراجع:
المواهب اللدنية ج ١ ص ١١١.

(٢) راجع: حقائق الانوار ج ٢ ص ٥٨٥ وامتناع الاسماع ج ١ ص ٢٢١ وسبل
الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥ وفي المغازي للواقدي ج ٢ ص
٤٤٩ عن أنس: على صدره وبين عكته.

(٤) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٧ عن تفسير الثعلبي.

(٥) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦ عن أبي
يعلى وأحمد برجال الصحيح.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٠٧

إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنةً أبينا
ثم يمد بها صوته: أبينا، أبينا^(١).

وقد سجل العسقلاني تحفظاً هنا، فهو يقول: «ظاهر هذا أنه كان كثير شعر الصدر، وليس كذلك فان في صفته (ص): أنه كان دقيق المسربة، أي الشعر الذي في الصدر إلى البطن. فيمكن أن يجمع أنه كان مع دقته كثيراً»^(٢).

ولكنه جمع غير ظاهر الوجه، بعد أن كان التعبير الوارد في الرواية يباه. ولكن المهم عند هؤلاء هو تصحيح رواية البخاري بأي ثمن.

وقد صرح القمي بأن رسول الله (ص) كان هو البادىء في حفر الخندق، فهو يقول: وأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه

(١) راجع المصادر التالية: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٨٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٦ عن الصحيحين وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢١ باب غزوة الخندق وصحيح مسلم - الجهاد والسير، باب غزوة الاحزاب وفتح الباري ج ٦ ص ٤٦ وج ٧ ص ٣٠٨ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٥ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢ وامتناع الاسماع ج ١ ص ٢٢٢ و٢٢٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٧ وراجع: حقائق الانوار ج ٢ ص ٥٨٥ و٥٨٦ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤١ وبحار الانوار ج ٢ ص ١٩٩ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٣ و٤١٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ والغدير ج ٧ ص ٢٠٦ عن ابن كثير وعن طبقات ابن سعد.

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٨.

١٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
 وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول
 الله (ص) وعيي، وقال:
 لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين
 فلما نظر الناس إلى رسول الله (ص) يحفر اجتهدوا في الحفر،
 ونقلوا التراب؛ فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر، وقعد
 رسول الله (ص) في مسجد الفتح، فبينما المهاجرون والأنصار يحفرون
 إذ عرض لهم إلخ^(١).

علي (ع) وشيعته أعظم الناس عناء:

قال القاضي النعمان: «وكان علي صلوات الله عليه وشيعته أكثر
 الناس عناء، وفيه عملا. وكان في ذلك من الأخبار ما يطول
 ذكره»^(٢).

وثمة تفاصيل أخرى:

قد عرفنا فيما سبق: أن النبي (ص) كان هو البادىء في حفر
 الخندق. وكان (ص) يحفر، وعلي ينقل التراب من الحفرة. وقد
 استمرت مشاركة النبي (ص) لهم في العمل حتى انتهوا من الخندق.
 وأنه (ص) كان يضرب مرة بالمعول، ومرة يغرف التراب
 بالمسحاة، ومرة يحمل التراب بالمكتل على ظهره، أو على عاتقه.
 وكان (ص) يعاطيهم اللبن، الأمر الذي يدل على أنه كان ثمة

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧/١٧٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٨ عنه.

(٢) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٢.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٠٩

بناء في الخندق.

أضف إلى ذلك أنهم يقولون:

إنهم كانوا يحملون المكاتل على رؤوسهم، وإذا رجعوا بها جعلوا فيها الحجارة، يأتون بها من جبل سلع، يسطرونها مما يليهم، كأنها حبال التمر وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم، يرمونهم بها.

والقوم يرتجزون، ورسول الله (ص) يقول:

هذي الجمال لا جمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر^(١)
وما كان في المسلمين يومئذ احد الا يحفر في الخندق، او ينقل التراب وكان أبو بكر وعمر لا يتفرقان في عمل، ولا مسير، ولا منزل، ينقلان التراب في ثيابهما من العجلة؛ إذ لم يكن مكاتل لعجلة المسلمين^(٢).

وقال جابر: وعمل الناس يومئذ كلهم، والنبى (ص). وجعلت الأنصار ترتجز وتقول:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
فقال النبى (ص)، وفي لفظ آخر: فيجيبهم.

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة^(٣)

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٦ وراجع: الامتاع ج ١ ص ٢٢٠. وراجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٩ و ٤٤٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣ والامتاع ج ١ ص ٢٢٢. وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٣ وراجع كنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ وحدثنا الانوار ج ٢ ص ٥٨٦/٥٨٥ وصحيح البخاري (المغازي) باب غزوة خيبر. وصحيح مسلم، الجهاد

١١٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه،
حتى كمل الخندق^(١).

وعن أنس قال: خرج رسول الله (ص) إلى الخندق، فاذا
المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، ولم يكن لهم عبيد يعملون
ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع. وفي نص آخر: فلما
رأهم يحملون التراب على متونهم، وما بهم من النصب والجوع، قال:

اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة
فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً^(٢)
وبعد ما تقدم نقول:

عمل المنافقين في الخندق:

قالوا: وأبطأ عن رسول الله (ص)، وعن المسلمين في عملهم

والسير - باب غزوة الاحزاب ودلائل النبوة لليهقي ج ٣ ص ٤١٠ و ٤١١
و ٤١٢ وراجع فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٢ وعن مسلم باب غزوة الاحزاب
وعن البخاري وغير ذلك.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ و ٩٦
وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٤٨٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ وسبل الهدى
والرشاد ج ٤ ص ٥١٦ و ٥١٧ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ ودلائل النبوة
لليهقي ج ٣ ص ٤١٠/٤١١ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٥
وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٢.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١١١

ذاك رجال من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل.

وحسب نص آخر: تخلف طائفة من المنافقين، يعتذرون بالضعف. وتسلسل عنه صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من المنافقين إلى أهلهم بغير علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل الله تعالى في ذلك:

﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب أليم﴾. ثم كان الرجل من المسلمين إذا نابتة نائبة لا بد منها يستأذن رسول الله (ص) فيقضي حاجته، ثم يعود، فانزل الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾. واللواذ: الاستتار بالشئ عند الهرب^(١).

وهناك الذين كانوا يتسللون زاعمين: أن بيوتهم عورة - أي

(١) راجع ما تقدم كلا أو بعضاً، في المصادر التالية: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٩ و ١٦٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ و ١٧٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٢ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٨ وعيون الاثر ج ٢ ص ٥٥ و ٥٦. وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وراجع ص ١١٢ و ١١٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣. والدر المنثور ج ٥ ص ٦٠ عن ابن اسحاق، وابن المنذر، والبيهقي في الدلائل وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٢ و ٥٢٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٩.

١١٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
مكتشفة للغزاة، ومعرضة للاحتلال^(١) - وليس الأمر كذلك.

ولنا مع ما تقدم وقفات، نشير إليها فيما يلي من مطالب.

١ - توزيع المهام على العاملين:

ومن الواضح: أن تحديد المسؤوليات، وتقسيم المهام على العاملين من شأنه أن يرفع من درجة الاحساس بالمسؤولية، الأمر الذي يفرض على العاملين قدراً أكبر من الدقة والتحري، الذي ينعكس على العمل اتقاناً، وتناسقاً وجمالاً.

هذا عدا عن أنه يذكي روح التنافس البناء والهادف، الذي يؤدي إلى نشوء نوع من الرقابة العفوية، التي تنتهي إلى الانضباط، وإلى الاسراع في الانجاز.

ومن جهة ثانية فإنه يقطع الطريق على أولئك الكسالى والانتكاليين، ممن يضعف لديهم الشعور بالمسؤولية، ويريدون أن يفيدوا ويستفيدوا من جهد الآخرين، دون أن يقدموا هم أنفسهم أي جهد، أو أن يبذلوا أي عناء. ومنعهم من ثم من التواكل المؤدي إلى الفشل، وإلى التضييع والبلبلة والاختلاف.

وقد روي عن علي عليه الصلاة والسلام: أنه كتب في وصيته للامام الحسن، صلوات الله وسلامه عليه: «واجعل لكل إنسان من خدمك عملاً تأخذه به؛ فإنه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك»^(٢).

(١) سيرة المصطفى ص ٤٩٦.

(٢) نهج البلاغة بشرح عبده، آخر وصية الامام الحسن ج ٣ ص ٦٣، الكتاب رقم ٣١.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١١٣

كما أن عدم تحديد المسؤوليات يؤدي إلى تداخل في البنية الداخلية، نتيجة للاحساس بالغبن لدى من تفرض عليه ظروف عمله أن يكون هو الذي يتحمل عبء إنجاز ما فرط الآخرون في انجازه. وعسى ولعل أن يتجه الفرقاء إلى إثارة الاسئلة والشكوك، ثم إلى التراشق بالتهم لتبرير حالة الضعف القائمة بسبب ذلك.

وعلىنا بعد ذلك كله: أن نتوقع ظهور عوارض الخلل والضعف في أية خطة ترسم وتعتمد، وتفقد الكثير من حيويتها وفعاليتها في مجال التطبيق والتنفيذ.

كما أن توزيع الحصص على العاملين بهذه الطريقة يضمن تحقق المساواة والعدل في تحمل مشاق العمل، فلا يعمل هذا أكثر من ذاك، وإذا استطاع التفوق على أقرانه في العمل، فإن ذلك يظهر للآخرين، ويتجلى امتيازهم على سائرهم - كما سنقرؤه بالنسبة لسلمان الفارسي، الذي ظهرت قوته في العمل، فتنافس فيه المهاجرون والأنصار.

أما المتواكل المتخاذل، فلا مجال للتستر عليه، إذا كان يريد أن يتوانى في عمله ويتواكل فيه. وقد فضح القرآن المنافقين، الذين اتبعوا هذا السبيل كما تقدم.

هذا كله، بالإضافة إلى أن قسمة العمل على النحو المتقدم من شأنها أن تؤثر في زرع روح التفاؤل بإمكانية إنجاز هذا العمل الضخم، وتقلل من رهبته في صدور العاملين، حينما تنحسر النظرة إلى ذلك العمل الهائل لتصبح في مدى أذرع يسيرة يتعاون على إنجاز العمل فيها عشرة من المؤمنين.

١١٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

٢ - النبي والشعر:

قد تقدم بعض ما يدل على ان النبي (ص) كان يتمثل ببعض الشعر، أو ينشد مع الصحابة ما ينشدون، ونزيد هنا:

قال دحلان وغيره: عن سهل بن سعد: كنا مع النبي في الخندق ننقل التراب على أكتادنا، فقال (ص):

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة
وهو من كلام ابن رواحة، وأصله:

لا همّ إن العيش عيش الآخرة.

فنطق به النبي (ص): اللهم لا عيش الخ... لأنه يعسر عليه
النطق بالشعر، وإن كان من قول غيره^(١)

وعن أبي عثمان النهدي، أو سلمان: أنه (ص) حين ضرب في
الخندق قال:

باسم الاله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا يا حبذا رباً وحب ديننا^(٢)

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ عن البخاري. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢ وراجع البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٦ عن البخاري ومسلم والحديث في نهاية الارب أيضاً ج ١٧ ص ١٦٩ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ وفيه: فاغفر للمهاجرين والأنصار.

(٢) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢ والامتناع ج ١ ص ٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٧ والبدية والنهاية ج ٤ ص ٩٧/٩٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٤ والسيرة النبوية لابن كثير

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١١٥

قال دحلان: «وهو من كلام بعض أصحابه يتمثل به . أو من كلامه بناءً على أن الرجز ليس بشعر . أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصوداً كونه شعراً موزوناً. أما إذا خرج موزوناً بلا قصد، فلا يسمى شعراً»^(١).

ونقول:

إن بعض الناس حسبما تقدم، وكما هو مذكور في كتب التفسير، في تفسير قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر، وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾^(٢) يريد أن يدعي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير قادر على التفوه بكلام موزون، أو أن الرجز ليس بشعر. أو ما إلى ذلك..

ولكنها دعاوى ليست على درجة من القوة والاستقامة؛ فإن المراد بالآية الكريمة ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾: أنه صلى الله عليه وآله ليس بشاعر، بمعنى أنه ليس لديه ملكة الشعر، لا أنه يعسر عليه التكلم بشعر غيره والنطق به. ولا حاجة بعد هذا إلى دعوى: أن الرجز ليس بشعر، كما لا حاجة إلى اشتراط القصد أو عدمه في إيراد الشعر الموزون. فإن النظر هو إلى ملكة الشعر الذي يتضمن الانسياق وراء الاوهام والتخيلات، والمبالغات، والتصويرات غير الواقعية، بالاضافة إلى الوزن والموسيقى. وفقاً لما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم

ج ٣ ص ١٨٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٤.

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣.

(٢) سورة يس، الآية رقم ٦٩.

١١٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
يقولون ما لا يفعلون^(١).

- دور عضل والقارة:

وقد ذكرت رواية أبي واقد: أنه (ص) قال:
اللهم العن عضلاً والقارة هم كلفوني أنقل الحجارة
وليس هذا الكلام واضح المأخذ والمغزى، إلا أن تكون هاتان
القبيلتان: عضل والقارة، قد قامتا بنشاط واسع في تحزيب الأحزاب
فاق نشاط اليهود وقريش حتى صح أن ينسب (ص) إلى هاتين
القبيلتين حتى نقل الحجارة للخندق.

وليس فيما بأيدينا من نصوص ما يدل على ذلك أو يشير إليه،
من قريب ولا من بعيد.

.. الأمثلة المواساة:

وما أروع هذا التنويع في المهمات التي تصدى الرسول الأعظم
صلى الله عليه وآله وسلم لها في حفر الخندق، حيث لم يقتصر على
نوع واحد من العمل فيه، بل شارك (ص) كل العاملين في أعمالهم،
وأذاق نفسه الشريفة مبلغ جهدهم، فصدق بذلك الخبر الخبر، وتجلت
المواساة بأبهى صورها، وتجسدت الأمثلة الرائدة بأروع وأدق
وأصدق معانيها.

(١) الشعراء، الآية ٢٢٤ - ٢٢٦.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١١٧

٥ - المتحذلقون الأغبياء:

ومن الأمور التي تلفت النظر هنا. أن البعض يحاول أن يفرغ هذه التضحية الرائعة، والامثولة الفريدة للنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم من معناها ومغراها، فيدعي رجماً بالغيب: أن النبي صلى الله عليه وآله كان لا يرى الشدة في حمل الحجارة^(١)، رغم صراحة رواية أبي واقد المتقدمة بأن أبا واقد رأى النبي (ص) وقد بلغ منه. وعلى حد تعبير نص آخر: «وهو (ص) يكابد معهم».

وفي نص ثالث: وربما كان يحضر حتى يعيا، ثم يجلس حتى يستريح.

وفي نص رابع: «حتى عرق رسول الله (ص) وعيي». وكل ذلك قد تقدم مع مصادره.

٦ - لا عيش الا عيش الآخرة:

ولا ننسى أن تلفت نظر القارئ هنا إلى مضمون الشعر الذي كان يترنم به العاملون في الخندق، وما يتضمنه من ربط لهم بالآخرة، وبما يرجو المؤمنون تحقيقه من فوز وفلاح فيها.

كما أنه يحمل في ثناياه مقارنة عفوية فيما بين الدنيا والعيش فيها، وتفضيل عيش الآخرة عليه. ثم يشاركهم النبي في ترديد هذا الشعر، فتكون مشاركة للوجدان وللإحساس، ويتعمق لدى هذا الانسان الكادح المجاهد الشعور بالله سبحانه، وبالطافه ومواهبه، وما أحوجهم في هذا الظرف العصيب بالذات إلى إحساس كهذا.

(١) الزهد والرقائق ص ٢٥٦.

١١٨..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

٧ - الحماس والمثابرة:

وقد كان لمشاركة النبي (ص) هذه تأثير كبير في إثارة الحماس لدى العاملين في حفر الخندق. وقد اذكى هذا الحماس أيضاً معرفتهم بتحريك الاعداء باتجاه المدينة. واحساسهم بالخطر الذي يتهددهم.

٨ - الاسوة الحسنة:

لقد أجمع المؤرخون على أن النبي (ص) قد شارك في حفر الخندق. وتتفق هذه النصوص على أنها كانت مشاركة فعالة وحقيقية وجدية. وما نريد أن نلفت النظر إليه هنا هو:

أ - إن هذه المشاركة لم تكن شكلية، ومجرد تمثيل، كما عهدناه وألفناه من رؤساء الجمهوريات والوزراء وكبار المسؤولين في عصرنا الحاضر، حيث يضرب أحدهم بالمعول مثلاً ضربات أمام الجماهير في احتفالٍ تكريمي ليظهر على شاشات التلفزيون، وعلى صفحات الجرائد في تعارض اعلامي مزيف، يهدف إلى تكريس زعامته ونفوذه، ولا شيء غير ذلك ثم يتابع رقابته على العمل والعاملين من موقع الأمر، من قصره المنيف او من برجه العاجي الزاهر.

فجاءت مشاركة النبي الاكرم (ص) في حفر الخندق بصيغة المعاناة الحقيقية، والصادقة، التي تمثل الاسوة في المعاناة الكادحة، لا مجرد الرمز والمثال. ولنسمع النشيد العفوي والصادق:

لئن قعدنا والنبي يعمل لئلا لنا غير حادثة مفردة عن يقول البعض: «ان التاريخ لم يدون لنا غير حادثة مفردة عن

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١١٩

شخصية كان لها سلطان روحي وزمني ايضاً على امة من الأمم. ومع ذلك فقد عملت مثل عامل عادي، وجنباً إلى جنب مع اتباعها في ساعة الحرج الوطني العظيم»^(١).

ب - إن مشاركته صلى الله عليه وآله وسلم في حفر الخندق تجسد عملياً المسافة بين جميع فئات المجتمع، وتخرجها عن أن تكون مجرد شعار، يراد له أن يبقى في حدود إثارة المشاعر، في النشاط الإعلامي الجماهيري، دون أن يتجاوز ذلك ليصبح حياة وحركة، ونهجاً وسلوكاً.

فالمساواة في نظر الاسلام نهج وسلوك، وخلق اسلامي وانساني رفيع ونبل، تنطلق من خلاله وعلى أساسه مثل وقيم في جهات حياتية شتى. ولاجل ذلك نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشارك أصحابه في حفر الخندق مشاركة حقيقية، فهو يتعب كما يتعبون، ويرتجز كما يرتجزون، ويجوع كما يجوعون، ويشاركهم حلو العيش ومره، ويشترك معهم في تحمل المتاعب ومواجهة المصاعب، ويكون أكثرهم غناء، وأعظمهم غناء.

ج - إن هذه المشاركة منه (ص) لم تكن عن تواضع يريد من ورائه نيل رضاهم ومن خلال المواساة التي يتلمسونها في مشاركته تلك. بل هي منطلقة بالاضافة إلى ذلك من قناعة راسخة بالقيم والمبادئ، وبالمثل الاسلامية والانسانية، التي تجعل ذلك عبادة إلهية، وعبودية له سبحانه وتعالى، تلك العبادة والعبودية التي لا تستثني ولا تجامل ولا تحابي أحداً أياً كان.

(١) حياة محمد ورسائله ص ١٦٥ تأليف: مولانا محمد علي.

١٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

د - ومن الواضح: أن ارتباط النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالناس لم يكن من نوع الروابط التي تقوم بين الزعيم وبين قاعدته الجماهيرية، ولا كانت هي رابطة حاكم ورعية، وإنما كانت رابطة الأبوة المسؤولة والواعية، التي يدفعها احساسها الابوي لتريد الخير لمن هم تحت تكفلها من موقع الوعي والتدبير، لا من موقع العاطفة الهوجاء، ولا من منطلق التفكير المصلحي، الذي يريد أن يستفيد من ذلك لتكريس زعامته، أو كسب امتيازات سياسية، أو اجتماعية أو غيرها.

ولأجل ذلك كانت مواساته صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه، في حالات الجوع، ثم مشاركته لهم في تلبيته لدعوة جابر لتناول الطعام رغم أن جابراً لم يجد في بيته إلا ما يكفي بضعة أشخاص، ولكن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا الجميع، وأطعم الجميع.

منع حسان وكعب بن مالك من الشعر:

وقال المؤرخون أيضاً: عن كعب بن مالك، قال: جعلنا يوم الخندق نرتجز ونحفز، فعزم رسول الله (ص) علي أن لا أقول شيئاً!

فقلت: هل عزم على غيري؟!

قالوا: حسان بن ثابت.

قال: فعرفت أن رسول الله (ص) إنما نهانا لوجدنا له، وقلته على غيرنا. فما تكلمت بحرف حتى فرغنا من الخندق.

وقال (ص) يومئذ: لا يغضب أحد مما قال صاحبه، لا يريد

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٢١
بذلك سوءاً. إلا ما قال كعب وحسان، فانهما يجدان ذلك^(١).

وعند البيهقي: نهاما ان يقولاً شيئاً يُحفظان به أحد^(٢).
وكان جعيل بن سراقه رجلاً صالحاً. وكان دميماً قبيحاً. وكان يعمل معهم في الخندق. وكان (ص) قد غير اسمه يومئذ وسماه عمراً. فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون:
سماه من بعد جعيل عمراً وكان للبائس يوماً ظهراً
فجعل رسول الله لا يقول شيئاً بل يقفي معهم فقط، ويقول:
عمراً. ظهر^(٣).

قال الحلبي: «وسياق أسد الغابة يدل على أن هذا الذي غير رسول الله (ص) اسمه وسماه عمراً غير جعيل المذكور»^(٤).
ونشير نحن هنا إلى ما يلي:

-
- (١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٧ وراجع: الامتاع ج ١ ص ٢٢١ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩.
 - (٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩.
 - (٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦. وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٧ و٤٤٨ متناً وهامشاً وراجع دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٩ و٤١٠. والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٧/٢٢٨ وتاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٢٣٤ و٢٣٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٣ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ والسيرة الحلبي ج ٢ ص ٣١١/٣١٢ وراجع: الامتاع ص ٢٢٢ واسد الغابة ج ١ ص ٢٩٠ وقال: اخرجه ابو موسى والاصابة ج ١ ص ٢٤٠.
 - (٤) السيرة الحلبي ج ٢ ص ٥١٢ وراجع اسد الغابة ج ١ ص ٢٩٠.

١٢٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الكلمة المسؤولة القرار الحاسم:

إن هذه النصوص التي ذكرناها قد أظهرت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اتخذ قراراً حاسماً بمنع حسان بن ثابت وكعب بن مالك من انشاد أو قول شيء حين حفر الخندق.

والذي يظهر لنا من ثنايا الكلمات هو أن حساناً وكعب بن مالك لم يلتزما بالضوابط الاخلاقية والاسلامية فيما قالاه وأنشدها، بل هما قد تجاوزا الحد، وأغضبا الآخرين. ويشير إلى ذلك:

١ - أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد اختص هذين الرجلين بالمنع، ولم يعزم على أحد غيرهما.

٢ - كما أن قوله (ص) يومئذ: لا يغضب أحد مما قال صاحبه، لا يريد بذلك سوءاً الخ.. صريح في أنه قد قيل ثمة ما يوجب الغضب، حتى احتاج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للتدخل لتلطيف الأجواء، وسل السخيمة.

٣ - ولعل قصة جعيل بن سراقه هي أحد الشواهد على هذا التعدي على الآخرين، حيث كان من الطبيعي أن ينزعج هذا الرجل، الذي وصف بالقبح والدمامة، من ارتجازهم الشعر في حقه، ويعد ذلك نوعاً من العبث والاستهانة به، والاحتقار له.

ومن هنا، فأننا نشك كثيراً في قولهم: إن النبي (ص) جعل يقفي معهم، ويقول: عمراً، ظهراً...

مع أننا نلاحظ على النص المذكور: أنه قد ألمح إلى أن سكوت النبي عن انشادهم الشعر في حق جعيل كان ملفتاً للنظر، حيث يقول النص: «فجعل رسول الله لا يقول شيئاً، بل يقفي معهم فقط».

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٢٣

وبعد ما تقدم نقول: اننا نلمح في النصوص المتقدمة محاولة للتحريف والتصرف في النص، بهدف التعتيم على حقيقة ما جرى، حيث حاول أن يصور لنا: أن منع حسان وكعب من قول شيء إنما كان لأجل قدرتهما على قول الشعر وقلته على غيرهم.

مع أن القضية ما كانت تتطلب الكثير من قول الشعر آنئذ، بل يكفي البيت أو البيتان ليرددهما الآخرون مدة طويلة، وفقاً لما حفظه لنا التاريخ في هذه المناسبة. بالإضافة إلى ان الكثيرين كانوا يجيدون الشعر مثل كعب وحسان.

ولم يكن ثمة داع لتحاسد القوم في أمر كهذا في مناسبة كهذه، وإلا كان اللازم هو أن يحسدوا حساناً وكعب بن مالك في سائر المناسبات، ويمنعهما النبي (ص) من هجاء المشركين، ومن نظم الشعر في كثير من المناسبات الأخرى.

ولم نجد في ما بأيدينا من نصوص تاريخية أن حدث ما يشبه هذه القضية في أي من المناسبات الأخرى، لا مع النبي، ولا مع غيره.

وذلك يجعلنا نطمئن إلى حدوث تجاوز منهما للحد أوجب أن يقف النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم منهما هذا الموقف الحازم والحاسم.

فليتأمل في تاريخ حياة هذين الرجلين فقد يجد المتتبع فيها الكثير مما لا يحسن ولا يجمل، وقد تقدم في أواخر الحديث عن غزوة بني النضير شيء غريب صدر من حسان، وربما تأتي الإشارة لأشياء أخرى صدرت منه ومن غيره. والله هو المسدد والهادي.

١٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

زيد بن ثابت:

«كان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب، فقال رسول الله (ص) في حقه: أما إنه نعم الغلام، وغلبته عينه، فنام في الخندق. فأخذ عمارة بن حزم سلاحه، وهو نائم. فلما قام فزع على سلاحه، فقال له (ص): يا بار، [يا ابا رقاد] قد نمت حتى ذهب سلاحك؟ ثم قال: من له علم بسلاح هذا الغلام؟!

فقال عمارة: أنا يا رسول الله، هو عندي.

فقال: ردّه عليه. ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعبا»^(١).

وكان المسلمون قد انكشفوا يريدون يطيفون بالخندق ويحرسونه، وتركوا زيدا نائماً ولا يشعرون به. ونقول:

لا ندرى مدى صحة ما ينسب إلى النبي: أنه قاله في حق زيد بن ثابت. دون سائر من كانوا ينقلون التراب من شباب وغيرهم، من دون مبرر ظاهر، أو سبب معقول، أو فعل متميز من زيد على من سواه، يستدعي أن يخلع عليه النبي الاوسمة، ويخصه بالتقاريض والمدائح.

غير أننا نعلم: أن زيدا كان ممن تهتم السلطة بأمره. وتعمل على رفعة شأنه، وتخصيصه بكل غال ونفيس ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، لأنه كان من أعوانها بل من أركانها كما أشرنا إليه في فصل تعليم زيد للغة العبرانية، فلا نعيد.

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٣ والامتناع ج ١ ص ٢٢٢ والاصابة ترجمة زيد بن ثابت والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٨.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٢٥

سلمان منا أهل البيت:

ويقولون: إن المسلمين جعلوا إذا رأوا في الرجل فتوراً ضحكوا منه. وتنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي، فقال المهاجرون: سلمان منا. وكان قوياً عارفاً بحفر الخنادق.

وقالت الأنصار: هو منا ونحن أحق به.

فبلغ رسول الله (ص) قولهم فقال: سلمان رجل منا أهل البيت^(١).

«ولقد كان يومئذ يعمل عمل عشرة رجال، حتى عانه (أي أصابه بالعين) يومئذ قيس بن أبي صعبعة فلبط به (أي صُرع وسقط إلى الأرض) فسألوا رسول الله (ص)، فقال: مروه فليتوضأ له، وليغتسل به، ويكفأ الاناء خلفه.

ففعّل، فكانما حلّ من عقاب^(٢)».

وحسب نص آخر أوضح وأصرح «روي أنه كان يعمل في الخندق عمل الرجلين. وفي رواية كان يحفر كل يوم خمسة أذرع من

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٤٦ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ وراجع: شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ وراجع: سيرة المصطفى ص ٤٩٥. عن الطبري وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ والامتناع ج ١ ص ٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٩ ومجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ وج ٨ ص ٣٤١ والبحار ج ٢٠ ص ١٨٩ و١٩٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٠ و ٤١٨ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥ وراجع ص ١٢٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢.

(٢) المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٤٧ والامتناع ج ١ ص ٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥.

١٢٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الخنديق، وعمقتها أيضاً خمسة أذرع؛ فعانه قيس بن صعبعة، فصرع، وتعطل من العمل، فأخبر بذلك رسول الله (ص)؛ فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان، ويجمع وضوءه في ظرف، ويغتسل سلمان بتلك الغسالة، ويكفأ الإناء خلف ظهره.

ففعل، فنشط في الحال كما ينشط البعير من العقال^(١).

وقصة التنافس في سلمان وقول النبي (ص): سلمان منا أهل البيت مذكورة في العديد من المصادر، فلتراجع في مظانها^(٢).

ونص آخر يقول: إنه حين حفر الخندق كان المسلمون ينشدون سوى سلمان، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك؛ فدعا الله تعالى: أن يطلق لسان سلمان، ولو بيتين من الشعر. فأنشد سلمان ثلاثة أبيات هي:

مالي لسان فأقول شعرا أسأل ربي قوة ونصرا
على عدوي وعدو الطهرا محمد المختار حاز الفخرا
حتى أنال في الجنان قصرا مع كل حوراء تحاكي البدرا
فضج المسلمون، وجعلت كل قبيلة تقول: سلمان منا. فقال

-
- (١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ وراجع: الامتاع ج ١ ص ٢٢١ وراجع المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٧.
- (٢) الطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٥٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ والبحار ج ٢ ص ١٨٩ عن مجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣. وراجع: أسد الغابة ج ٢ ص ٣٣١ وذكر أخبار اصبهان ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٠ ونفس الرحمان ص ٣٤/٣٥ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٢٧

النبي صلى الله عليه وآله: سلمان منا أهل البيت^(١)

ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك كله، وذلك للأمور التالية:

أولاً: إنه عدا عما في هذه الأبيات الأخيرة من الهنات. لا نجد المبرر المذكور لدعاء النبي (ص) لسلمان كافياً في تبرير ذلك، لأن الذين كانوا ينشدون الشعر، ما كانوا ينشدون من نظمهم، بل كان الناظم واحداً من الناس، والباقون يرددون المنظوم بطريقة معينة، ووقع خاص يتناسب مع الحالة التي يعيشونها؛ وقد كان باستطاعة سلمان أن يردد ذلك النشيد مع المرددين، من دون حاجة إلى أن ينظم شعراً، كما صورته لنا الرواية.

وثانياً: إن ما ذكره في سبب اطلاق هذه الكلمة النبوية الخالدة في حق سلمان: «سلمان منا أهل البيت» لا يعدو أن يكون أمراً عادياً، بل وتافهاً، لأن معناه: أن تكون قضية الاستفادة من قوة سلمان البدنية موضع تنافس الفرقاء، وقد حسم النبي (ص) نزاعهم، بتحويل سلمان إلى القسم الذي كان يعمل هو صلى الله عليه وآله وأهل بيته فيه، فكانت تلك الكلمة ايذاناً بذلك.

وهذا معناه أن تفقد هذه الكلمة قيمتها وأهميتها. وهكذا الحال بالنسبة لحكاية اطلاق لسان سلمان بالشعر، ثم تنافس الفرقاء فيه، فجعله صلى الله عليه وآله جزءاً من فئة تحسن التكلم بالعربية، وتحب أن تكرمه وتشجعه، لأنه نطق بلغتها.

(١) راجع: المناقب لابن شهر اشوب ج ١ ص ٨٥. وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٤ والدرجات الرفيعة ص ٢١٨، ونفس الرحمان ص ٤٣.

١٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

إذن، فلم يكن هذا الوسام لسلمان قد استحققه لعلمه، أو لدينه، أو لمواقفه، أو لغير ذلك من أمور تدخل في نطاق صفات واعمال الخير والصلاح فيه.

وبعد هذا فلا يبقى مبرر لما نلاحظه في كلمات الأئمة عليهم السلام من تركيز على هذا الوسام، وتأكيد لواقعيته ومصداقيته فيه رضوان الله تعالى عليه..

كما لا معنى لاستدلال ابن عربي على عصمة سلمان بهذه الكلمة المأثورة عن النبي (ص) في حقه، باعتبار أن أهل البيت معصومون مطهرون، بنص آية التطهير^(١).

الصحيح في القضية:

ولعل الصحيح في القضية، الذي ينسجم مع وقائع التاريخ، ومع ما عهدناه من سياسات انتهجها الحكام طيلة عشرات السنين هو النص التالي:

«إن سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، فعظموه، وقدموه، وصدروه، اجملاً لحقه، واعظماً لشيبته، واختصاصه بالمصطفى وآله.

فدخل عمر، فنظر إليه فقال:

من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب؟!

فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر؛ فخطب، فقال:

(١) راجع: سلمان الفارسي، للعلامة السيدي ص ٤٠ ونفس الرحمان ص ٣٢، كلاهما عن الفتوحات المكية.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٢٩

إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط.
لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا
بالتقوى. سلمان بحر لا ينزف، وكثر لا ينفد. سلمان منا أهل
البيت»^(١).

وهكذا يتضح: أن سلمان المحمدي قد تعرض لمحاولة تحقير
وامتهان، من قِبَلِ رائد «التمييز العنصري» بعد وفاة النبي (ص)، الذي
شاع وذاع عنه أنه لم يحب تزويج سلمان. وكان يكره الفرس،
ويمقتهم وقد حرمهم من أبسط الحقوق^(٢)، فانتصر النبي صلى الله عليه
وآله وسلم لسلمان، وأدان المنطق الجاهلي، والتمييز العرقي
والعنصري، بصورة صريحة، وقوية وقاطعة.

تقتلك الفئة الباغية:

روي في صحيح مسلم «عن أبي قتادة: أن رسول الله (ص) قال
لعمار حين يحفر الخندق، فجعل يمسح رأسه ويقول:
بؤس ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية»^(٣).
لكن القمي قد فصل ذلك حيث قال:
«قوله: يمتنون عليك أن اسلموا، نزلت في عثكن (عثمان) يوم

(١) الاختصاص ص ٣٤١ ونفس الرحمان في فضائل سلمان ص ٢٩. والبحار

ج ٢٢ ص ٣٤٨.

(٢) قد تكلمنا حول سياسات عمر تجاه غير العرب ومع سلمان في كتابنا:

سلمان الفارسي في مواجهة التحدي فراجع..

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ عن صحيح مسلم. وراجع: السيرة الحلبية

ج ٢ ص ٣١٢.

١٣٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الخنديق. وذلك أنه مرّ بعمار بن ياسر، وهو يحفر الخندق، وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع كفه على أنفه ومرّ. فقال عمار:

لا يستوى من يبتني المساجد يظل (فيصلي) فيها راکعاً وساجداً
كمن يمر بالغبار حائداً يعرض عنه جاحداً معانداً
فالتفت إليه عثكن، فقال: يا ابن السوداء إياي تعني؟ ثم أتى رسول الله (ص) فقال له: لم ندخل معك لتسب اعراضنا.

فقال له رسول الله (ص): قد أقلتك اسلامك فاذهب. فأنزل الله: يمنون عليك أن اسلموا الخ^(١).

وقد تقدم في جزء سابق حين الحديث عن بناء مسجد المدينة: أن ذلك قد حصل في تلك المناسبة في قضية حصلت بين عمار وعثمان، ونقول:

إننا لا نريد أن ندخل في موضوع تحقيق الحق في كون ذلك قد حصل في البناء الاول للمسجد أو الثاني، أو في حفر الخندق؛ فان تحقيق ذلك ليس له كبير أهمية ما دام أن أصل القصة، وكلمة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم مما لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه، وقد أجمع عليه المحدثون والمؤرخون، بل والمسلمون قاطبةً، وأصبح من المسلمات غير أننا نذكر القارىء هنا بأمر هام، وهو:

أن طريقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة الأطهار في التربية والتعليم لها مرتكز أساس، وهو الاعتماد على بلورة المعايير والمنطلقات الأساسية في النهج الفكري والعقدي للناس بصورة عامة، ثم تفويض أمر اختيار ما يتناسب مع تلك المعايير، ويتطابق مع

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٢٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٣.

الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات ١٣١

هاتيك الضوابط إلى الناس أنفسهم، فنجد الناس مثلاً هم الذين يقومون بعملية التعرف على الامام، بما لديهم من ضوابط ومعايير يمارسون تطبيقها بأنفسهم، وتوصلهم إلى الامام الحق، بصورة قوية وسليمة، من دون حاجة إلى التنصيص عليه بالاسم، كما كان الحال حينما أوصى الامام الصادق إلى خمسة احدهم الامام موسى، حيث عرف الشيعة أن الامام لا يمكن أن يكون ذلك الحاكم الظالم، كما لا يمكن أن يكون هو زوجة الامام، ثم لا يمكن أن يكون هو الولد الاكبر مع إشراك الاصغر في الوصية^(١).

والأمر في قصة عمار أيضاً من هذا القبيل، حيث قدم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للناس آنئذ ضابطة يعرفون بها فريق البغاة، ويميزونه عن غيره، دون أن يصرح صلى الله عليه وآله وسلم بالاسم أو بالاسماء، الامر الذي قد يحمل معه سلبات كثيرة ومتنوعة بشكل أو بآخر..

ومن الواضح: أن لهذه التربية الفكرية ولصياغة الشخصية الاسلامية بهذه الطريقة آثار إيجابية كبيرة وهامة جداً. وذلك لما ينتج عنها من حصانة ومناعة لدى الانسان المسلم في مقابل محاولات الخداع والتضليل التي ربما يتعرض لها من قبل أهل الدعوات الفاسدة والمشبوهة، ويصبح في مأمن من الوقوع في شراكهم التي ينصبونها له ولأمثاله..

كما أنها تجعله قادراً على نقل المفاهيم التي يؤمن بها إلى الآخرين بالطريقة المنطقية والمقبولة والمعقولة.

(١) راجع: البحار ج ٤٧.

١٣٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ثم هي تمكنه من أن يتأى بنفسه عن أن يكون من الهمج الرعاع الذين ينعمون مع كل ناعق، ويسیرون في ركاب كل قبیل، دون وعي، أو تأمل في الأمور وفي عواقبها..

أضف إلى ذلك: أنها تخرج الانسان المسلم عن دائرة التلقين الأعمى، ليصبح قادراً على التفاعل مع الفكرة، أو مع أية قضية تعرض عليه، ولكن لا من موقع التأثر والانفعال العاطفي أو اللاشعوري، بل من موقع التأمل والتروي والوعي والضبط والانضباط بكل ما لهذه الكلمات من معنى دقيق، وعميق.

وهذا بحث هام ومتشعب، يحتاج إلى توفر تام، من أجل حشد الشواهد والدلائل الكثيرة والمتنوعة، للاستفادة منها كطريقة عمل، ومنهج حياة، وسبيل صلاح واصلاح، إن شاء الله تعالى.

الفصل الرابع:

**كرامات في نطاق
السياسة الالهية**

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٣٥

مما سبق:

قد تحدثنا في الجزء السابق، في غزوة ذات الرقاع عن معرفة الانبياء والأوصياء بلغات البشر، بل ومنطق الطير وسائر الحيوانات.

وتحدثنا أيضاً هناك عن الكرامات التي نقلت عن نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعن الأئمة الأطهار وعن الانبياء السابقين وغيرهم. مما أشار القرآن إلى بعض منه أيضاً.

وقد ذكرنا ثمة توضيحاً لا غنى عن المراجعة إليه، من أجل جعل الأمور في نصابها في نطاق فهم هذه الكرامات والمعجزات التي سجل لنا القرآن والتاريخ والحديث منها العشرات والمئات في مختلف الشؤون والمجالات.

فنرجو من القارئ الكريم أن لا ينسى مراجعة ما كتبناه هناك، وبدون ذلك، فان فهم هذه القضايا ليس فقط سوف يكون ناقصاً، وإنما قد يكون غير واقعي ولا دقيق.

الكرامات والمعجزات في الخندق:

لقد كان المسلمون يواجهون يوم الخندق أعظم تحدٍ واجهوه

١٣٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
سواء من حيث العدد، أو من حيث العدة، بالاضافة إلى حالة الحصار
التي يعانون منها.

ثم يتعاضم احساسهم بالخطر الذي يتهدهم: وهم يجدون
امارات الغدر والخيانة قد ظهرت، لدى أولئك الذين كان لهم معهم
عهود ومواثيق، فلم تعد العهود قادرة على اعطاء أدنى شعور بالأمن
والسكون إليها. كما أن كل ما عمله النبي والمسلمون من احسان، وما
اتخذوه من مواقف انسانية قد اتضح أنه لم يمنع من تلقوا ذلك
الإحسان من أن يحالفوا العدو، وينقلبوا على من أحسن إليهم ليقابلوه
بالاساءة، فيكتشف المسلمون أنهم مجموعة من الذئاب، والسباع
الشرسة، التي تفقد كل المعاني الانسانية، وكل الشيم التي يعتز بها
الانسان العربي، ويفتخر بها..

ثم هناك وجود المنافقين فيما بين المسلمين، الذين كانوا
ينخرون في جسم الأمة، ويعملون على تمزيقها، وزرع الشكوك
القاتلة، وايجاد الريب المهلك فيها..

فتأتي هذه الكرامات لتكون صمام الامان لهذه القلوب الخائفة،
والمفجوعة، وليربط الله بها على قلوبهم، ولتزيد في يقينهم
وبصيرتهم. وتشد من عزمهم.

قال الشيخ محمد ابي زهرة: «ان الآيات المادية قد تؤثر في
أولئك الماديين الحسينيين، وخصوصاً إذا كانت في موطن الفرع؛
فإنها إذا جاءت من غير سبب يألفونه ويعرفونه؛ فإنها قد تأخذ
عقولهم إلى التفكير السليم، وتخلعها من الوثنية، إذ يدخل إليها
نور الحق شيئاً فشيئاً، والنور كلما دخل اشرق، وإذا أشرق

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٣٧
اتجهوا الى الحق وطلبوه»^(١).

ويلاحظ هنا: أن بعض هذه الكرامات قد اقترنت بإخبار النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين بأن البلاد سوف تفتح عليهم حتى الامبراطوريات العظمى التي كانت تحكم العالم آنئذٍ، وهما امبراطوريتا الروم وفارس.

وإذا جاء الخبر من الصادق المصدق، الذي يعتقد المسلمون أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، في حالة مواجهة الاخطار الكبرى والمصرية، فانه يكون اكثر رسوخاً في النفس، وأعظم أثراً في اثاره الهمم وشحذ العزائم.

ونحن نشير هنا إلى طائفة من هذه الكرامات، بقدر ما يسمح لنا به المجال، فنقول:

نبوءة صادقة للنبي (ص):

يقول المقرزي وغيره: «وضرب بالكرز، فصادف حجراً، فصلّ الحجر (أي تردد صوته في صليل الفأس)، فضحك رسول الله (ص).

فقال: مم تضحك يا رسول الله؟!

قال: أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق في الكبول (الكبل القيد العظيم)، يساقون إلى الجنة وهم كارهون»^(٢)

(١) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٤.

(٢) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥ عن ابن النجار.

١٣٨..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

والظاهر: أن هذا إشارة لأهل فارس.

ومن الواضح: أن هذه البشارة منه (ص) للمسلمين إنما يراد منها أن تعطيهم انطباعاً بصورة عفوية وتلقائية بأن هذه الدعوة مستمرة وباقية، فلا يهولنهم جمع قريش والأحزاب لهم:

فما ذلك إلا: «سحابة صيف عن قليل تقشع».

كرامة أخرى لرسول الله (ص):

عن جابر بن عبد الله قال: أصاب الناس كدية يوم الخندق، فضربوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت، فدعوا رسول الله (ص)، فدعا بماء فصبه عليها، فعادت كثيباً أهيل.

وفي نص آخر - ذكره البخاري وغيره: أنه (ص) قام وبطنه معصوب بحجر ولبشنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً الخ..^(١)

(١) راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢١ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٨. والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٠ وإعلام الوری ص ٩٠ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٤ و٢٤٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٦ والبدایة والنهاية ج ٤ ص ٩٧ و٩٨ عن ابن اسحاق، وأحمد، والبخاري والبيهقي، وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٩ وحدثات الانوار ج ٢ ص ٥٩١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤١ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٨، ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٧٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٥ و٤١٦ و٤٢٣ ودلائل النبوة لابي نعيم ص ٣٥٨ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨.

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٣٩

ويبدو أن هذه قضية أخرى غير قضية سلمان الآتية التي أخبر (ص) المسلمين فيها عن الفتوح التي يفتحها الله عليهم.

قصور الروم وفارس:

ومن الأمور التي يذكرها المؤرخون هنا قضية الصخرة التي واجهت المسلمين وهم يحفرون الخندق وكانت سبباً في أن يخبر النبي المسلمين بأخبار غيبية تحققت فيما بعد.

ونحن نذكر النص التاريخي للرواية أولاً. ثم نشير الى بعض ما يرتبط به، فنقول:

كان سلمان، وحذيفة والنعمان بن مقرن، وعمرو بن عوف، وستة من الأنصار يعملون في اربعين ذراعاً فخرجت عليهم صخرة كسرت المعول. فأعلموا النبي ص بالامر.

وفي نص آخر يقول فيه عمرو بن عوف: فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي باب [والظاهر: أن الصحيح: تحت ذباب]^(١) أخرج الله من باطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا، وشقت علينا.

فطلبوا من سلمان أن يخبر النبي ص بأمرها. «فإما أن نعدل عنها؛ فإن المعدل قريب، وأما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لا نحب أن نتجاوز خطه.

فرقى سلمان إلى رسول الله (ص)، وهو ضارب عليه قبة تركية فأخبره فهبط مع سلمان وبطنه معصوب بحجر، ولبثوا ثلاثة أيام لا

(١) ذباب: جبل بجبانة المدينة. وهو الجبل الذي عليه مسجد الراية. واسمه ذوناب أيضاً. راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢.

١٤٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

يذوقون ذواقاً، والتسعة على شفير الخندق.

وفي نص آخر عن سلمان، قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلظت علي ورسول الله (ص) قريب مني؛ فلما رأيته أضرب، ورأى شدة المكان علي أخذ المعول، وضربها به ضربة فصدعها. وبرق منها برق أضواء ما بين لآبتي المدينة، فكبر (ص) تكبيرة، وكبر المسلمون.

ثم ضربها الثانية فكذلك، ثم الثالثة فكذلك أيضاً؛ فصدعها.

فأخذ بيد سلمان ورقى، فسأله سلمان عن الأمر الذي رآه ورآه المسلمون، وعن تكبير النبي (ص)، فأخبرهم صلى الله عليه وآله: أنه بالبرقة الأولى أضواء له قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها.

وفي الثانية: أضواء له القصور الحمر من أرض الروم. وأخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها.

وفي الثالثة أضواء له قصور صنعاء، وأخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها فأبشروا.

فاستبشر المسلمون وقالوا:

الحمد لله موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافقون، ومنهم معتب بن قشير: ألا تعجبون من محمدا! يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم بأنه يبصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم. وانتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، لا تستطيعون أن تبرزوا.

فنزل القرآن: وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض: ما

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٤١
وعدنا الله ورسوله إلا غرورا الخ^(١).

وقيل: ان قاتل ذلك هو عبدالله بن أبي بن سلول^(٢).

- (١) للرواية نصوص مختلفة. فراجعها على اختلافها في المصادر التالية.
- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ و ٤٨٣ وراجع ص ٤٨٤ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٧ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٥٠ و السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ و ٤ و ٥ و الامالي للشيخ الصدوق ص ٢٥٨ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٠ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٨ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٣ و ٢١٩ و ١٨٩ و ١٩٠ و ج ١٨ ص ٣٢ و مجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ و ٤٢٨ و ج ٨ ص ٣٤١ و دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩/٤٠٠ وراجع ص ٤١٧ و ٤١٩ - ٤٢١ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ و تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ و سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٩ و ٥٢٠، عن أحمد، والشيخين، وابن سعد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابي نعيم، والطبراني والبيهقي، و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ و السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و ٢٢٨ و حداثق الأنوار ج ١ ص ٥٣ و الخصال ج ١ ص ١٦٢ و الاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ و ١٦٠ و اعلام الورى ص ٩٠ و كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٧٧ و صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١ و الخصائص الكبرى للسيوطي ج ١ ص ٢٢٨ ط الهند، والوفاء ص ٦٩٣ و تاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٦ و ٢٣٤ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٩ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩١ - ١٩٥ و المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ و المواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ - ١١٢ و دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٢ و عن سنن النسائي ج ٢ ص ٦٥ و عن ابن اسحاق وراجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥١ وراجع: شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ و تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٨ و الخرايج والجرايح ج ١ ص ١٥٢ وفيه أن المسلمين هم الذين رأوا تلك البلاد.
- (٢) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

١٤٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وفي نص آخر: أن المنافقين قد قالوا ذلك عند مجيء الأحزاب^(١).

وهذا هو ما نرجحه، لأن سياق الآيات إنما يناسب حالة الشدة التي عانى منها المسلمون بعد مجيء الأحزاب، وحدث الحصار، كما سنوضحه إن شاء الله تعالى.

ويظهر من نص للطبراني: أن هذه القضية قد حدثت بعد قصة دعوة جابر للنبي وأهل الخندق للطعام^(٢) كما سيأتي. وصرح القمي بأن هذه القضية قد كانت في اليوم الثاني من بدء حفر الخندق^(٣).

وذكر نص آخر: أنه صلى الله عليه وآله وسلم «جعل يصف سلمان أماكن فارس، ويقول سلمان: صدقت يا رسول الله، هذه صفتها، أشهد أنك رسول الله».

ثم قال رسول الله (ص): هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان^(٤).

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لما حفر رسول الله الخندق مرو بكدية، فتناول رسول الله (ص) المعول من يد

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠١.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٩ عنه.

(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٠.

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٤٣

أمير المؤمنين، أو من يد سلمان، فضرب بها ضربة، فتفرق بثلاث فرق.

فقال رسول الله (ص): لقد فتح الله علي في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر.

فقال أحدهما لصاحبه يعدنا كنوز كسرى وقيصر، وما يقدر أحدنا يخرج يتخلى^(١). والمراد بأحدهما وصاحبه هو أبو بكر وعمر، ولم يذكر اسميهما صراحة تقية.

ونقول: لكن هذه الرواية تخالف ما تقدم عن ابن الوردي وزيني ودحلان من أن الذي قال ذلك هو معتب بن قشير، أو عبدالله بن أبي.

نص آخر يخالف ما سبق:

ويقولون ايضاً: كان عمر بن الخطاب يضرب يومئذ بالمعول، فصادف حجراً صلباً، فأخذ(ص) منه المعول، وهو عند جبل بني عبيد فضربه، فذهبت أولها برقة الى اليمن. ثم ضرب أخرى فذهبت برقة الى الشام، ثم ضرب ثالثة فذهبت برقة نحو المشرق. وكسر الحجر عند الثالثة.

فكان عمر بن الخطاب يقول: والذي بعثه بالحق. لصار كانه سهلة (رمل ليس بالدقاق).

وكان كلما ضرب ضربة يتبعه سلمان ببصره، فيبصر عند كل ضربة برقة، فسأله عن ذلك، فأخبره ص: أنه رأى في الأولى قصور الشام، وفي الثانية قصور اليمن، وفي الثالثة قصر كسرى الابيض

(١) بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٠/٢٧١ عن الكافي.

١٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
بالمداخن. وجعل يصفه لسلمان. فصدقه سلمان، وشهد له بالرسالة.

فقال ص: هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي يا سلمان،
لنفتحن الشام، ويهرب هرقل الى أقصى مملكته، وتظهرون على الشام
فلا ينازعكم احد ولنفتحن اليمن، وليفتحن هذا المشرق. ويقتل
كسرى بعده.

قال سلمان: فكل هذا قد رأيت^(١).

ونقول:

إن هذا النص - كما ترى - يخالف جميع النصوص الأخرى،
الواردة في كتب الصحاح، والمسانيد، وفي كتب التاريخ، التي
سجلت لنا هذا الحدث الهام.

حيث إنه يذكر: أن عمر بن الخطاب هو الذي صادف الحاجر
الصلد، الذي ضربه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبرقت البرقات
الثلاث.

مع أن النصوص التي أوردتها سائر المصادر المعتبرة بالاسانيد
الموثوقة قد نصت على أن القضية بجميع فصولها وخصوصياتها،
وجزئياتها قد كانت مع سلمان الفارسي. بل قد ذكر النص الذي
أوردناه أولاً اسماء ثلاثة ليس عمر بن الخطاب أحدهم. ثم صرح بأن
الستة الباقين جميعهم من الانصار.

بل إن نفس هذا النص الذي ذكرناه آنفاً، والذي أراد حشر اسم

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٤٩ وامتناع الاسماع ج ١ ص ٢٢٣
واشار إليه في سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٩ و ٥٢٠ عن الواقدي
ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٨.

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٤٥

الخليفة الثاني في هذه القضية، قد عاد والتزم جانب سلمان، بمجرد أن أخذ النبي صلى الله عليه وآله المعول ليضرب به ذلك الحجر. ولم يعد لعمر فيه أي دور يذكر.

وكل ذلك يعطينا: أن ذكر اسم الخليفة الثاني هنا قد جاء سهواً من الراوي، ولعل ثمة حاجة في النفس قضيت.

القيادة الحازمة، والانضباط أساس النجاح:

وبعد، فإن سيطرة القيادة النبوية الشريفة على الموقف، وإشرافه صلى الله عليه وآله وسلم على كل تحرك، وتصرف، واستتباب حالة الانضباط التام لدى الفئات التي كانت تعمل معه، وتحت قيادته، له تأثير كبير في حسم الموقف، وفقاً لما ترسمه القيادة ويحقق أهدافها.

وقد تجلت الهيمنة القيادية للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من مجال في غزوة الأحزاب، وقد قرأنا آنفاً: أنهم حين ظهرت الكدية والصخرة قالوا: إنهم ما كانوا يتجاوزون ما خطه رسول ص أبداً، رغم أن المعدل قريب وتقدم أيضاً: أن أحداً لم يكن يترك موضعه وعمله لحاجة يريدونها إلا أن يأذن له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا هو ما طالب به أمير المؤمنين بعض أصحابه في صفين حين قال له: طاعة إمامك أوجب عليك من مبارزة عدوك. ونجد أمثال هذه الكلمة في مغزاها ومرماها الكثير في مختلف المواضع والمواقع.

وهذا الانضباط هو الضمانة للنجاح في أية خطة ترسم، إذ أن القبول بالانسياق وراء الاجتهادات المختلفة يفقد القيادة الثقة بإمكانية

١٤٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

تحقيق أية خطة تضعها للمواجهة، ثم هو يفسح المجال لتمرير بعض الخدع التي تفيد الاعداء، وتهيب لهم الظرف الملائم لتسديد ضرباتهم الموجعة، والخطيرة في احيان كثيرة. أضف الى ذلك ما يمكن ان ينشأ عن ذلك من منافسات ثم من نزاعات، إلى أن ينتهي الأمر الى التراشق بالتهم وتصعد الصف الواحد، الذي يفترض أن يكون كالبنيان المرصوص. ولم ينس المسلمون بعد ما أصابهم في حرب أحد، حيث تسبب الرماة والذين تركوا مراكزهم على ثغرة الجبل بكارثة حقيقية مني بها المسلمون كما سبق بيانه.

ومهما يكن من أمر فإن الانضباط في غزوة الاحزاب، والتقيد بأوامر النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد هيأ الفرصة لتحقيق النجاح الكبير الذي غير مسار تاريخ المواجهة مع المشركين، حتى قال النبي ص: الآن نغزوهم ولا يغزونا كما سيأتي ذلك مع مصادره في الفصل الأخير من هذا الباب إن شاء الله.

نقول هذا رغم اننا نجد المنافقين يحاولون التملص من تحمل مسؤولياتهم، ويختلقون الذرائع والحجج المختلفة لذلك. ولكن ذلك كان يتم وفقاً لقوانين الانضباط أيضاً، فقد كانوا يورون بالضعيف من العمل، وكانوا يستأذنون لحاجات وهمية، وما الى ذلك، ولكنه كله كان تحت سمع وبصر القيادة وفي نطاق علمها، وسيطرتها على الموقف كما هو معلوم.

مدائن كسرى وقصور الروم وصنعاء:

إننا حين نقرأ هذه القضية نشعر: أن المسلمين كانوا يواجهون اكبر تجمع لقوى الشرك، ويتهاؤون للدفاع عن وجودهم وحياتهم،

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٤٧

وهم يشعرون بعظيم الخطر الداهم، وتختلف في نفوسهم عوامل اليأس تارة، وعوامل الرجاء تارة أخرى.

ولعل المنافقين، ومن وراءهم اليهود قد أسهموا بتضعيف عوامل الرجاء بما أشاعوه وأذاعوه مما يؤكد ويقوي حالة التشاؤم الى درجة اليأس لدى الكثيرين ممن لم ترسخ لهم بعد قدم في الايمان والتسليم، والتوكل.

فتأتي قصة رؤية قصور الحيرة والروم وصنعاء، ومدائن كسرى حينما ضرب النبي ص تلك الصخرة المستعصية في الخندق ضربات ثلاث، - تأتي - لتعيد للمسلمين ثقتهم بنفوسهم وبربهم، وتطلعاتهم ونظراتهم القوية والثاقبة للمستقبل، ويتعد حينئذ تلقائياً شبح الخوف المذل والاستسلام الخانع لعوامل اليأس، التي لو تمكنت وترسخت فيهم لجرتهم الى مزالق الذل ولكان ذلك سبباً في ذهاب ريحهم، وسقوطهم في حمأة الهوان، والبوار؛ إذ أن الحادثة قد استبطنت: ان ما هم فيه ما هو الا «سحابة صيف عن قريب تقشع» وأنهم سيخرجون من هذه الضائقة التي يواجهونها مرفوعي الرأس، ليواصلوا مسيرتهم الظافرة من نصر الى نصر، ومن فتح الى فتح - حتى ينتهي بهم الأمر الى فتح الفتوح، حيث تفتح لهم البلاد، وتدخل العباد في دينهم أفواجا، ويملكون كنوز كسرى وقيصر، حسبما أخبرهم به الرسول (ص) منذ فجر دعوته في مكة.

ومما يدخل في هذا السياق: ما روي من أنه ص قال يوم الخندق لأصحابه: لئن امسيتم قليلاً، لتكثرن، وان امسيتم ضعفاء لتشرقن، حتى تصيروا نجوماً يهتدى بكم، وبواحد منكم^(١).

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٦٦.

١٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الأمل بالنصر:

وذلك كله يوضح لنا سرّ اطمئنان المؤمنين بنصر الله لما رأوا الأحزاب، قد أحاطوا بالمدينة، وضيقوا عليها الخناق، فلم ينهزموا أمام كل تلك الحشود، وما وهنوا لما أصابهم. بل واجهوا ذلك بكل صلابة عزم، وبكل تصميم قاهر، تحدث الله عنه سبحانه حينما قال: «ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم الا إيماناً وتسليماً»^(١).

أما المنافقون، فاتخذوا ما أخبر به النبي ص ذريعة للمزيد من السخرية، والتندر والاستهزاء، الذي يعبر عن انهزامهم النفسي والروحي أمام القوى الغازية.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

كرم وكرامة:

وقضية وليمة جابر في الخندق تروى بنصوص مختلفة نلخصها فيما يلي:

قال جابر: رأيت رسول الله (ص) يحفر، ورأيت خميصاً ورأيت بين عكنه الغبار. فاستأذن من النبي ص أن يذهب الى بيته، فأذن له.

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٥.

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٤٩

فعاد الى امرأته - واسمها سهيلة بنت مسعود الأنصارية. فاتفق معها على أن يصلحا ما عندهما، وهو مد من شعير، وعناق (شاة) أو شويهة غير سمينة. ثم يدعوا النبي (ص) للطعام.

فذهب ليدعوه مع رجل أو رجلين. فسأله النبي ص عما عنده فأخبره. فقال (ص): كثير طيب. ثم دعا أهل الخندق جميعاً، وقال لهم: إن جابراً قد صنع لهم سوراً.

فأقبلوا معه. قال جابر: فقلت: والله إنها الفضيحة. فأتيت المرأة فأخبرتها (أي بأنه ص قد جاءها بالجند أجمعين. أو قد جاءك رسول الله ص وأصحابه أجمعون).

فقالت: أنت دعوتهم، أو هو دعاهم؟

فقلت: بل هو دعاهم.

قالت: دعهم، هو أعلم.

وفي نص آخر: أنها سألته إن كان رسول الله (ص) قد سأله عما عنده؟ فأجابها بالإيجاب، فقالت له ذلك.

وذكرت نصوص أخرى: أنه ص أقبل وأمر أصحابه، فكانوا فرقاً عشرة عشرة. ثم قال اغرفوا وغطوا البرمة، وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه. ففعلوا، فجعلوا يغرفون، ثم يغطون البرمة، ثم يفتحونها، فلا يرون أنها نقصت شيئاً. ويخرجون الخبز من التنور، ثم يغطونه؛ فما يرونه ينقص شيئاً. فأكل الجميع حتى شبعوا.

وقال (ص): كلوا واهدوا، فإن الناس أصابتهم مجاعة شديدة.

فأكلنا وأهدينا.

وفي نص آخر: فلم نزل نأكل ونهدي يومنا ذلك أجمع؛ فلما

١٥٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
خرج رسول الله (ص) ذهب ذلك.

ولهذه الرواية نصوص تختلف من حيث التفصيل والاختصار لم
نر حاجة الى ايرادها، ويمكن لمن يريد ذلك أن يراجع المصادر التي
في الهامش^(١).

وقد صرحت بعض المصادر: بأن الذين اكلو عند جابر كانوا
ألف رجل. وهم جميع أهل الخندق. وقيل: كانوا ثلاث مئة، وقيل:
ثمان مئة وقيل: تسع مئة.^(٢)

(١) راجع النصوص المختلفة لهذه القضية في: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٦ - ١٩٠ وتفسير القمي ج ٢ ص
١٧٨ - ١٧٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٩ و ٢٢٠ و ١٩٨ و ١٩٩ وج ١٨
ص ٢٦ ج ٧ وص ٣٢ حديث ٢٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٦
و ٤١٥ و ٤٢٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١. وراجع: تاريخ الاسلام
للذهبي (المغازي) ص ٢٣٤/٢٣٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩/٣٣٠،
وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٧ - ٩٩ عن
البخاري، وأحمد، والبيهقي، وابن أبي شيبة، ومسلم، وابن اسحاق،
وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٠ و ٥٢١ وعن تقدم، وعن الحاكم
والطبراني وحداثق الانوار ج ١ ص ٢١٢ وج ٢ ص ٥٩٢ وشرح الشفاء
للقاري ط سنة ١٢٦٤ ج ١ ص ٢٤٥/٢٤٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨
ودلائل النبوة لابي نعيم ص ٣٥٨ و ٣٦٠ والشفاء ج ١ ص ٢٩١ واعلام
الورى ط دار المعرفة ص ٣٦ وصحيح مسلم، كتاب الاشربة، باب جواز
استتباعه غيره والخرايج والجرايح ج ١ ص ٢٧ و ١٥٢ - ١٥٤ واثبات الهداة
ج ٢ ص ٨٨.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٨ و ١٨٩
و ١٩٠ عن البخاري وابن أبي شيبة وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢١
و ٥٦٤ ودلائل النبوة لابي نعيم ص ٣٦٠ والشفاء ج ١ ص ٢٩١ ودلائل
النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٤ و ٤٢٦ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٥

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٥١

وفي بعض النصوص: حتى شبع المسلمون كلهم.

زاد ابن شهر اشوب: فلم يكن موضع للجلوس، فكان يشير الى الحائط، والحائط يبعد، حتى تمكنوا؛ فجعل يطعمهم بنفسه^(١).

وفي نص آخر: أنه (ص) قال: هل دللت على رجل يطعمنا أكلة؟ فدلوه على رجل، فذهب الى بيته. ولكنه كان في الخندق يعالج نصيبه، فأرسلت إليه امرأته، فأقبل يسعى، فذبح لهم جدياً كان عنده، فأكل منه عشرة، ثم ذهبوا، وجاء عشرة آخرون فأكلوا.

ثم قام (ص) ودعا لربة البيت، وسَمَّت عليها، وعلى أهل بيتها^(٢).

قضية أخرى فيها كرامة لرسول الله (ص):

وأرسلت أم معتب (أو أم عامر) الاشهلية بقعة فيها حيس^(٣) إلى

وراجع: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٩ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦١ واعلام الوري ص ٩٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٣. وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٤/٢٣٥ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ و١٣٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و٥٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ وحدثنا الانوار ج ١ ص ٥٣ و٢١٢ وج ٢ ص ٥٩٢.

(١) دلائل النبوة لابي نعيم ص ٣٦٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٨ وراجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٤ و١٥٥ والبحار ج ١٨ ص ٣٢ حديث ٢٥ والمناقب لابن شهر اشوب ج ١ ص ١٠٣.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٣/١٩٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠١ و١٠٠ عن الطبراني، وراجع فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٥.

(٣) الحيس: طعام متخذ من التمر والسمن، والدقيق والفتيت.

١٥٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
 رسول الله (ص)، وهو في قبته مع أم سلمة، فأكلت حاجتها، ثم
 خرج بالقعبة فنادى مناديه: هلم الى عشائه؛ فأكل أهل الخندق حتى
 نهلوا، وهي كما هي^(١).

كرامة أخرى للنبي (ص):

وبعث أبو طلحة إنساناً بأقراص من شعر تحت إبطه، ففتها
 (ص) وأطعم منها ثمانين^(٢).

يطعم الجيش كله حفنة من تمر:

ومما ذكره في هذا السياق: أن ابنة بشير بن سعد^(٣) جاءت
 بحفنة من تمر الى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة فرآها رسول الله
 (ص)، وهي تلمس أباه وخالها، فأخذ ذلك منها في كفه فما
 ملأها، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق
 الثوب.

ثم أمر جعال بن سراقه فصرخ في أهل الخندق: أن هلم الى
 الغداء. فاجتمعوا؛ فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل
 الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب^(٤).

(١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٢ عن ابن

عساكر، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٠.

(٢) حقائق الانوار ج ٢ ص ٥٩٢ وسنن الدارمي ج ١ ص ٢١ و٢٢ (المقدمة).

(٣) هي أخت النعمان بن بشير.

(٤) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٨/٢٢٩ وسبل الهدى والرشاد

ج ٤ ص ٥٢١ و٥٢٢ عن أبي نعيم، وابن اسحاق، والاكتفاء للكلاعي ج ٢

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٥٣

كرامة أخرى لرسول الله (ص):

عن معاوية بن الحكم قال: لما أجرى أخي علي بن الحكم فرسه، فدق جدار الخندق ساقه، فأتينا به الى رسول الله ص على فرسه؛ فقال: بسم الله، ومسح ساقه؛ فما نزل عنها حتى برىء^(١).

بين نظرتين:

أ - ويلفت نظرنا في قصة جابر: أن جابراً قد تصرف وفق ما وجد أنه متوفر لديه من معطيات مادية. حيث رأى أن ما عنده لا يكفي إلا لعدد يسير من الاشخاص، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم يكن ليجعل نفسه أسيرة للأسباب المادية في حدودها الظاهرة. بل تجاوز ذلك ليتعامل مع مسبب الاسباب، ومفيض الوجود، وهو الله سبحانه مباشرة، ولم يكن الله ليبخل على نبيه في وقت يحتاج فيه هؤلاء الناس الى الشعور برعاية الله سبحانه لهم.

ص ١٦١/١٦٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١/١٦٠ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٠ و١٩١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ وامتناع الاسماع ج ١ ص ٢٣٥ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٧ ودلائل النبوة لابي نعيم ص ٤٣٣ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٧ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١١٠ و١٢٣ وفيه: أنها أخت عبد الله بن رواحة وكذا في مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ١٠٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٢ عن الطبراني، وابي القاسم البغوي.

١٥٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وحتى مع اغماض النظر عن ذلك كله، فإن الاسوة والقُدوة لم يكن ليميز نفسه عن الناس، بل هو سوف يواسيهم بنفسه فيما قل وكثر، وفيما صغر وكبر. وذلك هو ما تمليه عليه التعاليم والمبادئ التي جاء بها من عند الله جل وعلا.

والذي يستأثر بإعجابنا العميق هو تلك اللفتة الواعية من زوجة جابر، والتي تظهر لنا أيضاً مدى إيمان هذه المرأة ومدى تسليمها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كما أنها تحكي لنا طبيعة ونوعية وسنخ اعتقادها بهذا الرسول الكريم والعظيم.

وذلك حينما أخرجت زوجها جابراً من حيرته المحرجة بسؤالها له: إن كان النبي قد علم بمقدار الطعام المتوفر عندهم، فأجابها بالإيجاب، فقالت: الله ورسوله أعلم.

ومن يدري فلعل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد عرف أن هذا الاخلاص من جابر وزوجته، ثم الإيثار منه (ص)، وحبه لأصحابه، واقدامه على تقاسم هذا القليل من الطعام معهم، ثم اخلاص صحابته الاخيار في دفاعهم عن أنفسهم، وعن كرامتهم، وشرفهم ودينهم، ونيهم، وهذه المتاعب الكبيرة، والمصاعب الخطيرة التي تواجههم بالإضافة الى أن الله سبحانه لن يخيب نبيه ووليّه وصفيه.

نعم إن ذلك كله إذا اقترن بأن اللطف الإلهي لا بد أن يظهر في هذه الفترة العصيبة بالذات ليطمئن المؤمنون الى نصر الله سبحانه، فإن زيادة الطعام الذي قدمه جابر، حتى ليأكل المسلمون كلهم حاجتهم منه تصبح أمراً مقبولاً ومعقولاً، وفي محله..

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٥٥

التزوير الرخيص:

زعم الشعراني: «أنه شاهد شيخه الشيخ محمد الشناوي، وقد جاء من الريف، ومعه نحو خمسين رجلاً، ونزل بزاوية شيخه الشيخ محمد السروي، فتسامع مجاوروا الجامع الازهر بمجيئه، فأتوا لزيارته، فامتلأت الزاوية، وفرشوا الحصرفي الزقاق.

ثم قال لنقيب شيخه: هل عندك طيبخ؟

قال: نعم، الطيبخ الذي أفعله لي ولزوجتي.

فقال له: لا تغرف شيئاً حتى أحضر.

ثم غطى الشيخ الدست بردائه، وأخذ المغرفة، وصار يغرف إلى أن كفى من في الزاوية، ومن في الزقاق.

وهذا شيء رأيته بعيني»^(١).

ونحن إذا قارنا بين هذا الكلام وبين قضية وليمة جابر، فإننا نجد أن هذا النص أراد أن يعطي الشناوي نفس الكرامة التي ثبتت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استجاب لدعوة ذلك الرجل الصالح رحمه الله، والذي يستوقفنا هنا ثقة الشناوي بحصول الكرامة له، وكأنه يمارس عملاً عادياً لا يشك في انتهائه الى النتيجة التي يريد بها. تماماً كما كان الحال بالنسبة للنبي في الخندق.

وليت شعري لماذا لم يشتهر أمر الشناوي في الآفاق، وتسير به الركبان من بلد الى بلد، ويصبح قبره كقبر النبي في المدينة المنورة تشد إليه الرحال، وتقصده النساء والرجال من أقصى بلاد المعمورة؟

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣١.

١٥٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
مع أننا نجدهم يقصدون زيارة قبور أناس صالحين لم يظهر لهم حتى
ولو كرامة واحدة من هذا القبيل!!

الجهد، والضعف والجوع:

قد تحدثت النصوص التي سلفت في هذا الفصل، وفي غيره من
الفصول عن المعاناة التي كان يتعرض لها المسلمون بسبب شحة
الأقوات في تلك السنة بالذات حيث «كان المسلمون قد أصابهم
مجاعة شديدة، وكان أهلهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه»^(١).

ويذكر نص آخر: أن حفر الخندق كان في زمان عسرة، وعام
مجاعة، حتى إن الاصحاب كانوا يشدون على بطونهم الحجر من
الجهد والضعف الذي بهم من الجوع، ويقول البخاري: إنهم لبثوا
ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقاً، وكذلك النبي (ص)^(٢).

وفي نص آخر: «يؤتون بملء كفي من الشعير، فيصنع لهم باهالة
سنة توزع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق،
ولها ريح متنة»^(٣).

ويقول أبو طلحة: «شكونا إلى رسول الله (ص) الجوع، ورفعنا

-
- (١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٦.
(٢) راجع مصادر حديث جابر الذي أوردناه في فقرة: كرم وكرامة. وراجع
أيضاً: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢.
(٣) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص
٩٦ عن البخاري، وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٥ وصحيح
البخاري ج ٣ ص ٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٧ ودلائل النبوة
للبيهقي ج ٣ ص ٤١٢ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٧.

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٥٧
عن بطوننا عن حجر، حجر، فرفع رسول الله (ص) عن بطنه
حجرين^(١).

ويقول نص آخر: «وكانوا في قر شديد وجوع»^(٢).

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كنا مع النبي (ص)
في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة، ومعها كسرة خبز، فدفعته إلى
النبي (ص) فقال النبي عليه الصلاة والسلام: ما هذه الكسرة؟!
قالت: قرصاً خبزتها للحسن والحسين، جئتك منه بهذه
الكسرة.

فقال النبي (ص): أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث^(٣)
ولنا هنا وقفات:

الاولى: النبي (ص) وصوم الوصال:

لقد ذكروا: أن النبي (ص) نهى عن صوم الوصال، فقالوا له:
مالك تواصل يا رسول الله؟!
قال: إني لست مثلكم، إني ابيت يطعمني ربي ويسقيني.

قال ابن حبان: ويستدل بهذا الحديث على بطلان ما ورد: أنه
(ص)، كان يضع الحجر على بطنه، لأنه كان يطعم ويسقى من ربه إذا
واصل. فكيف يترك جائعاً مع عدم الوصال، حتى يحتاج الي ربط

(١) السيرة النبوية للندوي ص ٢٨٢ عن الترمذي.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩.

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٠ وذخائر العقبى ص ٤٧ وبحار الأنوار ج
٢٠ ص ٢٤٥ وصحيفة الامام الرضا (ع) ط دار الأضواء ص ٧١/٧٢.

١٥٨..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الحجر على بطنه؟!

قال: وإنما لفظ الحديث: الحجز، بالزاي، وهو طرف الازار. فصحفوا، وزادوا لفظ الجوع.

وأجيب: بأنه لا منافاة، كان (ص) يطعم ويسقى إذا واصل في الصوم. أي يصير كالطاعم والساقى، تكربة له. ولا يحصل له ذلك دائماً، بل يحصل له الجوع في بعض الأحيان، على وجه الإبتلاء الذي يحصل للأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، تعظيماً لثوابهم^(١).

أضف إلى ذلك أن توجيه ابن حبان هذا، ودعواه تصحيف كلمة الحجز بالحجر لا يتلاءم مع ما تقدم عن علي عليه السلام، ولا مع ما تقدم عن جابر في قصة اندفاعه لتهيئة الطعام للنبي (ص) لما رآه خميصاً. ولا مع ما ذكر في قصة سلمان حينما طلب من النبي (ص) أن يعالج الصخرة.

الثانية: العزم والثبات:

ويلفت النظر هنا: أنه رغم كل ما كان يعانيه المسلمون من جهد وضعف وجوع، وبرد - كما يقولون - فإن ذلك لم ينل من عزمهم، ولم يؤثر على إرادتهم، ولا هزمهم روحياً. بل استمروا في تصميمهم على تنفيذ قرارهم بالمواجهة. ولم يحملهم ذلك على الدخول في أي مساومة، وتقديم أية تنازلات.

ولا شك في أن للعامل الايماني دوره الحساس في هذا المجال، ولعل العامل الأهم هنا هو توفر القيادة الحكيمة والواعية

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩.

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٥٩
والحازمة. المرتبطة بالله سبحانه والتمثلة بشخصية النبي الاكرم صلى
الله عليه وآله وسلم.

الثالثة: الخصاصة والجوع:

قد تعودنا من أولئك الذين يتعاقبون على كراسي الحكم: أن يكونوا من أصحاب الاموال الطائلة، وأهل الثراء الفاحش، مع سعي حثيث منهم للتمتع بمباهج الحياة، والتقلب في ملذاتها، واهتمام ظاهر بما فيها من زينة، وزبارج، وبهارج، في حين تكون شعوبهم تعاني من النصب والحرمان، ومن الحاجة والخصاصة بدرجة قبيحة ومزرية. إن لم نقل: إن الكثيرين من هؤلاء الحكام هم الذين يمتصون دماء شعوبهم، ويعبثون بمقدراتها، ويختلسون كل ما قدروا عليه من أموالها.

أما نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فانه على عكس ذلك تماماً، فها هو في أيام الخندق يربط الحجر، ولا يستأثر لنفسه بشيء من حطام الدنيا. بل إنه حتى حينما يرغب أحدهم في استضافته على الشيء القليل جداً في هذا الظرف العصيب بالذات، لا يرضى صلى الله عليه وآله إلا أن يشاركه المسلمون جميعاً في ضيافته تلك؛ فيبارك الله سبحانه في ذلك الطعام، وتكون الكرامة من الله سبحانه لرسوله الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم نجد علياً أمير المؤمنين عليه السلام خير من يتأسى برسول الله، ويسير على نهجه، وينسج على منواله، فإنه رغم أنه كان قد أنشأ - بكّد يده، وبغرق جبينه - الكثير من الضياع والبساتين، لكنه لم يكن يستفيد منها لتحسين وضعه المعيشي، ولا أحدثت تغييراً في حياته

١٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الخاصة، بل كان يتصدق بها ويوزعها على الفقراء والمحتاجين، وقد أوقف عامتها على جهات البر المختلفة، ثم لم يزل يلبس الخشن، ويأكل الجشب إلى أن توفاه الله سبحانه. وحسبك ما كتبه لعثمان بن حنيف، يلومه على حضوره وليمة دعي إليها.

قال عليه السلام:

«ألا وإن لكل مأموم اماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن اعينوني بورع، واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنت من دنياكم تبرا، ولا ادخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا، ولا حزت من أرضها شبرا، ولا أخذت منه إلا كقوت دبيرة. ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة»^(١).

إلى أن قال: «ولو شئت لا اهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز. ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع.

أو ابنت مبطانا وحولي بطون غرثي، وأكباد حرّى، أو اكون كما

قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو اكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟ فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همها علفها، أو المرسلة،

(١) مقرة: مرة.

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الالهية ١٦١

شغلها تقممها^(١)، تكثرش^(٢) من أعلافها، وتلهو عما يراد بها».

الى أن قال: «وكأنني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب؛ فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان. ألا وان الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً، والنابتات العذبة^(٣) أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً الخ^(٤)».

(١) التقمم: التقاط القمامة.

(٢) تكثرش: تملأ كرشها.

(٣) العذبة: الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.

(٤) نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح، ط سنة ١٣٨٧ هـ. ق) ص ٤١٧ و٤١٨.

الفصل الخامس:

**جيش المسلمين، وجيش
المشركين في المواجهة**

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة . . . ١٦٥

الاعداد والاستعداد:

قال البلاذري: «بلغ رسول الله (ص) الخبر، فندب المسلمين الى قتال الأحزاب، وخرج فارتاد لعسكر المسلمين»^(١) وكان خروجه بعد أن استخلف على المدينة ابن ام مكتوم^(٢)

وحسب نص الصالحى الشامى: «ركب فرساً ومعه عدة من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعاً، فكان أعجب المنازل اليه أن يجعل سلعاً الجبل خلف ظهره، ويخندق الخ...»^(٣)

وكان خروجه (ص) لثمان خلون من ذي القعدة، أو شوال،

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣.

(٢) راجع: الثقات ج ١ ص ٢٦٦ والتنبيه والاشراف ص ٢١٦ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ والعبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣ و ١٠٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ و ٣١٤ وامتناع الاسماع ج ١ ص ٢١٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٣ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٤١٤/٤١٥.

١٦٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

حسبما تقدم. ويقال: إن خروجه (ص) كان في يوم الاثنين^(١)

واختار صلى الله عليه وآله ذلك الموضع المكشوف للخندق،
وجعل معكسره تحت جبل سلع^(٢) أو سفح سلع، أو سطح سلع، أو
جعل سلعاً وراء ظهره، والخندق بينه وبين القوم^(٣)

يقول البعض: «فلو أن العدو عبر الخندق لقدمت سلع
للمدافعين نفس المزايا التي حصلوا عليها في أحد»^(٤).

ويستفاد مما تقدم أن موقعهم كان عند سلع من جهة الشام

(١) راجع: نهاية الارب ج ١٧ ص ١٧٠ وغير ذلك من المصادر السابقة
واللاحقة.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥.

(٣) راجع المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة، والبدء والتاريخ ج ٤ ص
٢١٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و ٣٠٠ وج ٤ ص ١٢٠٤ والمغازي
للقاظمي ج ٢ ص ٤٥٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩
والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧
والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢
و ١٦٣، وأنساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٣ وتاريخ الاسلام للذهبي
(المغازي) ص ٢٣٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٧ وجوامع السيرة
النبوية ص ١٤٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص
٤١٥ و ٥١٤ و ٥٢٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي
ج ٣ ص ٤٢٨ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص
١١٢ وامتاع الاسماع ج ١ ص ١٢٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٢
ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الانوار ج ٢٠ ص ٢٠٠ ونهاية الارب
ج ١٧ ص ١٦٨ وراجع سعد السعود ص ١٣٨.

(٤) محمد في المدينة ص ٥٦.

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة . . . ١٦٧ والمغرب^(١)

مقر القيادة:

«وضربت له صلى الله عليه وآله وسلم قبة من أديم أحمر، على القرن في موضع مسجد الفتح»^(٢) وتقدم في الفصل السابق، حين الكلام عن قصور الروم وفارس: أنها قبة تركية.

وعلى حد تعبير الواقدي: «وضرب قبة من آدم. وكانت القبة عند المسجد الأعلى الذي بأصل الجبل، جبل الأحزاب»^(٣).

ونسجل هنا:

أ: إنه يستفاد من هذا ومما تقدم من أن بعض النصوص ذكرت أنه (ص) جعل معسكره سطح (أو سفح) سلع: أنه صلى الله عليه وآله قد اختار من السفح موضعاً مشرفاً، ومرتفعاً نسبياً يمكنه من مراقبة الوضع بدقة، ثم المبادرة إلى اتخاذ القرار اللازم في الموقع المناسب

ب: إنه إذا كان المشركون إنما يفكرون بالدنيا، ويرون العزة بما يحصلون عليه من حطامها، فإن رؤيتهم رسول الله (ص) في مكان مشرف عليهم، وهو في قبة ذات لون متميز، من آدم أحمر، سيكون مغياً لهم، وسيزيد من حسرتهم وحنقهم، حين يرغمون على

(١) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٠.

(٢) وراجع أيضاً: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ و٤٥٧ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤.

١٦٨..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
التراجع، وهم يجرون أذيال الخيبة والخسران. وقد خلفوا وراءهم
قتلى من رؤسائهم وأبطالهم، كما سنرى.

عرض النبي (ص) الخارجين الى الحرب:

ثم عرض (ص): الجيش، وهو يحفر الخندق
فعن أبي واقد الليثي قال: رأيت رسول الله (ص) يعرض
الغلمان، وهو يحفر الخندق؛ فأجاز من أجاز، وردّ من رد.
وكان الغلمان يعملون مع الذين لم يبلغوا ولم يجزهم. ولكن
لما لحم الأمر، أمر من لم يبلغ أن يرجع الى أهله، الى الآطام مع
الذراري. الى أن قال:

فكان ممن أجاز رسول الله (ص) يومئذ ابن عمر وهو ابن خمس
عشرة، وزيد بن ثابت، وهو ابن خمس عشرة، والبراء بن عازب،
وهو ابن خمس عشرة^(١). «وأبا سعيد الخدري ولم يردهم. ويقال: إنه
أجازهم قبل ذلك»^(٢)

قال العسقلاني: «عرض الجيش اختبار أحوالهم قبل مباشرة
القتال للنظر في هيبتهم وترتيب منازلهم وغير ذلك»^(٣)

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٣ وانساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٣
و٣٤٤ وراجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢
ص ٣١٤/٣١٥ وامتناع الاسماع ج ١ ص ٢٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤
ص ٥٢٣.

(٢) انساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٤ راجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥.

(٣) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢.

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة ١٦٩ . . .

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت المدينة بسبب حفر الخندق كالحصن، حسبما تقدم^(١)

النساء والأطفال في الآطام:

ويذكر المؤرخون كافة تقريباً، وهم يتحدثون عن غزوة الخندق: أن النبي (ص) قد جعل النساء والصبيان في الآطام^(٢)

قال الواقدي: «ورفع النساء والصبيان في الآطام، ورفعت بنو حارثة الذراري في أطمهم. وكان أطمأ منيعاً. وكانت عائشة يومئذ فيه ورفع بنو عمرو بن عوف النساء والذرية في الآطام

وخندق بعضهم حول الآطام بقباء. وحصن بنو عمرو بن عوف ولفها، وخطمة، وبنو أمية، ووائل، وواقف فكان ذراريهم في آطامهم»^(٣)

الحرس على أبواب الخندق:

ويذكر المؤرخون: أنهم بعد أن حفروا الخندق، وحصنوه، «جعل له رسول الله أبواباً»^(٤)، وجعل على الأبواب حرساً، من كل قبيلة

(١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٣ وراجع أواخر الفصل الثاني، حين الكلام عن تشييك المدينة بالبنان.

(٢) قد ذكرت ذلك مختلف المصادر التي تقدمت في هذا الفصل، فمن أرادها فليراجعها.

(٣) المغازي ج ١ ص ٤٥١.

(٤) راجع: مغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤

١٧٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
رجلاً، وعليهم الزبير بن العوام، وأمره إن رأى قتلاً أن يقاتل». (١)

وفي نص آخر: «وجعل على كل باب رجلاً من المهاجرين
ورجلاً الأنصار مع جماعة يحفظونه» (٢)

وتقدم: أن ابواب الخندق كانت ثمانية.

تركيبة الحرس مثار تساؤل:

وأما لماذا إختار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أن
تكون تركيبة الحرس على أبواب الخندق بهذا الشكل، فربما يكون
السرف فيه هو أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أراد أن يقطع الطريق على
أي تفكير تأمري، من خلال اتصالات سرية فيما بين المشركين
والمنافقين أو غيرهم، للتواطؤ على المسلمين. ولو عن طريق الاغراء
بالمال، أو الاحتيال، أو التغفيل، حيث يتمكنون من احداث ثغرة أو
أكثر، من شأنها أن تعرض المسلمين للخطر الكبير

وحين يكون الحرس من كل قبيلة رجلاً، فإن الرقابة على
بعضهم البعض تصبح طبيعية، ولن يعود من السهل فتح علاقة مشبوهة
مع أي منهم. ويصبح احتمال تواطؤهم أبعد. واتفاقهم على الخيانة
يكون أصعب وأعقد.

ص ٥١٥ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢
ص ٣١٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٧، ووفاء الوفاء ج ٤ ص
١٢٠٦.

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٠.

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة . . . ١٧١

ويلفت نظرنا هنا ذلك النص الذي بين فيه اهتمام النبي بمشاركة الانصار للمهاجرين في هذا الأمر. ونحن نعلم أن امكانية اختراق مشركي أهل مكة للمهاجرين اسهل وأيسر؛ لأنهم إخوانهم، وأبناءؤهم، ولم نزل نجد في المهاجرين من يحابي قومه ويهتم بعدم الحاق المزيد من الأذى بهم بدءاً من حرب بدر، حسبما أوضحناه هناك في قضية فداء الأسرى

بل لقد وجدنا حتى زوجة النبي تخرج عن وقارها، وتندفع لتحرض على رسول الله (ص) في بدر، فراجع ما ذكرناه هناك أيضاً عن سودة بنت زمعة. وتجد في كتابنا هذا، وفي كتاب الغدير والمعارضون شواهد كثيرة وغزيرة ومثيرة عن مواقف قريش من النبي (ص) وأهل بيته. ولا نرى حاجة لإعادة التذكير بها هنا.

الذراري والنساء في الآطام:

وإن جعل النساء والذراري في مواضع حصينة، وتجميعهم في اماكن معينة يعتبر إجراء حكيماً، لأنه يوفر على المسلمين معاناة حالة التوزع في الإهتمامات، وانتشارها، ويركزها في نقطة أو نقاط محددة يمكن التركيز عليها في الرعاية الأمنية، وتسهيل تقديم المعونة الفاعلة والمؤثرة والسريعة، وفق خطة مرسومة في الوقت المناسب لو فرض تعرضها لأي خطر من قبل الأعداء.

ثم هي تمكن هؤلاء الضعفاء من أن يفيدوا من مناعة تلك الآطام للدفع عن أنفسهم بدلاً من بيوت واهنة لا تساعد على حمايتهم، ولا تدفع عنهم في شيء.

١٧٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وبذلك لم يعد النساء والأطفال منتشرين على مساحات واسعة، بصورة تجعلهم هدفاً سهلاً لكل عابث، وعرضة لأطماع الأعداء والسفهاء، الأمر الذي يوجب إرباكاً نفسياً لدى القوى التي يفترض فيها أن تصب كل اهتماماتها على نقطة واحدة، وواحدة فقط، وهي دفع العدو، وإبطال كيده، والحاق الهزيمة المخزية به

وقد يمكن للعدو - لو لم تجعل الذراري والنساء في الآطام - أن يستفيد من الوضع القائم، فيعتدي أو يتظاهر بالإعتداء على المواقع المختلفة المنتشرة على مساحة المدينة بأكملها. وذلك بهدف زعزعة حالة الاتحاد والانسجام لدى الجيش الاسلامي، ليتمكن من إنزال ضربته القاصمة في الوقت المناسب.

وقد كان بنو قريظة يعرفون تفاصيل مسالك المدينة، لأنهم من أهلها، فقيامهم بأي تسلل إليها سوف يربك الوضع في ساحة القتال بصورة كبيرة وخطيرة.

وقد كان المسلمون يعرفون ذلك، فكانوا يعيشون حالة القلق، لولا هذا الإجراء الذي اتخذه صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما زاد في الربط على القلوب، وتهدة المشاعر، واستقرار الحالة النفسية أنه صلى الله عليه وآله قد جعل حراساً يطوفون في المدينة، حتى أصبح واضحاً ليهود بني قريظة ولغيرهم: أن أي تحرك سوف ينتهي بنكسة خطيرة لهم.

وقد كان للتجربة التي قام بها بعضهم للوصول الى حصن حسان الذي كان فيه النساء، وانتهت بقتل ذلك الرجل على يد زينب بنت جحش عبرة لهم وبلاغ.

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة ١٧٣ . . .

عقد الأولوية للحرب:

أما بالنسبة لعقد الوية الحرب فإننا نقول:

ألف: بالنسبة للمشركين، فالمؤرخون يقولون: إنهم عقدوا لواءهم في دار الندوة، وحمله عثمان بن أبي طلحة، وقائد القوم أبو سفيان^(١)

ثم وافى المشركون المدينة، فأنكروا أمر الخندق، وقالوا: ما كانت العرب تعرف هذا^(٢)

ب: بالنسبة للمسلمين، يقول المؤرخون: «وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عباد، وكان (ص) يبعث الحرس على المدينة، خوفاً على الذراري من بني قريظة»^(٣)

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ والامتناع ج ١ ص ٢١٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٣.

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠، والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ وبحار الانوار ج ٢ ص ٢٢٤ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٣ وراجع: الارشاد للمفيد ص ٥٢ وكشف الغمة للاربلي ج ١ ص ٢٠٢ واعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠٠.

(٣) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ وراجع ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع: امتناع الاسماع ج ١ ص ٢٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤

١٧٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ونقول: إننا لا نهتم لتحريفات المؤرخين هذه؛ حيث نراهم يتجاهلون الحقيقة الدامغة لإرضاء لأسيادهم، وانسياقاً مع أهوائهم، وعصبياتهم وتعصباتهم البغيضة

فها هم يهملون هنا ذكر صاحب الراية العظمى، للجيش كله وصاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل مشهد، وهو علي أمير المؤمنين عليه السلام مع تصريحهم باسم حامل لواء المهاجرين، وحامل لواء الأنصار.

ونقول هنا:

١ - إنه قد تقدم في حرب أحد في فصل: قبل نشوب الحرب وفي بدر أيضاً طائفة من النصوص التي تضافرت وتواترت في كتب السيرة والتاريخ والحديث بالاسانيد الصحيحة والموثوقة: أن علياً عليه السلام هو صاحب لواء وراية النبي في كل مشهد، وتقدم أن ذلك من فضائله وخصائصه التي اشتهر بها. وهذه حقيقة مؤلمة لمبغضي وشائني علي عليه السلام ولأجل ذلك فهم يحاولون تجاهلها، والدس الرخيص للتشكيك بها، ولو وسعهم الجهر، بإنكارها لبادروا الى ذلك.

٢ - قد ورد في احتجاج الامام الحسن المجتبي عليه السلام على معاوية وابن العاص، والوليد الفاسق قوله:

«ثم لقيكم يوم أحد، ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله، ومعك ومع أبيك راية الشرك»^(١).

وراجع: نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٨.
(١) كفاية الطالب ص ٣٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٩ والغدير

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة . . . ١٧٥

٣ - روى الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس، قال: كانت راية رسول الله (ص) مع علي (ع) في المواقف كلها: يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، ويوم الأحزاب، ويوم فتح مكة. وكانت راية الأنصار مع سعد بن عباد في المواطن كلها، ويوم فتح مكة، وراية المهاجرين مع علي عليه السلام^(١).

وهذا يدل على أن قولهم: كانت راية المهاجرين يوم الأحزاب مع زيد بن حارثة غير صحيح.

شعار الحرب:

ويقول المؤرخون: كان شعار المهاجرين أيام الخندق: «يا خيل الله»^(٢)

وقالوا أيضاً: كان شعار أصحاب رسول الله (ص) يوم الخندق وبني قريظة:

حم. لا ينصرون^(٣)

ج ١٠ ص ١٦٨ عنه. وجمهرة الخطب ج ٢ ص ٢٣.

(١) اعلام الوری ط دار المعرفة ص ١٩١.

(٢) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ عن ابن هشام وص ٤٨٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ والكافي ج ٥ ص ٤٧ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٧٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٢ عن ابن هشام، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٧ وتهذيب سيرة ابن هشام

١٧٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ونقول:

لقد رأينا: أن شعار المسلمين في حروبهم مع أعدائهم، سواء في زمن رسول الله (ص). أو في زمن علي عليه السلام في حروبه مع البغاة هو: «حم، لا ينصرون». وكذا عبارة: «يا منصور أمت».

وهاتان الكلمتان لهما دلالاتهما وإيحاءاتهما في ظرف كهذا؛ حيث انها تزرع الطموح الى النصر في قلب وروح المقاتل المسلم، فيزداد جرأة على القتال وإقداماً على التضحية، ويتذرع بالصبر الجميل على ما يواجهه من مكاره يترقب الفرج والفوز بعدها بنمزيد من الطمأنينة والثقة ويكون تحركه في ساحة القتال والحالة هذه تحرك الواثق، الذي يريد من خلال تفعيل طاقاته القتالية بحكمة وحنكة وتعقل أن يتجاوز هذا الواقع، الذي يرى فيه وضعاً استثنائياً ونشازاً - لا تساعد على بقاءه عوامل راسخة ولا طبيعية.

ثم إن هذا الشعار، حين يبدأ بوحدة من مفردات الحروف المقطعة التي اختص بها القرآن، فإنه يكون قد أوحى مسبقاً لهذا الانسان المؤمن بصدق هذا الوعد الالهي، الذي يتلفظ به هو نفسه، ويطلقه شعاراً له في هذا الوقت بالذات الذي يحتاج اليه عملياً. فهو

ص ١٩٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨، وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧١ و٢٧٢ عن الترمذي، وأبي داود والوسائل ج ١١ ص ١٠٥ والكافي ج ٥ ص ٤٦ و٤٧ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٩١. وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٠ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وقال: «لعل المراد بالمسلمين الأنصار، فلا يخالف ما في الامتاع، وكان شعار المهاجرين: يا خيل الله». ونقول: إن هذا التوجيه لا يمكن المساعدة عليه.

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة . . . ١٧٧
شعار يتجه نحو الواقع ليتجسد حقيقة ملموسة له، ويساهم هو في
صنعها وفي بلورتها.

والأمر الملفت للنظر هنا: ان يكون هذا اليقين قد أيقظه في
نفسه كلمة حم، التي هي رمز التحدي الفكري كما تقدم في الجزء
الثاني من هذا الكتاب مفصلاً. وقد اقترن هذا التحدي الفكري
بالتحدي بالعنف والقتال، كنتيجة طبيعية لعجز قوى الشرك، وهزيمتها
المخزية والنكراء في مجال الفكر والمثل والقيم.

وأما بالنسبة للمشركين فالأمر سيكون على عكس ذلك تماماً،
فإنهم حين يسمعون هذه الكلمة (حم، لا ينصرون) لسوف يتمثلون
حالة العجز والسقوط والهزيمة بكل انحاءها، وبكل مجالاتها. وسوف
تزرع هذه الكلمة اليأس والفشل في نفوسهم. فإنها كانت رمز التحدي
القرآني لهم ولكل من هو على شاكلتهم، بالإضافة الى إحياءات
أخرى، المحنا إليها فيما سبق كانت إيجابية بالنسبة لقوى الايمان،
ولسوف تكون معكوسة وسلبية بالنسبة لقوى الشرك والطغيان.

فليتأمل المتأمل فيما ذكرناه، وليتدبره كيف يتحول الى الضد من
ذلك على قوى الشرك، حتى لا يضطر الى إعادة تفصيلية له.

غير أننا نلمح هنا الى نقطة واحدة نضيفها الى ما سبق، وهي أن
هذا الشعار يقول: «لا ينصرون» بصيغة المبني للمجهول ولم يقل: «لا
ينتصرون» ففيه الماح الى أن المشركين لا يملكون معطيات النصر في
أنفسهم فلا بد أن ينتظروا النصر من غيرهم، وليس ثمة ناصر لهم ولا
معين، فهزيمتهم حتمية لفقدانهم مقومات النصر من الجهتين فالمشرك
يرى العجز والفشل الفكري والعقدي بكلمة حم. كما انه يتمثل
الخواء من أي من القدرات والطاقات التي تخوله ان يصنع نصراً. فهو

١٧٨..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

مهزوم في الحاليتين . المؤمن يأتيه النصر من الله ، وهو على يقين من هذا النصر فاجتمع على قوى الشرك عاملان من عوامل الضعف ولقوى الايمان عاملان من عوامل القوة .

هذا عدا عن أن الصيغة صيغة إخبار، تعطي: مزيداً من الثقة بتحقيق ذلك، حتى كأنه أمر واقع وملموس، يصح الإخبار عنه بهذه الدرجة من الجزم والثبات والطمأنينة. ولسوف يتيقن المشركون صدق هذا الوعد، ما دام أنه هدي قرآني استقر في نفوسهم: أنهم اعجز وأصغر من أن يشككوا في أي من آياته وحقائقه.

وهذا درس نافع نستفيدة من هذا الشعار، نسأل الله التوفيق للتوفر على دراسة هذا الموضوع بصورة أتم وأوفى، وأوضح وأجلى وأصفى، وهو الموفق، والهادي الى سواء السبيل

عدة وعدد المسلمين:

هنا، وقد اختلفت كلمات المؤرخين في عدة وعدد الجيش الاسلامي الذي واجه الأحزاب في حرب الخندق.

فأما بالنسبة للعدة، فقد «ذكر ابن سعد: أنه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً»^(١).

وأما بالنسبة الى العدد فنشير الى الأقوال التالية:

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ عن ابن سعد، والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧.

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة ١٧٩ . . .

١ - قيل كان المسلمون سبع مئة، وهو قول ابن اسحاق^(١).

وقد حكم البعض على ابن اسحاق بأنه «وهم في ذلك» وغلط. وزعم ابن القيم: ان منشأ الغلط هو ارتكاز عدد من خرج معه (ص) في أحد^(٢).

٢ - قيل: كانوا ألفاً أو نحوها، وهو صريح رواية البخاري، ومسلم عن جابر. وصرح به قتادة أيضاً^(٣).

٣ - وقيل: تسع مئة أضاف ابن خلدون قوله: «وهو راجل بلا شك».

وقال ابن حزم: «وهو الصحيح الذي لا شك فيه، والأول وهم»^(٤). يريد بالأول: القول بأنهم كانوا ألفاً.

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ عن ابن اسحاق. وراجع: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ وراجع ص ٥٦٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ والبحار ج ٢ ص ٢١٨ عنه وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٤ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧.

(٣) راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٥ وحنائق الانوار ج ١ ص ٢١٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٤.

(٤) راجع: العبر وديوان المبتدا والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ وراجع: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٥ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩.

١٨٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

٤ - وذهب أكثر المؤرخين الى أنهم كانوا ثلاثة آلاف أو نحوها^(١).

ونقول:

أ: إننا نحتمل قوياً أن يكون القول الثالث هو نفس قول ابن اسحاق، لكن النساخ صحفوا سبعة بتسعمئة، لتقارب رسم الخط في الكلمتين، وعدم وجود النقط في السابق، وما أكثر ما يقع الاشتباه والاختلاف بين سبع وتسع، من أجل ذلك.

ب: إننا نرجح قول ابن اسحاق، وإن حكم عليه البعض

(١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٠ عنه، وراجع هذا القول في المصادر التالية: سيرة مغلطاي ص ٥٦ والتنبيه والاشراف ص ٢١٦ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ وج ٤ ص ١٢٠٤ عن المطري عن ابن اسحاق والثقات ج ١ ص ٢٦٦ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ والوفا ص ٦٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ج ٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ والعبر وديوان المبتدا والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ و ١١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٣ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و ٥٦٥ وكشف الغمة للاريلي ج ١ ص ١٩٧ وشرح النهج للمعتزلي، منشورات دار مكتبة الحياة ج ٤ ص ٢٦٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ عن المناقب ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٨ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ ومختصر التاريخ ص ٤٣ وحبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٧ وسعد السعود ص ١٣٨.

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة ١٨١٠٠٠
كالحلبي وغيره، بأنه قدوهم أو غلط في ذلك.

ولو تنزلنا عن ذلك، فإننا نأخذ بالقول الثاني، أما القول بأنهم كانوا ثلاثة آلاف، فلا مجال للاعتماد عليه، وذلك للأمور التالية:

١ - ما تقدم في قصة إطعام جابر لأهل الخندق جميعاً وكانوا سبع مئة رجل، أو ثمان مئة، أو ألف رجل، فراجع حديث جابر المتقدم في الفصل السابق، وراجع المصادر التي أشير إليها في الهوامش هناك.

٢ - روي عن الامام الصادق عليه السلام: أنه صلى الله عليه وآله وسلم شهد الخندق في تسع مئة رجل^(١). ويحتمل أن تكون كلمة تسع تصحيفاً لكلمة سبع أيضاً.

٣ - روي: أن النبي (ص) قال: اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام، فكتب حذيفة بن اليمان له ألفاً وخمس مئة رجل. وفي نص آخر: ونحن ما بين الست مئة الى السبع مئة. قال الدمايني: قيل: كان هذا عام الحديبية^(٢).

ويرى البعض: أن المسلمين كانوا في أحد بعد رجوع المنافقين سبع مئة رجل، وبين أحد والخندق سنة أو أكثر بقليل. ويبعد أن يزيد المسلمون خلال سنة واحدة هذه الزيادة الكبيرة، بحيث

(١) الكافي ج ٥ ص ٤٦ والوسائل ج ١١ ص ١٠٥.

(٢) راجع: صحيح البخاري ج ٢ ص ١١٦ وصحيح مسلم ج ١ ص ٩١ ومسنند أحمد ج ٥ ص ٣٨٤ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٣٧ والتراتيب الادارية ج ١ ص ٢٢٠ و٢٢٣ وج ٢ ص ٢٥١ و٢٥٢ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ١٥ ص ٦٩.

١٨٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
يصلون الى ثلاثة آلاف^(١) وما جرى في الخندق يوضح: أن عدد سكان
المدينة لا يصل الى الخمسة الاف نسمة بما في ذلك الاطفال والنساء.

عدد المشركين:

ووافى المشركون المدينة، وأحاطوا بها من جميع جهاتها،
واشتد الحصار على المسلمين^(٢).

وقد اختلفت الأقوال في عدد المشركين. وذلك على النحو التالي:

١ - قال المسعودي: «سارت اليه قريش وغطفان، وسليم
وأسد، وأشجع، وقريظة والنضير، وغيرهم من اليهود؛ فكان عدة
الجميع أربعة وعشرين ألفاً. منها قريش وأتباعها أربعة آلاف»^(٣).

٢ - وقال ابن شهر اشوب: «كانوا ثمانية عشر الف رجل»^(٤).

٣ - وقال ابن الديبع: كانوا أحد عشر ألفاً^(٥) وذكر في موضع
آخر: انهم كانوا عشرة آلاف. ولعله حين عد معهم بني قريظة ذكر
الرقم الأول، وحين غض النظر عنه عددهم عشرة آلاف.

٤ - إن عدد جيش المشركين بجميع فئاته كان عشرة آلاف:
قريش وكانوا أربعة آلاف، ومن أجابهم من بني سليم، وأسلم،

(١) الرسول العربي وفن الحرب، هامش ص ٢٣٨.

(٢) راجع: حقائق الانوار ج ٢ ص ٥٨٧.

(٣) التنبيه والاشراف ص ٢١٦.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ عنه.

(٥) حقائق الأنوار ج ١ ص ٥٢ ويفهم ذلك من الزمخشري في الكشف ج ٣

ص ٥٢٦ وعنه في سعد السعود ص ١٣٨.

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة . . . ١٨٣
وأشجع، وبني مرة، وكنانة، وفزارة، وغطفان^(١)

٥ - انهم كانوا مع يهود بني قريظة والنضير زهاء اثني عشر ألفاً^(٢).

٦ - ولكننا نجد آخرين من المؤرخين يتحدثون عن هذا الأمر بطريقة تؤيد أحد القولين الأولين. فقد قال ابن الوردي وغيره:

«أقبلت قريش في أحابيشها، ومن تبعها من كنانة في عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد» ثم ذكر انضمام بني قريظة اليهم^(٣).

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ عن ابن اسحاق والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ و٤٤٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ و١٧٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٧ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٦٨ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ وسيرة مغلطاي ص ٥٦. والوفاء ص ٦٩٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٣ و٢٣٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٨ وراجع: العبر وديوان المبتدا والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ و٣٠٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ و٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٤ ومنهاج السنة ج ٤ ص ١٧٠.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤.

(٣) تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٧ والكمال في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ وراجع المصادر التالية: الاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و٢٣١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٦ و٢٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ والبداء والنهاية ج ٤

١٨٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

٧ - ثم هناك من يقول: إن عدد جيش الأحزاب كان أربعة آلاف فقط^(١).

ولا نشك في أن هذا القول ناظر الى حشود قريش، أو أن بعض المؤرخين رأهم يذكرون أن عدد الجمع القرشي كان هذا المقدار فتوهم أنه يقصد بيان عدد الجيش كله.

عُدّة جيش الشرك:

وأما بالنسبة لعدة أهل الشرك، فقد قال المسعودي: إنه كان «معهم ثلاث مئة فرس، وألف وأربع مئة بعير، قائداهم أبو سفيان صخر بن حرب»^(٢).

وذكر آخرون انه كان معهم ألف وخمسة مئة بعير، وثلاث مئة فرس^(٣).

ص ١٠٢ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ ومختصر التاريخ ص ٤٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢/٣٤١ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٠ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١.

(١) راجع هذا القيل في: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٠ و٣١١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٣٩٤ عن قتادة.

(٢) التنبيه والاشراف ص ٢١٦.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٠ و٣١١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ والإمتاع ج ١ ص ٢١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٣ ونهاية الارب

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة . . . ١٨٥

وذكر الديار بكري: انهم كانوا أربعة آلاف معهم ثلاث مئة فرس والـف بعير، وعند غيره: الف وخمس مئة بعير^(١).

ويظهر من المقرئزي: أنه كان مع المشركين بالإضافة الى ألف وخمس مئة بعير: ثلاث مئة فرس مع قريش، وثلاثة مئة أخرى مع غطفان^(٢). وفي كلام حيي بن أخطب لكعب بن أسد: «والخيل الف فرس وسلاح كثير^(٣)».

وصرح النويري: ان غطفان وفزارة كان معهما الف بعير^(٤).

ومن الواضح: أن لا مجال لتحديد الرقم الحقيقي لذلك كله ولا لغيره، لكن مما لا شك فيه: أن هذا العرض للنصوص والأقوال يوضح مدى التفاوت فيما بين عدة وعدد المسلمين، وأعدادهم من الأحزاب الذين جاؤا من كل حذب وصوب.

معنويات جيش الشرك:

وقد كان من الواضح: أن تفوق المشركين في العدد والعدة. ثم ما كان من تحالفهم مع بني قريظة الذين كانوا في الجهة الأخرى للمدينة.

ج ١٧ ص ١٦٧ وحبيب السير ج ١ ص ٣٥٩.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٣ ولم يذكر عدد الإبل.

(٢) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢١٨ و٢١٩.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥.

(٤) نهاية الارب ج ١٧ ص ١٦٧.

١٨٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

أضف إلى ذلك هذا الاجماع الحاصل من مختلف القبائل العربية.

وكذلك بسبب الاعلام المسموم الذي أعقب حرب أحد، وصور لأهل الشرك أنهم قد حققوا فيها نصراً كبيراً.

وبسبب الحقد الذي يتغلغل في نفوس الكثيرين منهم على الاسلام وعلى المسلمين.

نعم إنه بسبب ذلك كله، وسواه مما لم نذكره كان جيش الشرك يعيش في بدايات حصاره للمسلمين حالة من الانتعاش الروحي، والشعور بالقوة والتفوق، وبإمكانية تحقيق بعض ما كانوا يصبون اليه.

ولكن الأمر لم يدم على هذا الحال طويلاً، فقد تبخرت الآمال وحل محلها الشعور بالخيبة، وتلاشت حالة الانتعاش، لتخلفها حالة التملل والشعور بالضيق.

حتى اذا جاءت ضربة علي القاصمة لجيش الشرك، تبدل كل شيء ليوافقه هذا الجيش حالة من الرعب والخوف. وتصبح تلك الكثرة، في العدد وفي العدة عبئاً ثقيلاً، ومصدر متاعب لذلك الجيش بالذات، فقد أصبحت العدة من أفراس ومن وسائل نقل - أبرة - بسبب طول المدة، وبسبب الجذب أمراً يحسن التخلص، أو على الأقل يحسن التخفيف منه وتحجيمه.

كما أن إجماع القبائل لم ينجح في توحيد القيادة لها، ولا استطاع أن يحجب الروح القبلية، ويمنعها من الهيمنة على مسيرة التحرك، حتى في مواقع القتال.

فكانت كثرة هذا الجيش تستبطن التمزق، وكان تكثر الانتماءات

الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة . . . ١٨٧
في الولاء والطاعة، يحمل معه بذور الفساد والافساد، والخلاف
والشقاق لأتفه الأسباب.

أضف الى ما تقدم: أن الاعلام المزور والمسموم قد أوجب
انتفاخاً كاذباً، وأذكى توقعات كبيرة، يعلم قادة الأحزاب أنفسهم أنهم
أعجز عن أن ينالوها، أو أن يحققوا أداها.

وبعد ما تقدم، فهل يمكن لجيش كهذا أن يقوم بتجربة حربية
ضد المسلمين، مع أنه لا يمكن ضمان نتائجها، لا سيما بعد أن عرف
ورأى ميدانياً أن الأمور قد أصبحت على غاية من التعقيد والخطورة،
ولم يكن قد حسب لكل هذه المستجدات أي حساب.

وبعد كل ما تقدم، فإن علينا أن لا ننسى أن تلك القبائل كانت
تفتقر الى ترسيخ عامل الثقة فيما بينها. ولم يكن ثمة ضمانات حقيقية
لوفاء بني قريظة للمشركين، ولا العكس، مع علمهم: أن الذي يجمع
كل هذه المتفرقات هو الخوف من التفرق، وليس شيئاً غير ذلك..

جيش أهل الايمان:

وأما بالنسبة لجيش أهل الايمان، فإن الأمر يختلف تماماً، فهو
يرى أن وجوده معرض للإستئصال والفناء، ولا بد له من الدفاع، ولن
يجد ملجأ له إلا بذل الجهد، وإلا الجهاد من أجل البقاء.

كما أن هذا الجيش ينطلق في حركته وفي جهاده من قاعدة
إيمانية تجمع بين متفرقاته، وتؤلف بين مختلفاته.

وهو وإن كان قد تعرض - في بادئ الأمر - لهزة من نوع ما
حين صار المنافقون وضعفاء الايمان يتسللون ويتركون مواقعهم بأعذار

١٨٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
مختلفة.

ولكن حزم القيادة، وهيمنتها، وحسن تدبيرها لم يفسح المجال للتأثر بالشائعات، واستطاعت هذه القيادة، حين فضحت أمر هؤلاء المنافقين بالوحي القرآني، وحين ظهرت الكرامات الباهرة على يدها، وأطلقت البشارات بالنصر الأكيد استطاعت أن تعيد للجو الايماني صفاءه ونقاءه، وتحصنه من كل ما من شأنه أن يشيع روح التخاذل، ويزرع اليأس والخوف في نفوس المخلصين والمؤمنين. وقطعت الطريق على أي كان من أن يتخذ موقفاً أو يتصرف تصرفاً من شأنه أن يعطي للعدو أية فرصة من أي نوع كانت.

الخطرسة القرشعية:

وعن علي عليه السلام قوله: «فقدت قريش، فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوة، وفيها الضعف ترعد وتبرق، ورسول الله (ص) يدعوها الى الله عز وجل، ويناشدها بالقرابة والرحم، فتأبى، ولا يزيدها ذلك الا عتوا»^(١).

ونقول:

ليس غريباً على قريش هذا العتو، وهذه الخطرسة، ما دامت تقيس الأمور بمقاييس مادية، وترى القوة في انفسها، والضعف في المسلمين، الذين جاءت لاستئصالهم، وإبادة خضرائهم. ولكن هذا العتو وتلك الخطرسة سرعان ما تلاشت، ليحل محلها الضعف والخنوع، والخيبة القاتلة، كما سنرى.

(١) الخصال ج ٢ ص ٦٨، باب السبعة، والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤.

الفصل الخامس : جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة . . . ١٨٩

وليس غريباً أيضاً أن نجد النبي (ص) ومن موقع الشعور بالمسؤولية يعتمد الأسلوب الانساني، ويستثير العاطفة الناشئة عن صلات القربى ولحمة النسب، والتي يكون لها هيمنة حقيقية على الانسان ولا بد أن تجتاح هزاتها الجامعة كل كيان الانسان، وكل وجوده. ثم هو (ص) يقرن ذلك بالدعوة الى الله عز وجل، الذي هو مصدر الخير والقوة والبركات.

رسالة تهديد من أبي سفيان

ويقال: إن أبا سفيان كتب الى النبي مهديداً إياه بما جمعه من الأحزاب لقتاله، ولعله قد كتب هذا الكتاب بعد وصوله الى المدينة، وحصول المواجهة، والكتاب. هو:

أما بعد، فإنك قد قتلت أبطالنا، وأيتمت الأطفال، وأرملت النساء، والآن قد اجتمعت القبائل والعشائر يطلبون قتالك، وقلع آثارك.

وقد جئنا اليك نريد نصف نخل المدينة؛ فإن أجبتنا الى ذلك، وإلا أبشر بخراب الديار، وقلع الآثار.

تجاوبت القبائل من نزار لنصر الالات في بيت الحرام وأقبلت الضراغم من قريش على خيل مسومة ضرام فردّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم:

وصل كتاب أهل الشرك والنفاق، والكفر والشقاق، وفهمت مقالكم، فوالله، مالكم عندي إلا أطراف الرماح، وشفار الصفاح،

١٩٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

فارجعوا ويلكم عن عبادة الأصنام، وأبشروا بضرب الحسام، وبفلق الهام، وخراب الديار، وقلع الآثار، والسلام على من اتبع الهدى»^(١).

قال الشيخ محمد أبي زهرة: «ونشك في نسبة هذا الكتاب إلى النبي (ص) لما فيه من السجع»^(٢).

ولا نرى: أن السجع في الكتاب يبرر الشك فيه، فإن خطب الزهراء، وخطب علي عليه السلام لم تخل من ذلك، كما يظهر لمن راجعها.

(١) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٢٠ و ٩٢١ عن كتاب السيرة لابن جرير الطبري.

(٢) خاتم النبيين ص ٩٢١.

الفصل السادس:

غدر بني قريظة

الفصل السادس: غدر بني قريظة ١٩٣

بنو قريظة ينقضون العهد:

يقول المؤرخون: إن بني قريظة كانوا أصحاب حصون بالمدينة. وموضعهم من المدينة على قدر ميلين. وهو الموضع الذي يسمى: بئر بني المطلب. وعددهم سبع مئة مقاتل^(١).

وصاحب عقدهم وعهدهم كعب بن أسد القرظي، وكان وادع رسول الله على قومه وعاهده.

وكان حيي بن أخطب سيد بني النضير، يقول لقريش في مسيره معهم:

إن قومي بني قريظة معكم. وهم أهل حلقة وافرة. وهم سبع مئة مقاتل وخمسون مقاتلاً.

فلما دنوا قال له أبو سفيان: ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد^(٢).

فلما جاء حيي إلى بني قريظة كرهوا دخوله إلى دارهم، فكان أول من لقيه غزال بن سموأل، فقال له حيي: قد جئتكم بما تستريح به من محمد. هذه قريش قد حلت وادي العقيق، وغطفان بالزغبة.

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ والبحار ج ص ٢١٧ عنه.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ و ٣١٦ وامتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤.

١٩٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

قال غزال: جئتنا - والله - بذل الدهر.

قال حيي: لا تقل هذا.

ثم توجه إلى باب كعب بن أسد فلق عليه^(١)، فأغلق كعب دونه باب الحصن، وقال: بيني وبين محمد عقد، ولن انقض ما بيني وبينه.

وفي نص آخر: «لم أر منه إلا وفاء وصدقاً».

زاد الواقدي: «والله، ما أخفر لنا ذمة، ولا هتك لنا سترأ. ولقد أحسن جوارنا».

وعند البيهقي: «لم أر رجلاً أصدق ولا أوفى من محمد وأصحابه. والله، ما أكرهنا على دين، ولا غصبنا مالا إلخ».

فقال حيي: افتح الباب أكلمك.

فقال كعب: ما أنا بفاعل.

فقال: والله، إن أغلقت دوني الباب إلا على جشيشتك^(٢) أن آكل معك منها. فأحفظه حتى فتح له، فقال:

ويحك يا كعب (جئتك بعز الدهر، وببحر طام) جئتك بقريش على قاداتها وساداتها، حتى أنختهم بالمدينة. وجئتك بغطفان على قاداتها وساداتها، وقد عاهدوني ألا يرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥.

(٢) الجشيشة هي: البر يطحن غليظاً.

الفصل السادس: غدر بني قريظة ١٩٥

فتأبى كعب، وقال: جئتني بذل الدهر، بجهام هراق ماؤه، وبرعد وبرق ليس فيه شيء، (زاد الواقدي قوله: وأنا في بحر لجي لا أقدر على أن أريم داري، ومالي معي والصبيان والنساء) فدعني ومحمداً، وما أنا عليه، فلم أر منه إلا وفاءً وصدقاً.

فلم يزل يفتله في الذروة وفي الغارب، حتى أعطاه عهداً من الله وميثاقاً أن يكون معه، على أنه إن رجعت تلك الجموع خائبة ولم يقتلوا محمداً: أن يرجع معه إلى حصنه، يصيبه ما أصابه، ونقض كعب ما بينه وبين رسول الله، وبرىء مما كان عليه له^(١).

«ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد، وجمع رؤساء قومه،

(١) راجع: تجارب الأمم ج ١ ص ١٤٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥ و ٤٥٦ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ و ٤٨٤ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ وراجع: حبيب السيرة ج ١ ص ٣٦٠ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ و ٢٣٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٩٠ و ١٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ و ٣١٥ وامتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٢٨ و ٣٢٩ وراجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٦ و ٥٢٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٢١ و ٢٢٣ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٠ و ١٧١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣ وراجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨١ والاكتفاء ج ٢ من ١٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٨ و ١٩٩ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٦ و ٢٣٧.

١٩٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وهم: الزبير بن مطا (باطا)، وشاس (نباش) بن قيس، وعزال بن ميمون (سموأل)، وعقبة بن زيد (وكعب بن زيد) وأعلمهم بما صنع من نقض العهد، وشق الكتاب الذي كتبه رسول الله (ص)؛ فلحم الأمر لما أراد الله من هلاكهم. وكان حيي بن أخطب في اليهود يشبه بأبي جهل في قریش.

وعند القمي: غزال بن شمول وياسر بن قيس، ورفاعة بن زيد، والزبير بن باطا^(١).

وقال البعض: إن الزبير بن باطا كان شيخاً كبيراً، مجرباً، قد ذهب بصره، وقد قال لهم: إنه قرأ التوراة، ووجد فيها: أنه يبعث نبي في آخر الزمان في مكة، ويهاجر إلى المدينة، وذكر لهم صفته.

فادّعى حيي بن أخطب: أن هذا النبي هو من بني إسرائيل، وهذا من العرب. ولا يكون بنوا إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً؛ لأن الله قد فضلهم على الناس جميعاً، ثم ادّعى أن محمداً (ص) ساحر. ولم يزل حتى أقنعهم بنقض العهد، فنقضوه^(٢).

ويقول نص آخر: «ووعظهم عمرو بن سعدى، وخوفهم سوء فعالهم، وذكرهم ميثاق رسول الله (ص) وعهده، وقال لهم: إن لم تنصروه، فتركوه وعدوه؛ فأبوا.

وخرج إلى رسول الله (ص) من بني قريظة بنو سعدة: أسد،

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ وامتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢١ و ٢٢٢ عنه وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٦ و ٤٥٧.

(٢) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٠ و ٨١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ عنه.

الفصل السادس: غدر بني قريظة ١٩٧

وأسيد، وثعلبة، فكانوا معه، وأسلموا.

وأمر كعب بن أسد حيي بن أخطب: أن يأخذ لهم من قريش، وغطفان رهائن تكون عندهم^(١) «لئلا ينالهم ضيم، إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً، قالوا: وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشrafهم.

فنازلهم حيي على ذلك، فعند ذلك نقضوا العهد، ومزقوا الصحيفة التي فيها العقد، إلا بني سعدة^(٢).

لا بد من التثبت:

«وبلغ رسول الله (ص) ذلك فغمه غماً شديداً، وفزع أصحابه^(٣) ويقال: إن الذي أبلغ النبي ذلك هو عمر بن الخطاب، فاشتد الأمر على رسول الله (ص)، وشق عليه ذلك^(٤) (فقال: حسبنا الله، ونعم الوكيل) فبعث سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، وخوات بن جبير، وعبدالله بن رواحة (وبعض النصوص لم تذكر الأخيرين وذكرت بدلتهما أسيد بن حضير)^(٥) يستخبرون الأمر، فوجدوهم مكاشفين بالغدر،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣ وراجع ص ١٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠١.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه.

(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ وراجع: امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧.

(٥) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ وراجع: امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه، وفيهما: «فقال رسول الله (ص) لسعد بن معاذ، وأسيد بن حصين، وكنا من

١٩٨..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
والنيل من رسول الله (ص) فشاتهم سعد بن معاذ وكانوا أحلافه،
وانصرفوا.

وكان رسول الله (ص) قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقاً أن
يخبروه تعريضاً؛ لئلا يفتوا في أعضاء الناس، فلما جاؤا إليه قالوا: يا
رسول الله، عضل والقارة. يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع^(١).

وقال ابن اسحاق وآخرون: (إن الذي شاتهم هو سعد بن
عبادة. وكان رجلاً فيه حدة، فقال ابن معاذ: دع عنك مشاتهم، فما
بيننا وبينهم أربى من المشاتمة)^(٢).

الأوس. وكانت قريظة حلفاء للأوس.

والظاهر: أن كلمة «حصين» هي تصحيف: حضير. وذلك كثير.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠/٢٩ وراجع المصادر التالية:
بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وزاد المعاد ج ٢
ص ١١٧ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي)
ص ٢٣٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣
ص ٢٣٢ و ٢٣٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ و ٣١٧ وامتاع الأسماع
ج ١ ص ٢٢٧، وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ وتهذيب سيرة ابن
هشام ص ١٩١ و ١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٩ و ٤٣٠ وتاريخ
الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣ و ١٠٤
وتفسير القمي ج ٢٠ ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ و ٢٠١
ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨ و ٤٥٩.

(٢) راجع: شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ عن البغوي، وتاريخ الخميس
ج ١ ص ٤٨٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦
و ٣١٧ عن الشيخين وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧، ومجمع البيان
ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠١ والمغازي للواقدي ج ٢

الفصل السادس: غدر بني قريظة ١٩٩

والذي شاتم ابن عبادة هو نباش بن قيس^(١).

وقال أسيد بن حضير لكعب: أتسب سيدك يا عدو الله!؟ ما أنت له بكفر يا ابن اليهودية. ولتولين قريش إن شاء الله منهزمين، وتترك في عقر دارك؛ ففسير إليك، فننزلك من جحرك هذا على حكمنا^(٢).

و «قال موسى بن عقبة: فدخلوا معهم حصنهم؛ فدعواهم إلى المصادعة وتجديد الحلف؛ فقالوا: الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم؟ (يريدون بني النضير) ونالوا من رسول الله (ص)، فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه.

فقال له سعد بن معاذ: إنا والله ما جئنا لهذا، ولما بيننا أكبر من المشاتمة. ثم ناداهم سعد فقال: إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير، أو أمر منه.

فقالوا: أكلت أيرأبيك.

فقال: غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن».

إلى أن قال: فأمرهم بكتمان خبرهم^(٣).

وعند القمي: أنه لما رجع سعد بن معاذ وأسيد إلى النبي وأخبراه

ص ٤٥٨.

ونقل في البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ عن ابن إسحاق عكس ذلك.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٢٢٧ عن ابن عقبة، والواقدي، وابن عائد، وابن سعد.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ و ٥٢٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨.

(٣) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٣.

٢٠٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
بنقض قريظة قال (ص): «لعناء، نحن أمرناهم بذلك. وذلك أنه كان
على عهد رسول الله (ص) عيون لقريش يتجسسون خبره»^(١).

وفي نص آخر: أنهم لما قالوا للنبي: عضل والقارة، قال صلى
الله عليه وآله: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين»^(٢). أو قال:
أبشروا بنصر الله وعونه^(٣).

زاد البعض قوله: «إني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق، وأخذ
المفتاح وليهلكن كسرى وقيصر، ولتفقدن أموالهم في سبيل الله.

يقول ذلك حين رأى ما بالمسلمين من الكرب، ثم تقنع
إلخ»^(٤).

ويقول الحلبي إنه قال: «نصرة الله وعونه، وتقنع بثوبه،
واضطجع، ومكث طويلاً، فاشتد على الناس البلاء والخوف، حين
رأوه (ص) اضطجع، ثم رفع رأسه وقال: أبشروا بفتح الله ونصره»^(٥).

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه.
(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧
والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨
والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار
ج ٢٠ ص ٢٠١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٨
والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي)
ص ٢٣٧.

(٣) امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ والمغازي
للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨.

(٥) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨
والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢٠١

ثم إنه قد بقيت لنا مع النص المتقدم وقفات.
ونحن نلخصها في المطالب التالية.

النزعة العنصرية لدى اليهود:

أول ما يستوقفنا هنا الطريقة التي أحبط بها حيي مقالة الزبير بن باطا حول نبي تحدثت عنه التوراة، يبعث في مكة، ويهاجر إلى المدينة.

فإنه ضرب على الوتر الحساس لدى اليهود، حين طرح لهم مقولة: أن هذا النبي لا بد أن يكون إسرائيلياً، مستنداً إلى مقولة ترتكز على النزعة العنصرية لدى اليهود، حيث قال لهم:

لا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد اسماعيل إلخ...

وقد أشرنا إلى هذا الموضوع بصورة أوسع في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

وفاء اليهود:

وقد اتضح أيضاً: أن اليهودي حين يلتزم بعهده، فإنه لا ينطلق في ذلك من شهامة، ولا كرامة ولا نبل، ولا لأجل أنه يلتزم بشرف الكلمة... وإنما لأنه يرى أن نقضه له سوف يلحق به ضرراً من نوع ما؛ فإذا اطمأن إلى عدم وجود ضرر في ذلك، فإنه يبادر إليه، دونما

ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٠/١٩٩.

٢٠٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
وازع أو رادع.

وقد رأينا: أن كعب بن أسد ينقض العهد حين تخيل أنه سيحقق ما يتمناه، من استئصال محمد (ص) ومن معه، واقتنع بأن القوة التي حشدها الأحزاب كافية في تحقيق هذه الأمنية، وأن المستقبل الرغيد والسعيد سيكون بانتظاره، وأصبح على الأبواب.

طريقة حيي للتأثير على كعب بن أسد:

ويلفت نظرنا هنا الطريقة التي أثار فيها حيي بن أخطب حفيظة كعب بن أسد حتى فتح له، حيث اتهمه بأنه لا يفتح له خوفاً من أن يأكل من طعامه. ففتح له حينئذ الباب، الذي كان باب الخزي والخسران، والذل الأبدي، والبوار في الدنيا والآخرة.

ولكن كعباً هذا رغم اعترافه بأنه لم ير من النبي إلا الوفاء والصدق، وغير ذلك فإنه ينقض العهد معه، حباً للعهد، وطمعاً بها، فكان له الدمار والهلاك.

وحسبك بهذا دلالة على تفاهة تفكير هؤلاء الناس، وسفاهة عقولهم، وتناقضهم السافر في مواقفهم.

دوافع نقض العهد:

أما ما قدمه من امتياز لكعب بن أسد ولبنو قريظة ليشير شهيتهم لنقض العهد، والدخول معهم في حرب محمد فهو استئصال محمد ومن معه.

وقد اشترط كعب لنفسه إن لم يتحقق هذا الهدف أن يواجه

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢٠٣

حيي بن أخطب معه كل السليبات التي تنشأ عن عدم استئصال محمد ومن معه، حيث شرط عليه أن يدخل معه حصنه، ويصيبه ما أصابه، فقبل حيي بن أخطب ذلك.

وذلك يوضح لنا صوابية القرار الذي اتخذته الرسول (ص) بتنفيذ حكم سعد بن معاذ في بني قريظة. وهو الحكم الذي أعطاه بنو قريظة أنفسهم موافقتهم المسبقة عليه. بل هم الذين اقترحوا تحكيم سعد بن معاذ فيهم.

وسياتي بحث هذا الموضوع في غزوة بني قريظة إن شاء الله تعالى.

جهام بلا ماء:

ولم يكن كعب بن أسد يرى في كل تلك الجموع قدرة على تحقيق الهدف الذي تسعى له، أو يشفي الغليل، وما هي إلا رعد وبرق فارغ، وسراب خادع.

ولعل مما ساعد على تكون تلك النظرة لديه هو ما جرى في حرب بدر وأحد، وقينقاع، والنضير، وغيرها. مع رؤيته وجود فرق كبير فيما بين قدرات المسلمين في السابق وفي اللاحق؛ فقد تنامت قدارتهم، واتسع نفوذهم، وتأكدت هيمنتهم على المنطقة بأسرها. كما أن الخطة التي اتبعها رسول الله (ص) في مواجهة الأحزاب قد كانت على مرأى ومسمع من بني قريظة، وهم يعرفون: أنها خطة ناجحة إلى حد كبير، ولا يمكن اختراقها، وتحقيق فجوة فيها بسهولة.

٢٠٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الشعور بالذنب والخيانة:

وإذا كان كعب يعترف بوفاء وصدق محمد، ويسائر المواقف النبيلة، والإنسانية لنبي الإسلام، فإنه يكون قد اعترف ضمناً بالخيانة. وبالغدر، فهل كان حقاً قد شعر بالذنب وبتأنيب الضمير؟!.

لو كان قد شعر بذلك حقاً لبدرت منه بادرة تراجع أو ندم. ولكن الله لا يوفق كل ظلوم كفار، ولن يكون لغادر فلاح، ولا لخائن نجاح. و المصير الذي انتهى إليه بنو قريظة خير شاهد على ذلك.

عدة مبعوثين لمهمة واحدة:

لقد رأينا فيما سبق: أن النبي (ص) قد أرسل أكثر من شخص واحد لكشف خبر بني قريظة. ولعل ذلك يرجع إلى أن الجماعة تكون في مناسبات مشحونة بالتوتر أكثر تدبراً للأمور في المواقف التي تشهد تصعيداً خطيراً، وعلى درجة كبيرة من الحساسية. ويمكن لبعضهم أن يستعين ببعض الآخر، ويسدده ويعضده، لو كان ثمة ما يقتضي اتخاذ موقف أو القيام بمبادرة من نوع ما.

كما أن ذلك يجعل الخبر الذي يأتي به هؤلاء، ليتخذ على أساسه قرارات في غاية الخطورة، ترتبط بمستقبل ومصير أمة من الناس. يجعله أكثر دقة، ووضوحاً، وأبعد عن اللبس، وعن احتمالات تدخل الأهواء في صياغته وفي أدائه. بالإضافة إلى أنه يقطع العذر لمن يريد أن يغدر ويمكر، ثم يجنب نفسه عواقب هذا الغدر و المكر، حتى تلوح له بوادر فشله، وخيبته. إذ لا بد أن يحيق به مكره السيء، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢٠٥

والملفت للنظر هنا بالذات: أنه (ص) لا يختار لهذه المهمة أناساً عاديين، بل يختار لها الرؤساء والكبراء الذين يحترمهم رؤساء بني قريظة، وقد اختار (ص) أن يكونوا جميعاً من الأنصار، وفيهم خصوص سعد بن معاذ، سيد الأوس، وسعد بن عباد سيد الخزرج؛ لكي يلمس اليهود وجود التفاهم والانسجام الكامل، والعميق والراسخ فيما بين هاتين القبيلتين، اللتين لهما تاريخ طويل من الصراع. ثم ليستمعوا من هذين الزعيمين، وخصوصاً من سعد بن معاذ. ما يزيل لهم كل شبهة، ويدفع أي لبس أو تشكيك في حقيقة موقفهما. مع ملاحظة أن بين بني قريظة وبين الأوس حلف وعهد، يلزمهم الوفاء به.

ثم إن هذه البادرة منه صلى الله عليه وآله وسلم ما هي إلا تعبير لهم عن حسن النية، وتدخل في سياق تهيئة الأجواء لهم ليعودوا عن قرارهم الخياني، إذا كانوا يطمعون بوفاء سعد، وقبيلته لهم. وهم الذين يفترض بهم أن يعيشوا معهم بعد رحيل الأحزاب، وعليهم أن يفكروا بأن لا يحرقوا السفن وراءهم، فإن ذلك سوف يحرمهم من السلامة في نهاية المطاف.

طريقة الرمز في نقل المعلومات الحساسة:

وقد طلب (ص) من رسله إلى بني قريظة: أن يستعملوا طريقة الرمز في تأدية المعلومات إليه، إذا كانت تلك المعلومات ذات طابع خاص يميزها بالخطورة والحساسية، وكان للجهر بها أثر سلبي على المعنويات.

كما أن ذلك يفرض أن يكون الذين يتم اختيارهم لمهمات من هذا القبيل لديهم المؤهلات الكافية لاختيار أسلوب الرمز المناسب،

٢٠٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
مع قدرتهم على تصنيف المعلومات نفسها وفقاً للخطة التي ترسمها
القيادة.

البشائر النبوية بالنصر:

وحين بلغ النبي (ص) خبر نقض بني قريظة للعهد، الذي من شأنه أن يهد العزائم، ويشير حالة من الهلع في صفوف أهل الإسلام؛ فإنه يعلن بالتكبير، الذي يؤذن بالغلبة والفلاح والنجاح، ثم يبشرهم بالنصر الأكيد الساحق، وبالسيطرة على العالم بأسره.

ولكنه (ص) لم يذكر لهم مضمون البشارة إلا بعد أن اضطجع، وتقنع بثوبه، وطال انتظارهم له، واشتد عليهم البلاء، والخوف، فجاءت البشارة لتبخر ذلك الخوف، وتكشف البلاء. وليفهمهم أن كلامه هذا ليس لمجرد التطمين ورفع المعنويات.

حدا سعد بن عباد:

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن وصفهم لسعد بن عباد بالحدة ليس له ما يبرره، ويبدو أن ذلك من تزييفات الحاقدين على سعد، لا قدامه على طلب الخلافة في يوم السقيفة، وهو ذنب يصعب أن يغفره له الآخرون، وإن كان أبو بكر قد استطاع بما لديه من حنكة ودهاء أن يقلب الأمور رأساً على عقب، ويفوز هو بالأمر كما يعلمون.

كما أن سعداً هو والد قيس نصير علي والحسن، والمجاهد بين أيديهما في سبيل الله .

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢٠٧

أسيد بن حضير:

وقد ذكر أسيد بن حضير فيما سبق كبديل عن بعض الشخصيات التي أرسلها النبي لكشف خبر بني قريظة.

ثم أعطوه دوراً هاماً جداً، وهو أنه قد أخبر بني قريظة بتفاصيل ما سوف يجري لهم، وقد تحقق ما قال حرفاً فحرفاً، وكأنه يقرؤه في كتاب.

ونحن لا نصدق كل ذلك عن أسيد، الذي كان يحظى بعناية خاصة من قبل بعض التيارات، لأنه كان قريب أبي بكر، وكان له دور هام في توطيد أمر أبي بكر في يوم السقيفة. وكان أحد المهاجمين لبيت فاطمة. وكان للسلطة اهتمام ظاهر به، وسعي لتسطير الفضائل والكرامات له، ومنحه الأوسمة، بسبب وبلا سبب^(١).

فضيلة مكذوبة للزبير:

عن عبدالله بن الزبير، قال: كنت يوم الأحزاب، أنا وعمر بن أبي سلمة مع النساء في أطم حسان، فنظرت، فإذا الزبير على فرسه، يختلف إلى بني قريظة، مرتين، أو ثلاثاً، فلما رجعت قلت: يا أبت، رأيتك تختلف!.

قال: رأيته يا بني؟!.

قلت: نعم.

قال: كان رسول الله (ص) قال: من يأت قريظة، فيأثيني بخبرهم؟!.

(١) راجع كتابنا حديث الإفك - فصل: الفضائل والسياسة.

٢٠٨..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول (ص) أبويه، فقال:
«فداك أبي وأمي»^(١).

وفي رواية أخرى: أن عمر بن الخطاب لما أخبر النبي (ص) بنقض بني قريظة للعهد، قال (ص): من نبعث يعلم لنا علمهم؟!.

فقال عمر: الزبير بن العوام.

فكان أول الناس بعث رسول الله (ص) الزبير بن العوام؛ فقال:
إذهب إلى بني قريظة، فذهب الزبير فنظر، ثم رجع، فقال: يا رسول
الله، رأيتهم يصلحون حصونهم، ويدربون طرقهم، وقد جمعوا
ماشيتهم.

فذلك حين قال رسول الله (ص): إن لكل نبي حوارياً،
وحواري الزبير وابن عمتي.

ثم تذكر القصة لإرسال السعدين إلى بني قريظة^(٢).

ونقول:

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٧ وراجع
ص ٣٢٧ و ٣٢٨ كلاهما عن الشيخين. وقال الترمذي: حديث حسن
والتاريخ الكبير للبخاري ج ٦ ص ١٣٩.

وقول الزبير الأخير موجود في السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ و ١٠
وكذا في سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ لكنه لم يصرح ببني قريظة،
وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ عن الصحيحين، وليس فيهما تصريح ببني
قريظة أيضاً. وفيه: أنه لما قال له الزبير: أنا. قال: إن لكل نبي حوارياً،
وإن حوارياً الزبير.

وراجع: صحيح البخاري كتاب أصحاب النبي، باب مناقب الزبير.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧ وامتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧.

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢٠٩

إن هذه الرواية لا تصح، وذلك للأمور التالية:

أولاً: إنها تخالف سائر الروايات وتناقضها. لأنها مجمعة على أن السعدين هما اللذان جاءا بخبر نقض بني قريظة للعهد.

وحاول البعض توجيه ذلك، ورفع التنافي فقال: «لا منافاة بين إرسال الزبير وإرسال هؤلاء، لاحتمال أنهم أرسلوا دفعة، أو بعد إرساله. وخص هؤلاء القوم بالإرسال لأنهم حلفاؤهم، فيحتمل أن يرجعوا إلى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم؛ فغلبت عليهم الشقة»^(١).

وقال الحلبي: «ولعل هذا - أي إرسال السعدين ومن معهما - كان بعد إرسال الزبير إليهم ليأتي بخبرهم، هل نقضوا العهد استثنائاً للأمر»^(٢).

ونقول: إن احتمال إرسال الزبير بعد تلك الجماعة ليس له ما يبرره؛ إذ أن إخبار هؤلاء الكبار كان يكفي في ثبوت هذا الأمر لديه (ص).

وأما إرسال الزبير قبلهم، فهو أيضاً في غير محله، إذا كان (ص) عازماً من أول الأمر على إرسال تلك الجماعة، إذ أن إرساله لا يفيد شيئاً في حصول اليقين له (ص)، أما مجرد الإحتمال فقد حصل باخبار عمر له أولاً حسبما تقدم.

وثانياً: أضف إلى ما تقدم: أننا لم نفهم السر في أن الزبير، حين أرسله النبي ليأتيه بخبرهم، قد تردد، إليهم مرتين أو ثلاثاً، ألم

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧.

٢١٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

تكن المرة الأولى كافية لوقوفه على حقيقة أمرهم؟! ولماذا التردد بين المرتين والثلاث، فهل نسي ولده عبدالله عدد المرات التي رصدها، وسأل أباه عنها؟!.

وثالثاً: إننا لم نعرف وجه تسمية الأطم بـ «أطم حسان»، مع أن النساء كن في أطم بني حارثة.

الا أن يكون قد أراد الإشارة إلى أن جبن حسان قد تجلى في هذا الأطم بالذات، ثم اشتهر به بسبب ذلك ولكن ذلك - على كل حال - يحتاج إلى اثبات.

ورابعاً: قال ابن عبد البر: «ثبت عن الزبير أنه قال: جمع لي رسول الله (ص) أبويه مرتين: يوم أحد، ويوم بني قريظة، فقال: ارم فداك أبي وأمي».

قال: ولعل ذلك كان في أحد: إن لكل نبي حوارى، وإن حوارى الزبير إلخ. «^(١).

وخامساً: إن ابن الزبير كان يوم الخندق طفلاً صغيراً، لا يعقل مثل هذه الأمور؛ فلا يصح أن يسأل أباه هذا السؤال، ثم يجيبه أبوه بذلك الجواب الذي لا يدرك مغزاه إلا ذو الحجى، ولا يخاطب به طفل صغير، عمره على أبعد الأقوال أربع سنوات، أو ستان ونصف السنة - كما هو قول الأكثر - فضلاً عن القول الذي يذكر: أنه ولد في أحد، أو في الخندق بالذات، ولتوضيح ذلك نقول:

إنهم رغم أنهم يقولون: إن ابن الزبير كان أول مولود ولد في

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢١١
الإسلام من المهاجرين^(١) مع وضوح خطأ الرازي في قوله: إنه أول
مولود ولد في الإسلام^(٢).

- رغم ذلك - فإنهم قد اختلفوا في تاريخ ولادته، على النحو
التالي:

١ - فريق يقول: إن أسماء حملت بعبدالله في مكة، وخرجت
مهاجرة إلى المدينة، فلما دخلت المدينة نزلت قباء، فولدته بقباء^(٣).

٢ - وبعضهم أطلق القول في ولادته، فقال: ولد عام الهجرة،
أو ما يقرب من هذه العبارة، وبعضهم ذكر ذلك بلفظ قيل^(٤).

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٣١ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة)
ج ٢ ص ٣٠١ و ٣٠٢ وتهذيب الأسماء ج ١ ص ٢٦٦ وسير أعلام النبلاء
ج ٣ ص ٣٦٣ و ٣٦٥ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٤٨ وتلخيصه
للذهبي (مطبوع بهامشه) وتاريخ الصحابة ص ١٥٠ وتهذيب الكمال ج ١٤
ص ٥٠٩ وراجع: أسد الغابة ج ٣ ص ١٦١ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢
ص ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ والبدية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٠ والسيرة الحلبية
ج ٢ ص ٨٩ و ٨٠ والتبيين في أنساب القرشيين ص ٢٥٧ وتهذيب التهذيب
ج ٥ ص ٢١٣ والإصابة ج ٢ ص ٣٠٩ و ٣١٠.

(٢) الجرح والتعديل ج ٥ ص ٥٦ وخلاصة تهذيب تهذيب الكمال ص ١٩٧.

(٣) تاريخ الصحابة لابن حبان ص ١٥٠ والاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣
ص ٣٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٣١ والتاريخ الكبير ج ٥
ص ٦ وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٣٣ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧١
والتبيين في أنساب القرشيين ص ٢٥٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٩ والثقات
ج ٣ ص ٢١٢ والجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٢٤٠ ونسب قريش
لمصعب ص ٢٣٧.

(٤) راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٠ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٧١
ومستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ج ٣ ص ٥٤٨ والإصابة ج ٢ ص ٣٠٩

٢١٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

٣- ونجد آخرين يقولون: إنه ولد في شوال السنة الثانية، للهجرة النبوية الشريفة^(١).

والقائلون بهذا القول هم الأكثر^(٢).

لكن عبارة عددٍ منهم هكذا: هاجرت به أمه وهي حامل؛ فولد بعد الهجرة بعشرين شهراً^(٣).

قال العسقلاني: «لا يتجه إلا بتقدير أن يكون قد اقام في بطنها نحو سنتين. ولم أر من صرح بذلك»^(٤).

ولعل هذا هو السبب في أنه قد استظهر أن يكون القول بولادته

وراجع: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٣ وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦١ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ وتهذيب الأسماء ج ١ ص ١٦٦ وأنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٧٥.

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ٥٥١ والإصابة ج ٢ ص ٣٠٩ عن الواقدي ومن تبعه، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٣ وخلاصة تهذيب تهذيب الكمال ص ١٩٧ وتهذيب الأسماء ج ٢ ص ٢٦٦ والمحرر ص ٢٧٥ و ٢٧٦ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٣١ وراجع: أسد الغابة ج ٣ ص ١٦١ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧١ عن الزبير بن بكار، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٠ عن الواحدي وغيره.

(٢) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٤ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٥٥١.

(٣) راجع: الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٣٠١ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ وراجع: أسد الغابة ج ٣ ص ١٦١ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٠ والمحرر ص ٢٧٥ و ٢٧٦ والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ج ١ ص ٢٤٠.

(٤) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣/٢١٤ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٠.

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢١٣

في أول سنّي الهجرة أقرب إلى الصحة. وإن كان الأكثر على خلافه^(١).

٤ - ويؤيد القول بأنه قد ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً، وأنه قد ولد في السنة الثانية قولهم: إنه قتل في سنة ثلاث وسبعين، وله اثنتان وسبعون سنة^(٢).

٥ - إنهم يقولون: إن النعمان بن بشير ولد قبل ابن الزبير بستة أشهر، على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة^(٣). وقال الذهبي: ولد سنة اثنتين^(٤).

وقالوا أيضاً: إن النعمان هذا قد ولد قبل وفاة النبي (ص) بثمان سنين وسبعة أشهر. وقيل: ست سنين. والأول أصح. وقال ابن الزبير: النعمان أكبر مني بستة أشهر. وهو أول مولود للانصار بعد الهجرة^(٥).

وذلك يعني أن ابن الزبير قد ولد في السنة الثالثة.

٦ - إنهم يقولون: إن ابن الزبير يكبر مروان بن الحكم بأربعة

(١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٤.

(٢) الاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة) ج ٢ ص ٣٠٣ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٩٨ وج ٢٤ ص ١٩٠ ووفيات الاعيان ج ٣ ص ٧٤ والجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٢٤٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٩ وطبقات ابن سعد ط صادر ج ٥ ص ٤٣.

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٠ والاصابة ج ٣ ص ٥٥٩ والاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة) ج ٣ ص ١٥١ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٤٨ و ٤٤٧ والمحبر ص ٢٧٦ وتهذيب الاسماء ج ٢ ص ١٢٩.

(٤) سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٤١١ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٤٨.

(٥) اسد الغابة ج ٥ ص ٢٢.

٢١٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

أشهر^(١) ومروان ولد في الثالثة يوم أحد كما عن مالك، أو في الرابعة، أو يوم الخندق - كما عن ابن عبد البر - أو في الثانية فراجع ترجمة مروان في كتب السير والتراجم^(٢) ..

٧ - ويقولون ايضاً: كان لابن الزبير حين موت النبي (ص) ثمانية سنين وأربعة اشهر^(٣) ولعل قول ابن اسحاق: كان له تسع سنين^(٤). لا ينافي ذلك؛ إذا كان قد قال ذلك على سبيل التقريب، لا التحديد ..

٨ - قال العسقلاني عن عمر بن أبي سلمة: «ولد بالحبشة في السنة الثانية. وقيل قبل ذلك. وقبل الهجرة إلى المدينة. ويدل عليه قول عبد الله بن الزبير: كان اكبر مني بسنتين الخ»^(٥). وجزم ابن عبد البر بأنه ولد في الثانية، وعند الذهبي: ولد في أواخرها^(٦) ..

-
- (١) سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٧٦.
- (٢) راجع على سبيل المثال: الاصابة ج ٣ ص ٤٧٧ و ٤٧٨ وتهذيب الاسماء ج ٢ ص ٨٧ واسد الغابة ج ٤ ص ٣٤٨ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٩١ و ٩٢ والاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة) ج ٣ ص ٤٢٥ والبداية والنهاية، وتاريخ الأمم والملوك ط دار المعارف ج ٥ ص ٦١١ وطبقات ابن سعد ط صادر ج ٥ ص ٣٦. وفي مختصر تاريخ دمشق ج ٢٤ ص ١٨٤ و ١٧٩: أن عمر مروان حين موت النبي كان ثمانية سنين. وراجع: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٩٢.
- (٣) راجع تهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ وسير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٤، ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧١.
- (٤) الاصابة ج ٢ ص ٣٠١ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٥١٤.
- (٥) الاصابة ج ٢ ص ٥١٨ وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥٦.
- (٦) الاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة ج ٢ ص ٤٧٥ وراجع: الثقات ج ٣ ص ٢٦٣ والجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٣٣٩ والمحرر ص ٢٩٣

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢١٥

٩ - وأخيراً، فقد روى البخاري عن عروة: أن الزبير أركب ولده عبد الله يوم اليرموك فرساً وهو ابن عشر، ووكل به رجلاً^(١).

وقد كانت وقعة اليرموك سنة ١٣ هـ أو ١٥ هـ. وعليه الجمهور^(٢). ويدل عليه كتاب الصلح الذي كتبه خالد للنصارى، حينما أراد النهوض الى اليرموك. وقد أرخه بسنة خمس عشرة^(٣). فتكون ولادة ابن الزبير في السنة الثالثة أو الخامسة. وهو ما أيدته بعض الشواهد المتقدمة، خصوصاً قولهم في ولادة مروان.

وقد اعتذر العسقلاني وغيره عن قصة اليرموك هذه: بانها قد جاءت على سبيل الغاء الكسر^(٤) ولكنه اعتذار وإيه، لأن الغاء خمس أو ثلاث سنوات، من أصل خمس عشرة سنة بعيد ومستهجى، خصوصاً إذا كان في مقام التحديد، من أجل اظهار فضيلة وخصوصية خاصة للزبير.

ولو سلمنا، فإنما يقبل هذا الاعتذار بعد ثبوت كون سنّ عبد الله هو عشر سنين. وهو لم يثبت. بل الظاهر خلافه كما قلنا.

-
- وراجع: تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥٦ وتهذيب الاسماء ج ٢ ص ١٦.
- (١) صحيح البخاري ج ٣ كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، وسير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٥.
- (٢) عمدة القاري ج ١٧ ص ٩٠ وذكر هذا التاريخ في مصادر كثيرة، فراجع على سبيل المثال: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٩١ وارشاد الساري ج ٦ ص ٢٥٢ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٣٣.
- (٣) فتوح البلدان ص ١٣٠ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢١.
- (٤) فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٣ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٩١ وارشاد الساري ج ٦ ص ٢٥٣.

٢١٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

من الذي شاتم بني قريظة:

وقد ذكرت احدى الروايات السابقة: أن ابن اسحاق وبعضاً آخر يقولون: إن سعد بن عباد هو الذي شاتم بني قريظة، وكان رجلاً فيه حدة. ونقول:

١ - قد روي عن ابن اسحاق ما يخالف ذلك، وأن الذي شاتمهم هو ابن معاذ .

٢ - إن قول اسيد بن حضير لكعب بن اسد: أتسب سيدك يا عدو الله، يشير إلى أن الذي شاتمهم هو ابن معاذ، لأنه هو الذي كان بينه وبينهم حلف، ويحسن وصفه بأنه سيدهم. أما ابن عباد فحاله معهم حال سائر الناس.

إلا أن يقال: إنه إنما قال ذلك لظهار عظمة ابن عباد وامتيازهم، بالاسلام، وبأنه رئيس قومه.

والذي نستقر به هو أن المشاتمة قد حصلت لكلا الرجلين، فإبن معاذ شتم من قبل كعب بن أسد، وابن عباد شتم من قبل شاس (نباش) بن قيس حسبما تقدم، ثم قال احدهما للآخر: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة.

عمر عرف بأمر بني قريظة:

ويذكر النص التاريخي: أنه لما نقض بنو قريظة العهد «بلغ عمر بن الخطاب نقض بني قريظة العهد، فأعلم رسول الله (ص) بخبرهم»^(١).

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ وبقية المصادر تقدمت تحت عنوان: لا بد من التثبت.

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢١٧

ونقول: إن لم تكن هذه القضية كاذبة، فإننا لا ندري ما السبب في ان ذلك بلغ خصوص عمر بن الخطاب دون النبي، ودون كل المسلمين الآخرين، فهل كان لعمر جواسيس لدى بني قريظة يخبرونه بكل مواقفهم وتحركاتهم؟ أم أنه علم ذلك من جهة المشركين؟.

إننا نعترف بالعجز عن ادراك الحقيقة، وليس في النصوص التي بين أيدينا، ما يكشف لنا عن هذا الأمر..

ولا نريد أن نذكر القاريء بما ذكرناه في غزوة أحد، وبما سيأتي في هذه الغزوة من أن رموز الشرك، كخالد بن الوليد، وضرار بن الخطاب كانوا يتحاشون ايصال الأذى إلى عمر بن الخطاب، ولا ندري سر وسبب ذلك، لا سيما وأنهم يصرحون له بأنهم يتخذون ذلك يداً لهم عنده. هذا بالاضافة إلى قضايا أخرى لا مجال للتذكير بها الآن، رغم أن أهل الشرك إلى أن انقضت غزوة الخندق، كانوا يعتقدون أن بالإمكان اقتلاع الاسلام واستئصاله من جذوره، وكانوا يهتمون بقتل كل من تصل إليه أيديهم، ولا سيما من بني هاشم كحمزة وعبيدة بن الحارث، وعلي وغيرهم. فلماذا يريدون قتل هؤلاء، ولا يريدون قتل غيرهم من رجالات الاسلام؟.

احلاف عبادة بن الصامت:

ويذكر البعض: أنه لما خرج النبي (ص) يوم الأحزاب قال عبادة بن الصامت: يا رسول الله، إن معي خمس مئة رجل من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي، فأستظهر بهم على العدو..

٢١٨..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

فأنزل الله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، إلا أن تتقوا منهم تقاةً. ويحذركم الله نفسه، وإلى الله المصير^(١).

ونقول:

إن هذا الكلام لا يصح.

أولاً: لأن ظاهر الآية يأبى الانطباق على واقعة من هذا القبيل، فإنها تزجر عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ولم يكن عبادة يريد أن يتخذهم أولياء من دون المؤمنين، بل هو يريد أن يشركهم في الدفاع عن أهل الإيمان، حباً منه بسلامة المؤمنين. فهذا التحذير القوي، واستثناء حالة مصانعتهم تقية. والتنصيص على أنه يوالهم من دون أهل الإيمان يبعد القضية عن أن تكون في شأن عبادة.

وثانياً: من أين يأتي عبادة بخمس مئة يهودي ليقاتلوا معه، فقد أجلي بنو قينقاع وبنو النضير عن ديارهم، ولم يكونوا ليدافعوا عن الاسلام، بل كانوا هم المحرضين للاحزاب على حرب النبي والمسلمين. وبنو قريظة قد نقضوا العهد، وأصبحوا مع الاحزاب.

عريش جديد لأبي بكر:

ويستفاد من كلام الواقدي: أنه قد كان ثمة ما يشبه العريش - عريش بدر - لأبي بكر فيذكر: أن أبا بكر كان مع النبي (ص) «في قبة

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٥٨ وتفسير الخازن ج ١ ص ٢٢٧.

الفصل السادس: غدر بني قريظة ٢١٩

من آدم مضروبة في أصل الجبل، عند المسجد الذي في أسفل، معه أبو بكر رضي الله عنه، والمسلمون على خندقهم يتناوبون»^(١).

فجاء عمر، الى النبي (ص)، وأخبره بنقض بني قريظة للعهد..

لكن قد تقدم: أن ذلك لا يصح، أو على الأقل يشك كثيراً في صحته. وقد تحدثنا في غزوة بدر عن عدم صحة قصة العريش المزعوم لابي بكر والنبي (ص)، فراجع ما ذكرناه هناك..

ولسنا ندري لماذا ترك أبو بكر الناس يتناوبون على خندقهم، أليس هو خندقه أيضاً، ولماذا استثناه رسول الله (ص) ليكون معه، دون كل من عداه، وكيف لم يعترض على ذلك أي من الناس الذين كانوا يقومون بواجباتهم في الحفظ والحراسة وكان النبي (ص) نفسه يفعل ذلك أيضاً.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧.

الفصل السابع:

**معنويات الجيشين، والرعب
والخوف أيام الحصار**

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف ايام الحصار . . . ٢٢٣

الحالة المعنوية لجيش الاحزاب:

لقد حاصر المشركون المسلمين في المدينة مدة طويلة ستحدث عنها في الفصل التالي، ولا شك في ان جيش الشرك كان مطمئناً الى أنه سوف يحقق في مسيره ذاك لحرب المسلمين نتائج طيبة ومثيرة، وربما حاسمة، وذلك استناداً الى ذلك الحشد الهائل الذي استطاع أن يوفره، والذي لم يسبق له مثيل.

ثم فوجيء بالخطبة الدفاعية التي اعتمدها المسلمون في المواجهة، ولكنه لم يفقد الأمل، وحرص على متابعة الاعداد والاستعداد، بحمله بني قريظة على نقض العهد، وذلك على أمل ان يجد الوسيلة لتجاوز عقدة الخندق، للتوصل الى المواجهة الحاسمة، التي كان يأمل.

فكان من الطبيعي ان نجد جيش الأحزاب يتظاهر بالأنفة والشموخ والعنجهية، والاستعلاء والفرح. قال ابن شهر آشوب: «كان الكفار على الخمر، والغناء، والمدد، والشوكة»^(١).

وكيف لا يكونون كذلك، وهم يرون أنفسهم في موقع من يحاصر اعداءه، ويضيق عليهم الخناق. ويتسبب لهم بالمزيد من الألم والأذى والخوف والرعب، مع ما يعانون من جوع وحاجة، وشدة.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢.

٢٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وان كان فيما بعد - وبعد قتل علي لطليلة فرسانهم - انقلب
السحر على الساحر كما سنرى.

وما يهمنا هنا هو بيان حالة المسلمين في مواجهة الأحزاب،
فنقول:

المسلمون في مواجهة الأحزاب:

قد تحدث القرآن عن حالة المسلمين بصورة عامة في يوم
الأحزاب، وتحدث عن حالات المنافقين ومواقفهم وأساليبهم في هذه
المناسبة. وذكر أيضاً حالة أهل الايمان والإخلاص، وميزهم عن
غيرهم.

ونحن نذكر هنا الآيات التي تعرضت للفرقاء الثلاثة،
فنقول:

الحالة العامة:

لقد كان ثمة حالة من الخوف والرعب تهيمن على الأجواء
العامة للمسلمين، الذين لم يستحكم الايمان في نفوسهم وقلوبهم،
حتى زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر. قال تعالى: ﴿أَمْ
حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ، وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ،
مُسْتَهْمِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ:
مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١).

حيث يذكر المفسرون: أن هذه الآية قد نزلت يوم الأحزاب،

(١) سورة البقرة/ ٢١٤.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٢٥
وقيل: نزلت في أحد^(١).

وقد زاد هذا الخوف والرعب باستمرار الحصار، وظهور بعض المناوشات. وقد أشار الله سبحانه الى ذلك، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، اذ جاءكم جنود؛ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها. وكان الله بما تعملون بصيراً﴾.

﴿إذ جاؤوكم من فوقكم، ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار، وبليغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾^(٢).

يقين أهل الايمان:

أما عن خصوص الثقة المؤمنة الصابرة المجاهدة، فإنهم كانوا مطمئنين الى نصر الله تعالى لهم على أعدائهم. دون أدنى شك أو ريب منهم، فقد قال تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر. وما بدلوا تبديلاً﴾.

﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم، ان الله كان غفوراً رحيماً﴾^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٨٨ عن مجمع البيان ج ٢ ص ٣٠٩ وراجع: الدر المنثور ج ١ ص ٢٤٣ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة. وعن ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السدي.

(٢) سورة الأحزاب/ ٩ - ١١.

(٣) سورة الأحزاب ٢٢ - ٢٤.

٢٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

حالة المنافقين:

أما المنافقون: فإنهم ما زالوا منذ البداية يشككون في قدرة المسلمين على المواجهة، وقد تقدم أنهم حين حفر الخندق أظهرُوا نفاقهم الذي رافق جميع مراحل المواجهة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم، فقال:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا. وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا، وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ، يَقُولُونَ: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا. وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا، ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا، وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ: لَا يُولُونَ الدُّبَارَ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسَوِّلاً﴾.

قل: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ، وَإِذْنُ لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

قل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا، وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ، وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ: هَلُمَّ إِلَيْنَا، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا. أَشْحَذْ عَلَىكُمْ، فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ، رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ، كَالَّذِي يَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، فَإِذَا زَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ، أَشْحَذْ عَلَى الْخَيْرِ، أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا، فَاحْبِطْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ. وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

يحسبون الأحزاب لم يذهبوا، وإن يأت الأحزاب يوَدُّوا لو أنهم

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٢٧
بادون في الأعراب، يسألون عن انبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا
قليلاً^(١).

النصوص التاريخية:

قد ظهر من الآيات الشريفة: أن ما كان يثيره المنافقون من
شائعات، وما كانوا يتخذونه من مواقف، قد أثر على الحالة العامة،
وأسهم في إثارة مشاعر الخوف التي كانت متحفزة، بسبب ما يروونه
من حشود هائلة، وبسبب الحصار الذي يعانون منه وتترافق مع الحاجة
الملحة؛ الأمر الذي بث روح الانهزام، والتخاذل والتردد فيما بين
ضعفاء النفوس، وقليلي التدبر.

وقد حملت لنا النصوص التاريخية بعض التفاصيل، التي يحسن
الوقوف عندها، الى جانب أخرى يحسن الإلمام بها والإطلاع عليها،
والاستفادة منها.

ونحن نذكر هنا بعضاً من ذلك ولا نصرف النظر عن جميع ما
لدينا من ملاحظات وتحفظات، بل نذكر بعضاً من ذلك، حسبما
يقتضيه المقام، فنقول:

عن جابر بن عبد الله، قال: كان خوفنا على الذراري بالمدينة
من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش، حتى فرج الله ذلك^(٢).

وعن أم سلمة: انها قالت: إنها شهدت مع النبي (ص) مشاهد
فيها قتال وخوف: المريسيع، وخيبر، والحديبية، والفتح، وحنين،

(١) سورة الأحزاب ١٢ - ٢١.

(٢) المغازي ج ٢ ص ٤٦٨.

٢٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
ولم يكن من ذلك أتعب لرسول الله (ص) ولا أخوف عندنا من
الخنديق. وذلك ان المسلمين كانوا في مثل الحرجة، وإن قريظة
لأنامها على الذراري الخ^(١).

«وكانوا يبيتون بالخنديق خائفين، فإذا أصبحوا آمنوا»^(٢).

«واشتد البلاء والحصر على المسلمين، وشغلتهم أنفسهم، فلا
يستريحون ليلاً، ولا نهاراً»^(٣).

وقال ابن شهر آشوب:

«وكان الكفار على الخمر، والغناء، والمدد، والشوكة.
والمسلمون كأن على رؤوسهم الطير لمكان عمرو.

والنبي (ص) جاث على ركبتيه، باسط يديه، باك عيناه، ينادي
بأشجى صوت:

«يا صريخ المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، اكشف
همي، وكربي، فقد ترى حالي»^(٤).

ويقولون: لما صح عند رسول الله (ص) نقض بني قريظة للعهد
ضاق ذرعاً، وخشي أن يفت ذلك في أعضاء المسلمين، فعظم البلاء،
واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى

(١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٧ وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٤٨٥.

(٢) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٨.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٦.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وراجع ج ٣ ص ١٣٤ وبحار الأنوار
ج ٢٠ ص ٢٧٢ وراجع ج ٤١ ص ٨٨.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف ايام الحصار ٢٢٩...
ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق، وكثر الخوض.

وأقام رسول الله (ص) وأصحابه فيما وصف من الخوف والشدة لتظاهر الأعداء عليهم، واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى كان ما كان من كيد نعيم بن مسعود الخ^(١) وستأتي قصة نعيم، وما فيها من هنات وإشكال.

قال ابن الجوزي: «قال علماء السير: كان اشتد الخوف يوم الخندق، وفشل الناس، وخيف على الذراري والأموال»^(٢).

وفي نص آخر: «ولما فشا نقض بني قريظة، واشتد الخوف، وعظم عند ذلك البلاء، فبينما هم على ذلك إذ جاءتهم جنود - يعني الأحزاب - وهم قریش وغطفان، ويهود بني قريظة... الى ان قال: فجاء بنو اسد، وغطفان، وفزارة، واليهود من فوقهم، من جهة المدينة، وقائدهم حارث بن عوف، وعيينة بن حصن. وجاء قریش

(١) تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٠ وأشار الى ذلك في المصادر التالية: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢/١١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ و٢٠١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤/١٦٥ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ و١١١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٧/٢٢٨ و٢٨١.

(٢) الوفاص ٦٩٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧١.

٢٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وكنانة من جانب أسفل الوادي، وقائدهم ابو سفيان بن حرب»^(١).

«وقال ابن عباس: كان الذين جاؤوهم من فوقهم بنو قريظة، ومن أسفل منهم قريش وغطفان، كذا في الوفاء.

ومن هبة كثرتهم، وشدة شوكتهم رعبت قلوب ضعفاء أهل الاسلام، وزاغت أبصارهم»^(٢).

وقال القيرواني: «جاءت قريش من هاهنا، واليهود من هاهنا، والمجد من هاهنا. يريد هوازن»^(٣).

ومعنى ذلك هو أن المسلمين كانوا محاصرين من جهات ثلاث. ويقول الطبرسي:

«من فوقكم: من فوق الوادي، من قبل المشرق: قريظة والنضير، وغطفان.

ومن أسفل منكم: أي من قبل المغرب، من ناحية مكة: أبو سفيان في قريش ومن تبعه»^(٤).

مواقف المنافقين:

وقال القمي: «لما طال على اصحاب رسول الله (ص) الأمر، واشتد عليهم الحصار. وكانوا في وقت برد شديد، وأصابتهم مجاعة.

(١) العبر وديوان المتبدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وراجع: السيرة النبوية

لدخلان ج ٢ ص ٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧ و٣١٨.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: السيرة النبوية لدخلان ج ٢ ص ٥.

(٣) الجامع ص ٢٨١.

(٤) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٢ عنه.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٣١
وخافوا من اليهود خوفاً شديداً. وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم.
ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله (ص) إلا نافع إلا القليل.

وقد كان رسول الله (ص) أخبر أصحابه: أن العرب تتحزب
ويجيئون من فوق. وتغدر اليهود ونخافهم من اسفل، وإنه ليصيبهم
جهد شديد، ولكن تكون العاقبة عليهم.

فلما جاءت قریش، وغدرت اليهود قال المنافقون: ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا. .

وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة. فقالوا: يا رسول الله،
تأذن لنا أن نرجع الى دورنا، فإنها في أطراف المدينة، وهي عورة،
ونخاف اليهود أن يغيروا عليها.

وقال قوم: «هلموا فلنهرب، ونصير في البادية، ونستجير
بالأعراب، فإن الذي كان يعدنا محمد كان باطلاً كله»^(١).

وقال البيهقي: انه بعد حصار دام قريباً من عشرين ليلة، وبعد
حصول قتال دام الى الليل، شغل المسلمين عن صلاة العصر: «فلما
اشتد البلاء على النبي (ص) وأصحابه نافع ناس كثير، وتكلموا بكلام
قبيح.

فلما رأى رسول الله ما فيه الناس من البلاء والكرب جعل
يشرهم ويقول: والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة.
واني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وان يدفع الله عز وجل الي
مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفخن كنوزهما في سبيل
الله عز وجل.

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٩ و ٢٣٠.

٢٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وقال رجل ممن معه لأصحابه: ألا تعجبون من محمد!! يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق، وأن نقسم كنوز فارس والروم، ونحن هاهنا لا يأمن أحدنا أن يذهب الى الغائط، والله ما يعدنا الا غروراً.

وقال آخرون ممن معه: ائذن لنا، فإن بيوتنا عورة.

وقال آخرون: «يا أهل يثرب، لا مقام لكم فارجعوا»^(١).

ويقول نص آخر:

«ونجم النفاق من بعض المنافقين. وقال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر، وأن أموالهما تنفق في سبيل الله، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط: «ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا».

وقال رجال ممن معه: «يا أهل يثرب لا مقام لكم، فارجعوا»^(٢).

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٢ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨. وراجع المصادر التالية: حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٨٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤/١٦٥ والمغازي

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ... ٢٣٣

من الذي قال: بيوتنا عورة:

تقدم في النصوص التي أوردناها: أن هناك من قال: بيوتنا عورة، من أجل الحصول على إذن من النبي (ص) لهم بترك مواقعهم، والرجوع الى بيوتهم، فمن هم هؤلاء الذين قالوا ذلك يا ترى؟
إن بعض النصوص التاريخية تقول: هم «عبد الله بن أبي وأصحابه».

وقيل: هم بنو سالم من المنافقين.

وقيل: إن القائل لذلك أوس بن قبطي ومن وافقه على رأيه، عن يزيد بن رومان^(١).

وقال ابن الكلبي: إن ابا مليل، سليك بن الأزعر - شهد بدرًا - هو الذي قال يوم الخندق بيوتنا عورة^(٢).

وقال الديار بكري: «وكان جماعة من المنافقين مثل أوس بن القيثي، ومتابعيه ينفرون جيش الاسلام، ويقولون: ارجعوا الى منازلكم، واعتلوا بأن منازلكم عورة، خالية عن المحافظة، فإنها خارج المدينة، ونحن نخاف أن يظفر بها جيش العدو»^(٣).

للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩/٤٥٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: سعد السعود ص ١٣٨.

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٧ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٣ عنه. وراجع: نهاية الارب ج ٧ ص ١٨١.

(٢) راجع: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١٣٣

٢٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

ويقول نص آخر: «عظم الأمر، وأحيط بالمسلمين من كل جهة. وهم بالفشل بنو حارثة، وبنو سلمة، معتذرين بأن بيوتهم عورة، خارج المدينة، ثم ثبتهم الله»^(١).

لكن البعض قال: إن المستأذنين هم بعض بني حارثة لا كلهم فراجع^(٢).

ويروي لنا الواقدي هذه القضية بنحو أكثر تفصيلاً، فيقول:

إن بني حارثة بعثوا بأوس بن قيثي إلى النبي يقولون: إن بيوتنا عورة، وليس دار من دور الأنصار مثل دارنا. ليس بيننا وبين غطفان أحد يردّ عنا، فأذن لنا فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا.

فأذن لهم (ص)، ففرحوا بذلك، وتهياؤوا للانصراف.

فبلغ سعد بن معاذ ذلك فقال: يا رسول الله، لا تأذن لهم؛ إنا والله، ما أصابنا وإياهم شدة قط إلا صنعوا هكذا؛ فردهم^(٣).

والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وراجع المصادر التالية: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٧ و٢٢٨ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣٤٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٣.

(٢) راجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٤٩.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٣ وراجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ وراجع: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤٤ وليس فيه موقف ابن معاذ: وراجع المصادر التالية، وإن لم تشر لموقف ابن معاذ: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف ايام الحصار . . . ٢٣٥

من بقي مع النبي (ص) في المواجهة:

قال دحلان: «فجعل المنافقون يستأذنون، ويقولون: بيوتنا عورة، أي من العدو؛ لأنها خارج المدينة، وحيطانها قصيرة، يخشى عليها السرقة؛ فأذن لنا نرجع الى نساءنا، وابنائنا، وذرائنا. فيأذن (ص) لهم.

قيل: ولم يبق معه تلك الليلة إلا ثلاث مئة»^(١).

وعن حذيفة: «ان الناس تفرقوا عن رسول الله (ص) ليلة الأحزاب، فلم يبق معه الاثنا عشر رجلاً»^(٢).

وقال القاضي النعمان: «وتسلل عن رسول الله صلوات الله عليه وآله اكثر أهل المدينة، فدخلوا بيوتهم كالملقين بأيديهم»^(٣).

وتقدم قول القمي: «ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله (ص) إلا نافق إلا القليل».

وهذا يؤيد ما سيأتي من أن سبب النصر هو بطولات علي عليه السلام، وما جرى على المشركين من مكابدة ما تثيره الرياح

هشام ص ١٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٥ و ٤٣٦.

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ وستأتي بقية المصادر في الفصل الأخير من هذا الباب تحت عنوان: مهمة حذيفة بن اليمان.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٠ و ٤٥١ وراجع: تاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٩/٢٥٠ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣١.

(٣) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٤.

٢٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
والأعاصير من متاعب لهم، وما تزرعه من خوف ورعب في قلوبهم. بعد
أن آتت النشاطات النبوية لزراع الشكوك فيما بينهم ثمارها، كما سنرى.
وقبل أن نمضي في الحديث عن سائر الوقائع نتوقف قليلاً
للإشارة إلى الأمور التالية:

الحارث بن عوف:

ذكرت بعض الروايات المتقدمة الحارث بن عوف في
المشاركين في حصار المدينة، وقد تقدم أن قومه ينكرون حضوره
حرب الأحزاب، فراجع الفصل الأول من هذا الباب.

رهبة الليل

وقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن الليل كان بالنسبة لكثير من
المسلمين بمثابة كابوس مخيف لما يتوقعونه من مفاجئات لم يحسبوا
لها حساباً، ونحن وإن كنا نصدق أن ليل رهبته، ولكن وجود الرسول
فيما بينهم، وهو الذي لم يزل يطمئنهم إلى نصر الله وعونه، كان
ينبغي أن يطمئنهم، ويذهب حالة الخوف والرعب من نفوسهم لو كانوا
راسخي القدم في الإيمان، والتسليم لله ولرسوله.

خوف الرسول:

وقد تحدثت بعض كلمات المؤرخين عن خوف النبي (ص) في
حرب الأحزاب.

ونحن لا نشك في عدم صحة هذه النصوص، ولا أقل من أنها
لم تتحرّ الدقة في نقل الوقائع والأحداث، فإن الرسول صلى الله عليه

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٣٧ وآله وسلم كان يبشر المؤمنين بنصر الله وعونه، ابتداء من حفر الخندق، ثم حين نقض بني قريظة لعهدهم، وفي غير ذلك من مناسبات.

فلم يكن هو ليعاني من حالة الرعب والخوف، وهو الذي كان مصدر السكينة والامن والطمأنينة للناس.

بل إننا اذا كنا نرى أن القرآن يتحدث عن المؤمنين بأنهم كانوا على درجة من التسليم والتصديق بوعد الله، وما زادهم مجيء الأحزاب، ورؤيتهم لهم الا ايماناً وتسليماً. فإن النبي الأعظم لن يكون أقل ايماناً منهم.

والذي نراه هو ان النبي صلى الله عليه وآله. قد تعب كثيراً في انجاز المهام، حين صار أصحابه يتركونه، حتى بقي في قلة قليلة منهم. بل إن بعضهم حتى طلحة، وعمر قد تركوه، واختبأوا في حديقة هناك، وقد كشفت عائشة أمرهم، وأخرجتهم بصورة ظاهرة كما ذكرناه في موضعه.

فيمكن أن يكون بعض المؤرخين خلط بين التعب والمعاناة للنبي (ص) وبين الخوف، فنسب اليه الخوف، مع أن الصحيح هو نسبة التعب كما قالته ام سلمة، وغيرها. فليلاحظ ذلك.

اتهام أحد البدرين بالنفاق:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن معتب بن قشير هو الذي قال: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر الخ . . .

٢٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

مع أن ابن هشام يقول: قيل: لم يكن معتب من المنافقين، وقد شهد بدر^(١):

وقال العسقلاني: «ذكروه في من شهد العقبة. وقيل: إنه كان منافقاً، وأنه الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا. وقيل: انه تاب. وقد ذكره ابن اسحاق في من شهد بدر^(٢)».

وقال أبو عمر: «شهد بدر^(٣) وأحد^(٤)، وكان قد شهد العقبة. يقال: إنه الذي قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا^(٥)».

ولا نريد تتبع سائر المصادر التي أشارت الى بدرية معتب بن قشير. فكيف نوفق بين وصف القرآن له بالنفاق، وبين بدريته، التي توجب - حسبما يزعم هؤلاء - أن يغفر له كل ذنب، ويظهر من كل رجس، وقد تحدثنا عن هذا الأمر في غزوة بدر فراجع.

هيكلي يخطيء في تصويراته وتصوراتة:

قال محمد حسين هيكلي: «لأهل يثرب أبلغ العذر إن كان بلغ منهم الفزع وزلزلت قلوبهم، ولمن قال منهم العذر في أن يقول: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط، وللذين بلغت قلوبهم الحناجر العذر في أن تبلغها. أليس هو الموت الذي يرون آتياً تقدر بالشرر عينه، مصورة في بريق هذه السيوف تلمع في أيدي قريش، وفي أيدي غطفان،

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠.

(٢) الاصابة ج ٣ ص ٤٤٣.

(٣) الاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة) ج ٣ ص ٤٦٢.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٣٩
وتدب الى القلب مخافته، متسللة من منازل قريظة الغدرة الخائنين»^(١).

ونقول:

لقد اشتبه هيكلك في تصويره وفي تصويره أيما اشتباه، وذلك
لأمور:

الأول: إن الله سبحانه قد حكى طائفة مما ذكر آنفاً عن
المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، فقال: «وإذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض: ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً. وإذ قالت
طائفة منهم: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم
النبي، يقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، إن يريدون إلا
فراراً»^(٢).

فهل كان المنافقون والذين في قلوبهم مرض على حق في قولهم
هذا؟! .

وقد صرح المؤرخون - حسبما تقدم وسيأتي أيضاً - بأن
المنافقين هم الذين قالوا: يعدنا محمد كنوز كسرى الخ.

الثاني: إن هذه الأقوال - كما تقدم - إنما صدرت بادئ الأمر
من المنافقين قبل مجيء الأحزاب، وقبل نقض بني قريظة للعهد، إذ
قد صرحت الروايات بأنهم قد قالوا ذلك حين حفر الخندق، توقعاً
لمجىء قريش والأحزاب، ثم قالوه بعد اشتداد الحصار. فلو سلمنا
لهيكل قوله ذاك، نقول له: ما هو المبرر لرعبهم قبل مجيء الأحزاب،
ولم يكن ثمة ما يوجب الخوف إلى هذه الدرجة.

(١) حياة محمد ص ٣٢٥ الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ هـ. ق دار الكتب المصرية.

(٢) سورة الأحزاب / ١٢ - ١٣.

٢٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

الثالث: إننا لا نوافق أن من حقهم أن يقولوا ذلك، حتى لو كان القائلون هم المؤمنون، وذلك لأنهم قد رأوا من الآيات والخوارق، والكرامات للنبي (ص)، وهم يحفرون الخندق الشيء الكثير. فكان من المفروض فيهم أن يتيقنوا بنصر الله سبحانه لهم، وبصدق ما أخبر به نبيهم الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ولكن لم تكن تلك الكرامات تقتصر على مجرد التصور العقلي لهم. بل كانت تتعدى ذلك لتكون ممارسة حسية لكل فردٍ فردٍ منهم، كما كان الحال بالنسبة لإطعام أهل الخندق جميعاً من وليمة جابر.

الرابع: ان مراجعة الآيات القرآنية تعطينا: أن الذين زاغت ابصارهم وبلغت قلوبهم حناجرهم، وظنوا بالله الظنون هم غير المؤمنين الذين كانوا ثابتين في حصون الإيمان.

لكن هؤلاء المؤمنين قد تأثروا من حالة إخوانهم، فوقعوا في البلاء والزلال، فقد قال تعالى مخاطباً المسلمين.

«إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا.

هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً^(١)».

فترى أنه تعالى قد تحدث عن المؤمنين بطريقة الحديث عن الغائبين، مع أنه لو كان المراد جميع المسلمين لكان السياق يقتضي أن يقول: «هنالك ابتليتكم وزلزلتم».

أضف الى ما تقدم: أنه لو كان الأمر كذلك لم يقل: «هنالك

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٤١
ابتلي» بل كان عليه أن يقول: وابتليتكم. فكلمة «هنالك» تشير الى أن
الابتلاء للمؤمنين قد حصل حينما ظننتم بالله الظنون، وبلغت قلوبكم
حناجركم.

على أن من الواضح: أن ظن الظنون بالله لا ينسجم مع الايمان،
بل هو ينافيه. وقد تحدث تعالى عن المؤمنين فذكر أنهم لم يظنوا
الظنون هنا، بل زاد ايمانهم عمقاً ورسوخاً. فقال تعالى: ﴿ولما رأى
المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله
ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً. من المؤمنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا
تبديلاً﴾.

بقي أن نشير هنا الى أن المراد بابتلاء المؤمنين هو أن
مسؤولياتهم أصبحت اكبر وأخطر من ذي قبل، وأصبحت كل
المصائب والآلام الناتجة عن هذا الحصار، ومن انهزام المسلمين
روحياً، والخوف على الذراري والنساء، وما صاحب ذلك من تحمل
مشقات وجهد وسهر - ان ذلك كله - قد انصب على رؤوس ثلة قليلة
مجاهدة صابرة، قد لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليدين أو حتى اليد
الواحدة.

إذ أن من الغني عن البيان: أن تحقيق وعد الله ورسوله لهم
بالنصر، لا يعني أن لا يتحملوا المشقات والمصائب والآلام الكبيرة،
وأن لا يبتليهم بالمواجهات الخطيرة، التي تصل الى درجة الاستشهاد
بالنسبة الى بعض الأفراد؛ لأن الوعد إنما هو للمجموع العام،
ولأهل هذه الدعوة بصفتهم العامة، وإن كان أفراد كثيرون
يستشهدون، أو يمتحنون بالمصائب والبلايا والرزايا.

٢٤٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

العقد المزعوم مع عيينة بن حصن:

قال ابن المسيب: «حصر رسول الله (ص) وأصحابه بضع عشرة حتى خلص إلى كلٍ منهم الكرب.. إلى أن قال: فبينما هم على ذلك من الحال أرسل رسول الله (ص) إلى عيينة الخ»^(١).

وذكر نص آخر: أنه بعد أن حوَصِر المسلمون، ونقض بنو قريظة العهد، وضائق الأمور على المسلمين، وأحيط بهم، وهم بالفشل بنو حارثة، وبنو سلمة، بعث رسول الله (ص) إلى عيينة بن حصن، والحرث بن عوف: أن يرجعا، ويخذلا الأعراب، ولهما ثلثا ثمار المدينة - كما في بعض المصادر - لكن أكثر المصادر تقول: ثلث ثمار المدينة.

زاد في نص آخر قوله: «فجرى بينهما المرافضة في الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح»^(٢).

-
- (١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ وراجع المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧.
 (٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥ وراجع المصادر التالية: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٢ و ١٧٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ والإرشاد للمفيد ص ٥١ و ٥٢ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ والبحار ج ٢ ص ٢٥٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٤ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٠ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٦ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٤٣

وشاور ﷺ في ذلك: سعد بن معاذ، وسعد بن عباد فأيها،
وقالا: يا رسول الله، أشيء أمرك الله به؟ فلا بد منه؟! أم شيء تحبه،
فتصنعه، فنصنعه لك؟! أم شيء تصنعه لنا؟!.

قال: بل أصنعه لكم، إني رأيت أن العرب رمتكم عن قوس
واحدة.

فقال سعد بن معاذ: قد كنا معهم على الشرك والأوثان، ولا
يطمعون منا بتمرة شراء ولا بيعاً. فحين أكرمنا الله بالاسلام، وأعزنا
بك نعطيهم أموالنا؟! والله، لا نعطيهم إلا السيف.

فصلب رسول الله (ص)^(١).

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وراجع: المصادر التالية:
سيرة المصطفى ص ٤٩٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦٥ والسيرة
الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ و٢٠٢
وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ وشرح نهج
البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٠ ص ١٨٠ وانساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٦
وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣١ وراجع:
الارشاد للمفيد ص ٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وبهجة
المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩/١٥٠ وتاريخ
الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩
والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و١٨١ وكشف الغمة للاريلي ج ١
ص ٢٠٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ و١٠٥ والبحار ج ٢ ص ٢٥٢
ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٧٢ و١٧٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ ودلائل النبوة
للبهقي ج ٣ ص ٤٣٠ و٤٣١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥ والسيرة
النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٤ وتهذيب سيرة ابن هشام ١٩٢ و١٩٣
والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧ و٣٦٨ وشرح الأخبار ج ١
ص ٢٩٣/٢٩٤.

٢٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

زاد البعض هنا قوله: «فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن قد عرفت ما عندكم؛ فكونوا على ما أنتم عليه؛ فإن الله تعالى لن يخذل نبيه، ولن يسلمه حتى ينجز له ما وعده.

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين، يدعوهم الى جهاد العدو، ويشجعهم، ويعدهم النصر من الله تعالى^(١) «وترك ما كان هم به من ذلك»^(٢).

وقد تفننت بعض الروايات في تصوير وقائع هذه القصة، فهي تقول:

إنه (ص) أرسل الى رئيسي غطفان: عيينة بن حصن، والحارث بن عوف أن يجعل لهما ثلث ثمار المدينة، ويرجعان بمن معهما.

فجاءا متخفيين من أبي سفيان مع عشرة من قومهما الى النبي (ص)، فطلبوا نصف ثمار المدينة، فأبى عليهما إلا الثلث، فرضيا. فجرى بينه وبينهم الصلح، وأحضر رسول الله (ص) الصحيفة والدواة، وأحضر عثمان بن عفان، حتى كتب كتاب الصلح، ولم يقع الاشهاد.

وعند الواقدي والمقرئزي: أحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان الصلح، وعباد بن بشر على رأس رسول الله (ص) مقنع بالحديد.

(١) الارشاد للمفيد ص ٥٢ وراجع: كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٢. ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨.

(٢) بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و١٨١.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٤٥

ولما أرادوا أن يكتبوا الشهادة جاء أسيد بن حضير؛ فرأى عيينة بن حصن قد مد رجله بين يدي رسول الله (ص)، وعلم ما جاء له؛ فأقبل الى عيينة وقال:

يا عين الهجرس، أتمدّ رجلك بين يدي رسول الله (ص)؟
فوالله، لولا مجلس رسول الله لأنفذت جنبك بهذا الرمح.

ثم أقبل بوجهه الى النبي فقال: يا رسول الله، إن كان هذا شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من عمله، أو أمراً تحبه، فاصنع ما شئت، ما نقول فيه شيئاً. وإن كان غير ذلك، فوالله ما نعطيهم إلا السيف، متى كانوا يطمعون منا؟^١.

فسكت النبي (ص) ولم يقل شيئاً. وعلى حد تعبير الواقدي.
فأسكت رسول الله (ص).

فدعا سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، فاستشارهما فيه (خفية)؛ فقالا مثل ما قال أسيد (وأبوا إعطاء الدنية، فأمره النبي (ص) بشق الكتاب)؛ فاعتذر (ص) بأنه قد رأى العرب رمتهم عن قوسٍ واحدة.

الى أن تقول الرواية: فتناول سعد، أي ابن معاذ الصحيفة، وأخذها من عثمان فمحا ما في الكتاب، ومزق الكتاب.

ثم تذكر الرواية محاورة بين عباد بن بشر وعيينة. ثم تذكر رجوع عيينة والحارث. وعلمنا: أن لا يد لهم في المدينة، لما رأوا من اخلاص الأنصار، واتفاقهم مع رسول الله. ودخل في أمرهما فتور وتزلزل^(١).

(١) راجع في النصوص المتقدمة باختصار تارة وبإسهاب أخرى المصادر التالية:
تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥/٤٨٦ والمغازي للواقدي ج ٢

٢٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وتشير بعض النصوص الى دور لسعد بن الربيع أيضاً^(١)

نقاط ضعف في هذا الاتفاق:

لقد حفلت هذه القصة بنقاط ضعف كثيرة لا نرى ضرورة للتعرض لها بالتفصيل، ونكتفي هنا بالإشارة الى الأمور التالية.

١ - التناقض والاختلاف:

إننا نلاحظ هنا: تناقض واختلاف نصوص هذه الرواية، الأمر الذي يعني أنه لا بد من استبعاد طائفة من هذه النصوص، حتى لا يبقى ثمة تناقض واختلاف فيما بينها. فليلاحظ مثلاً اختلافها. في أنه (ص) اعطاهما ثلث ثمار المدينة، أم الثلثين؟

وهل كُتِبَ الكتاب، ثم رفض السعدان، أم رفضاً ذلك قبل أن يكتب الكتاب. وهل استشار السعدين، أم استشار السعود.

ص ٤٧٧ و ٤٧٨ وفيه تفصيلات لا مجال لإيرادها. والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٢ و ١٧٣ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ وراجع: شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وتاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ و امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ و ٥٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ وراجع: حول هذا العقد المزعوم أيضاً: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٠ و ج ١٧ و ص ١٩٩ وخاتمة النبيين ص ٩٣٦ و ٩٣٢ و ٩٣٣ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٥ وسيرة المصطفى ص ٥٠٧.

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٤٧

٢ - الحارث بن عوف:

وقد تقدم أن البعض ينكر مشاركة الحارث بن عوف في حرب الخندق، وإن كان الواقدي يصبر على هذه المشاركة، فراجع فصل: الأحزاب الى المدينة. فقرة: تحفظ تاريخي.

٣ - سعد بن الربيع:

قد ذكرت بعض النصوص: أنه قد كان لسعد بن الربيع دور في هذه القضية أيضاً. مع أن سعداً هذا قد استشهد في حرب أحد، وهي قبل الخندق بزمانٍ طويل، فراجع.

٤ - استشارة السعود، واعطاء الدنية:

بعض النصوص تقول: إن عيينة بن حصن جاء مهدداً متوعداً، فهي تقول: إنه قال: يا محمد، ناصفنا تمر المدينة، وإلا ملأناها عليك خيلاً ورجالاً.

فقال: حتى استأمر السعود: سعد بن عبادة وسعد بن معاذ، وسعد بن الربيع، وسعد بن مسعود.

فكلمهم رسول الله (ص) في ذلك؛ فقالوا: لا والله، ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية، فكيف وقد جاء الله تعالى بالاسلام.

فرجع الحارث فأخبره، فقال: غدرت يا محمد^(١).

فما معنى هذا التهديد والوعيد من عيينة، ألم يملأها حتى الآن خيلاً ورجالاً؟ وهل بقي عنده خيل ورجال غير هؤلاء لم يأت بهم لحرب محمد؟!.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٢.

٢٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

والملفت في هذا النص: أن جميع الذين يريد النبي (ص) أن يستشيرهم اسمه سعد؛ فما هذه المصادفة العجيبة!! ألم يكن في الأنصار أحد من الرؤساء له اسم آخر؟

وأمر ثالث يلفت النظر هنا وهو أنهم اعتبروا أن ذلك معناه، إعطاؤهم الدنية. فهل كان النبي بصدد أن يعطي الدنية للأعداء؟ ألم يكن يعلم أنهم لم يعطوها في الجاهلية. فكيف وقد جاء الله تعالى بالإسلام؟!.

٥ - المروضة وكتابة كتاب الصلح.

والأمر الذي يصعب علينا تفسيره هو أنه كيف تمت كل هذه المراحل، من دون علم السعدين، أو السعود الأربعة، وغيرهم من زعماء الأنصار، فالنبي (ص) يرسل للأعداء ويستقدمهم، ويأتون إليه. وتجري مروضة في شأن الصلح، ثم يرسل النبي (ص) وراء عثمان، ويأتي، ويكتب الكتاب - كل ذلك يحصل، ولا أحد من زعماء الأنصار يعرف بشيء. حتى يرسل إليهم النبي، ويحضرهم فهل لم يكونوا يحضرون مجلس النبي، إلا أن يحضرهم إليه النبي (ص) نفسه؟!.

وهل صحيح أنهم كانوا يغيبون عنه فترات طويلة هذا المقدار، ولا سيما في حرب الخندق، التي يفترض فيها تواجدهم حوله باستمرار ليتلقوا الأوامر؟!.

وكيف غاب جميع من كان رسول الله بحاجة إلى استشارتهم، ولم يحضر ولا أحد منهم ولو صدفة. إلا أن أسيد بن حضير حضر بصورة مفاجئة؟!.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٤٩

٦ - العجز والفشل:

ولا ندري بعد هذا كيف يقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمر لا يثق من قدرته على إنجازه؟ أم يعقل: أنه كان واثقاً من ذلك ثم فوجيء بما احبط سعيه، وخيب أمله؟!

٧ - رأي النبي ورأي غيره:

هل صحيح أن للنبي آراء يطلقها من عند نفسه، ولا تنتهي إلى الارادة الإلهية؟! وكيف نفهم قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾؟!

أم أن هذه الآية تتحدث عن خصوص ما ينطق به من أي القرآن، أو عن أمور يطلب منه تبليغها كالأحكام الشرعية، ونحوها؟! وكيف وبماذا نخصص الآية بما ذكر؟! وإذا سلمنا ذلك جدلاً - فهل صحيح أن للنبي بعض الآراء التي يخطئ فيها، أم أنه ذو اجتهادٍ صواب دائماً؟!

وبعدما تقدم لا بد أن نسأل عن الوسائل التي يمكننا أن نفرق فيها بين ما هو رأي واجتهاد له، وبين ما يأتي به من قبل الله سبحانه.

٨ - اتهام النبي (ص):

ولا ندري أيضاً: كيف نفسّر قولهم للنبي: «أم شيء تحبه فتصنعه لك» فهل يتصورون أن النبي يمكن أن يقوم بعمل خطير كهذا، لأنه يحب أن يصنع شيئاً لنفسه دونهم؟! وهل هذه إلا إساءة أدب، وسوء ظن خطير برسول الله (ص) يصل إلى حد التهمة؟!.

٩ - فصلب رسول الله (ص):

٢٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

ويستوقفنا هنا قولهم: فصلب رسول الله (ص)، فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ضعف أمام أعدائه، فبدأ يقدم لهم التنازلات ويعطيهم الإمتيازات.

إن نصاً آخر ذكرناه آنفاً يكاد يكون صريح الإيحاء بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان بصدد التخلي عن جهاد العدو، حيث يقول:

«ثم قام رسول الله (ص) في المسلمين، يدعوهم الى جهاد العدو، ويشجعهم، ويعددهم النصر من الله تعالى» وترك ما كان هم به من ذلك.

١٠ - الاحتفاظ بسرية هذا العقد:

كيف استمر هذا الأمر خافياً على أبي سفيان، وكيف لم يسرّ به النبي والمسلمون الى مسامع زعيم قريش، ليكون مثار خلاف فيما بين زعماء الأحزاب أنفسهم، كما جرى لبني قريظة.

فإنه إذا كان الأمر بالنسبة لبني قريظة لم يبعد حدود الإعلام بهدف تدمير حالة الثقة القائمة بينهم وبين المشركين، فإن الأمر هنا أصبح أكثر واقعية، بعد أن قطع المتفاوضون مراحل واسعة باتجاه عقد الإتفاق، حتى لقد كتب الكتاب. وإن لم تقع الشهادة والصلح.

إلا أن يقال: إن تسريب أمر خطير كهذا سوف يكون مضرّاً بالمسلمين؛ لأنه يعطي للمشركين انطباعاً عن ضعف المسلمين، وانهيار معنوياتهم، الأمر الذي ربما يثير لدى قوى الشرك شهية مواصلة الحصار، ومضاعفة الضغوط للوصول بالمسلمين الى حالة الإنهيار الكامل.

كما أن هذا التسريب لم يكن في صالح زعماء غطفان، لأنه

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٥١
سوف يعقّد العلاقات مع حلفائهم، ويثير لهم معهم مشاكل هم في
غنى عنها.

أما المنافقون، فلعلهم لم يجدوا في تسريب معلومات كهذه ما
يخدم مصالحهم، أو يفيد في إخراجهم من الورطة التي يجدون
أنفسهم فيها.

١١ - أدب عيينة، وغيره ابن حضير:

ولا يفوتنا الإلماح الى أن عيينة بن حصن يمد رجله بين يدي
رسول الله (ص)، ولا يزجره النبي، ولا أحد من الصحابة الحاضرين.
ولا حتى عمر بن الخطاب، ولا أبو بكر، الذين لم نسمع لهما ذكر في
هذه القضية ولا في غيرها إلا في مواقع ما كنا نحب أن نراهم فيها.

والأهم من ذلك: أن علياً أيضاً لا يعترض. ويبقى الجميع
ينتظرون قدوم أسيد بن حضير ليقف هو فقط ذلك الموقف الغيور
والنبيل والشجاع. حتى إنه يتهدد عيينة بأن ينفذ جنبه بهذا الرمح لولا
احترامه مجلس رسول الله (ص).

ولا بد من تسطير الفضائل لأسيد. هذا لأنه من المهاجمين لبيت
فاطمة، ومن موطني الأمر لأبي بكر، والقائمين به. لما بينهما من
قربة. ولأمر أخرى لا مجال للإفاضة فيها الآن.

١٢ - فأسكت رسول الله (ص):

والأكثر غرابة هنا: ما ذكره الواقدي في هذا السياق من جرأة
على مقام النبوة الأقدس. حين ذكر أنه بعد أن قال أسيد بن حضير ما
قال:

«فأسكت رسول الله».

٢٥٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

يا لها من جرأة قاسية، وإهانة وقحة لنبي الإسلام، من قبل أناس لا يرون الا مصالحهم، ولا يهمهم إلا تمشية سياساتهم، حتى ولو على حساب كل القيم والمثل الاسلامية والانسانية.

هذا كله عدا عن ظهور نبرات فيها ظلال ثقيلة من الاعتداد بالنفس والتحدي في كلمات اسيد في مواجهة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. فراجع كلماته وتأمل.

هذا ما أحببنا الالماح اليه في هذا المجال، ولننظر الآن ماذا يقول الآخرون الذين يهتمون بالتبرير، ويبرعون في التصوير، فنقول.

المساسس بشرف الإسلام:

قد حاول البعض شرح ما جرى، بطريقته الخاصة، فهو يقول: «على الرغم من المجاعة التي قاساها المسلمون، والضيق الذي ألم بهم من جراء الحصار المتطاوّل، والسهر، والحراسة الموصولين؛ فقد رأوا أن في القبول بمثل هذا الذل جرْحاً لكرامتهم.

وقال الأنصار الذين عنتهم هذه المساومة المقترحة مباشرة: انهم لم يدفعوا أي جزية إليهم حتى في الجاهلية؛ فكيف يطيقون الإذعان لهم، خاصة وأن في الأمر مساساً بشرف الإسلام نفسه»^(١).

وليت شعري كيف يقدم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على أمر فيه مساس بشرف الإسلام؟! إلا أن يكون (ص) لم يدرك أن الأمر ينطوي على المخاطرة بهذا الشرف الراسخ، والعز الباذخ؟! أو

(١) حياة محمد ورسالته ص ١٦٨.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٥٣
أن شرف الاسلام لم يكن يعنيه كثيراً، وكان يعينهم هم وحدهم
دونه؟!!

استفادات وتوجيهات:

١ - لقد استفادوا من هذا الحدث فوائد وعوائد، فقد: قال أبو
زهرة: «قد أفاد عرض الصلح أمرين عظيمين.

أولهما: أن النبي (ص) علم عزمة أصحابه، وأنهم يريدون
لقاءهم.

ثانيهما: أن ذلك أطمع غطفان ومن معهما من القبائل، والطمع
إذا سكن حلّ العزيمة. وقد ترتب عل ذلك الإطماع أنهم تململوا
بطول الحصار. وجرى بينهم وبين القرشيين خلاف، وهموا أن يعودوا
من حيث جاؤا»^(١).

وقال: «إن ذلك يثير طمعهم، ويفت في عضدهم، وإن كان أمر
الصلح لم يبت فيه، ولكن بابه مفتوح لم يغلق»^(٢).

وقال: إنه (ص) أراد «أن يخذل المشركين بعضهم عن بعض
بإثارة الطمع في بعضهم، فيتخلون عن باقيهم»^(٣).

ولعل هذا هو ما يرمي إليه البعض، حين اعتبر أن هذا الصلح
يهدف الى «صرفهم عن قریش، ليفت ذلك في عضدهم، فيرجعوا
أيضاً».

(١) خاتم النبیین ص ٩٣٣.

(٢) خاتم النبیین ص ٩٣٦.

(٣) خاتم النبیین ص ٩٣٢.

٢٥٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

«وقد تجلت حنكته السياسية في مساومته غطفان لزلزلتها عن موقفها الى جانب قريش»^(١).

وقال: «لما فاوض الرسول غطفان، وأطمعهم في ثلث غلة المدينة، ثم عدل عن ذلك، ورفضه، توهمت غطفان: أن مركزه قد تحسّن، وأنه مقبل على حرب الأحزاب وإجلائهم.

ومما زاد هذا الوهم تحقق غطفان من عدول بني قريظة عن مناصرة الأحزاب، وعزمها على تقديم سادات قريش وغطفان الى الرسول ليقتلهم»^(٢).

وثمة هدف آخر له (ص)، وهو أنه كان يريد أن يطمئن الى ما يتمتع به أصحابه من قوة معنوية واعتماد على نصر الله وتوقيه، لأنه لم يكن يحب أن يسوق أصحابه الى حرب أو مغامرة لا يجدون في أنفسهم شجاعة لخوضها، أو لا يؤمنون بجداهاها، ولذلك عرض عليهم رأيه، وأبلغهم أنه ليس تبليغاً من الله تعالى^(٣).

وبعد أن ذكر البعض: أن النبي (ص) كان «يعرف حق المعرفة: أن دوافع غطفان للغزو هي مادية قبل أي شيء آخر»^(٤) قال: .

«وقد حققت هذه المناورة السياسية أغراضها على الرغم من أنها لم تنته الى اتفاق مكتوب كما علمنا؛ ذلك أن كل المصادر التاريخية تجمع: أنه لم يكن لغطفان أي دور عسكري بعد هذه المقابلة التي

(١) تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ١١٩ و ١٢٠.

(٢) تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ١٢٠ هامش.

(٣) فقه السيرة للبوطي ٣٠٠ - ٣٠١.

(٤) الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٦.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٥٥
أكدت لهم اصرار رجال الثورة الاسلامية على القتال في سبيل
عقيدتهم. ولكنهم ظلوا مرابطين في معسكراتهم حتى أمرهم القائد أبو
سفيان بالانسحاب وفك الحصار»^(١).

٢ - وأما بالنسبة للدلالات لهذا الحدث، فهم يقولون: .

أ: إنها محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا
نص فيه^(٢).

ب: إنها تدل أيضاً على «جواز اعطاء المال للعدو لمصلحة
المسلمين. وقد صالح معاوية ملك الروم على الكف عن ثغور الشام
بمالٍ دفعه إليه، ذكره أبو عبيد» قال السهيلي: قيل: كان مئة ألف
دينار^(٣).

ج: وزعم البعض أن هذا الحدث يدل على أنه يجب على
المسلمين أن يدفعوا الجزية الى غير المسلمين اذا اقتضت الحاجة.
وعلى جواز صرف المسلمين اعداءهم عن ديارهم باقتطاع شيء من
أرضهم أو خيراتهم لهم.

وقد ناقش ذلك البعض بما حاصله: .

أولاً: إن الرأي المعروض للإشارة، لا يعتبر دليلاً تشريعياً.
لأن المقصود بالإشارة مجرد استطلاع ما في النفوس، فهي ممارسة
لعمل تربوي بحث. والذي يحتج به من تصرفاته (ص) وأقواله هو

(١) المصدر السابق ص ٢٤٨.

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٣٠٠-٣٠٢.

(٣) شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ عن البغوي. وراجع: سبل الهدى
والرشاد ج ٤ ص ٥٦٥ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٧٨.

٢٥٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

خصوص ما لم يرد اعتراض عليه من كتاب الله تعالى. أما ما كان في حدود الاستشارة والرأي، فلا يعتبر دليلاً بحال.

ثانياً: «لسنا ندري ما الصلة بين الجزية، وما يمكن أن يتصالح عليه فريقان متحاربان.

إن قلت: إن اضطّر المسلمون - بسبب ضعف طارئ - إلى التخلي عن بعض أموالهم حفظاً لحياتهم، وحذراً من استئصال شأفة المسلمين، أليس لهم أن يفعلوا ذلك؟!.

فالجواب: إن قد تستلب أموال المسلمين، ويغنمها اعداؤهم. ولكن ليس ذلك عن اختيار من المسلمين، ولا لأجل تشريع ذلك فتوائياً. وإنما هو الجاء واكره لهم. والأحكام الشرعية لا يخاطب بها المكروه، ولا المُلجأ، ولا الصبي ولا المجنون.

فهذه الحالة التي هي من وراء حدود التكليف لا ينتزع فيها حكم تكليفي، يختار على أساس الرأي والمصلحة والمراوضة^(١)».

هذا ما ذكره ذلك البعض هنا، ولنا فيه ومعه مناقشات ووقفات نجملها في النقاط التالية: .

مناقشة سريعة:

أ: قول أبي زهرة: إن إطماع غطفان نشأ عنه تمللهم بطول الحصار، لا ندري كيف نفهمه، إذ ما هو الربط بين اطماعهم، وبين تمللهم.

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

الفصل السابع : معنويات الجيشين ، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٥٧

ب : كما أن ما ذكره من حدوث خلافات بين قريش ، وبين غطفان لا ندري من أين جاء به ، وعن أي مصدر نقل ذلك؟! .

ج : هل كان النبي (ص) جاهلاً بعزيمة أصحابه ، وبمقدار استعدادهم للقاء عدوهم؟ إن ما لدينا من وصف دقيق لحالتهم ، ومن نصوص سجلت لنا مواقفهم وتصرفاتهم لا تترك مجالاً للشك في حقيقة النوايا ، ودرجة الاستعداد عندهم للقاء عدوهم ، سلباً أو إيجاباً . ولا في مستوى القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله لدى أصحابه .

د : ما معنى قوله إن أمر الصلح لم يبت فيه ، وبابه مفتوح لم يخلق . ألم يخلق السعدان باب هذا الصلح . . ويتأ الأمر فيه؟! .

هـ : لا ندري كيف توهمت غطفان أن مركز النبي قد تحسّن حين عدل عن الصلح ، وهم قد رأوا بأم أعينهم سبب العدول عن الصلح ، وأنه ضغوط تعرض لها ، ورفض من أصحاب الثمار أنفسهم ، ولم يطرأ أي شيء على الحالة العسكرية ، ولا على التحالفات القائمة بين الفرقاء من كلا الجانبين . . فكيف تتوهم غطفان أن مركز النبي (ص) قد تحسّن الى درجة أنه مقدم على حرب الأحزاب واجلائهم .

و : وأما أن هذه المناورة قد جعلت غطفان تحجم عن الاضطلاع بأي دور عسكري خوفاً من مقاومة المسلمين . ولكنهم ظلوا في معسكراتهم حتى أمرهم أبو سفيان بالانسحاب .

فهو كلام عجيب وغريب ، فإن دور غطفان العسكري لا يقل عن دور غيرهم فالكل يحاصرون المسلمين ، والكل يتناوبون على

٢٥٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

الخنديق. وسيأتي حديث أم سلمة عن هجوم خيل غطفان على بعض نواحي الخندق. وأن غطفان قد شاركت في الهجوم الشامل على المسلمين الذي فوت على المسلمين بعض صلواتهم كما سيأتي..

ز : الشورى فيما لا نص فيه : .

وأما بالنسبة للشورى فيما لا نص فيه، فلا يصح استفادتها من هذا المورد إذ أن المفروض: أنه (ص) قد قضى في المورد بالصلح؛ فما معنى اعتراض أسيد بن حضير عليه؟! ونقض ما كان قد أبرمه؟! .

ثم إن مبدأ الشورى إنما يعمل به قبل اتخاذ القرار، فما معنى أن يستشير النبي (ص) بعد اتخاذه القرار، واستقدام عينة واصحابه؟! .

ح : ولا يصغى بعد هذا لما ذكره البوطي، من أن ما صدر من النبي لم يخرج عن حدود الاستشارة والرأي، فلا يعتبر دليلاً تشريعياً على جواز اعطاء الجزية للمشركين.

فإن ما صدر عن النبي (ص) كان أكثر من مجرد استشارة في هذا الأمر، بل قد تعداه الى استقدام عينة، ثم استدعاء عثمان وكتابة الكتاب.

ط : وأما بالنسبة لغنيمة الأعداء لأموال المسلمين بسبب ضعف طارئ، فإن ذلك لا يغير الحال، بل يبقى عنوان غنيمة أموال المسلمين بالكره عنهم.

ولو اضطروا لإعطاء الجزية، فإن اكراههم على ذلك لا يرفع عنوان الجزية عن اعطائهم ذاك. بل هي جزية سواء كان من يعطيها مختاراً أو مضطراً لأجل الحفاظ على وجوده وحياته.

ي : ثم ان البوطي قد خلط بين المكره والمضطر، فإن

الفصل السابع : معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٥٩
الاضطرار الى شيء لا يرفع الحكم التكليفي، والإكراه غير الاضطرار،
فطلاق المكره وهو الذي تخضع ارادته لإرادة الغير، لا يصح. أما
طلاق المضطر، وبيع، فلا إشكال فيه، كمن اضطر لبيع بيته بثمان
زهيد لأجل علاج ولده.

فالخلط بين المكره والمضطر في غير محله . .

المشورة وقيمة رأي النبي (ص)

قال المعتزلي: «كيف يقول المرتضى: إنه صلى الله عليه وآله لم
يكن محتاجاً الى رأي أحد، وقد نقل الناس كلهم رجوعه من رأي إلى
رأي عند المشورة، نحو ما جرى يوم بدر من تغير المنزل لما أشار
عليه الحباب بن المنذر. ونحو ما جرى يوم الخندق من فسخ رأيه في
دفع ثلث تمر المدينة الى عيينة بن حصن ليرجع بالأحزاب عنهم؛
لأجل ما رآه سعد بن معاذ، وسعد بن عباد من الحرب، والعدول عن
الصلح، ونحو ما جرى في تلقيح النخل بالمدينة، وغير ذلك»^(١) ١٩.

ونقل عن الاسكافي في ردّه على الجاحظ قوله: «ولقد كان
أصحاب النبي (ص) يشيرون عليه بالرأي المخالف لما كان أمر به
وتقدم فيه، فيتركه ويعمل بما أشاروا به، كما جرى يوم الخندق في
مصانعة الأحزاب بثلث تمر المدينة؛ فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك،
فتركه.

وهذه كانت قاعدتهم معه، وعادته بينهم»^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي ج ١٧ ص ١٩٩.

(٢) المصدر السابق ج ١٣ ص ٢٦٠.

٢٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

ونقول:

وقد ناقشنا في كل ما استشهد به المعتزلي والاسكافي حول تغير رأي النبي، وخطأه في آرائه في قصة تأييد النخل، ثم قصة مشورة الحباب في بدر فراجع. وقصة عيينة في الخندق قد ظهر عدم امكان قبولها بأي وجه، فلا معنى لإعتراض المعتزلي على السيد المرتضى فيما قاله.

الصحيح والمقبول في هذه القضية:

ولا نمنع أن يكون ثمة عمل ذكي من قبل النبي (ص) من خلال اطلاق اشاعة عن أمر كهذا من شأنها أن تحدث فجوة في جدار الثقة الذي يحمي جسم جيش الشرك وصفوفه من التصدع تماماً كما كان الحال بالنسبة لما فعله (ص) بين قريظة وقريش وجيش الشرك كما سيأتي. ولكن الرواة حرفوا هذه القضية، ونسجوا حولها من خيالهم الشيء الكثير، ثم استفاد المصطادون في الماء العكر من ذلك، فنفتوا سمومهم لليل من الشخصية النبوية الشريفة. ثم لتبرير ما صدر من معاوية من عمل ذليل مخز، حين قبل أن يعطي ملك الروم مئة الف دينار ذهباً، ليتفرغ لحرب سيد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، بهدف الإجهاز على آخر حصون الاسلام المنيعه، وإعادة حكم الجاهلية.

بل لقد وجدنا في كلمات الزبير بن باطا ما يشهد على أن غطفان هي التي أرسلت الى النبي (ص) تعرض عليه أن يعطيها بعض ثمار المدينة مقابل الانسحاب من المواجهة معه، فأبى (ص) أن يعطيها إلا

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار . . . ٢٦١
السيف، يقول الزبير بن باطا وهو يحاول اقناع أصحابه بعدم طلب
الرهن من قريش:

«وهذه غطفان تطلب الى محمد أن يعطيها بعض ثمار المدينة،
فأبى أن يعطيهم إلا السيف»^(١)

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٣ و ٥٤٤.

الفصل الثامن:

الحصار والقتال:

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٦٥

بداية الحديث:

من الواضح: أن وجود الخندق قد أفضل خطة الأحزاب، وشل حركتهم، ولكنهم لم يفقدوا الأمل، فقد كان الأمل لا يزال يراودهم بإمكانية أن يجدوا فرصة، ويحدثوا ثغرة تمكنهم من توجيه ضربة قاسية للوجود الإسلامي، ولو بالتعاون مع يهود بني قريظة، الذين يتواجدون في مؤخرة الجيش الإسلامي، مع علم المشركين بالحالة الصعبة التي كان يعاني منها المسلمون خصوصاً من حيث التموين، ووسائل الدفاع والصمود، مع وجود المنافقين الذين يمكن التعاون مع بعضهم أيضاً لإحداث إرباكات خطيرة داخل الجيش الإسلامي.

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن معنويات كلا الجيشين، بالإضافة الى موضوعات أخرى، ونتحدث الآن عن الحصار، وعن بعض الأحداث التي حصلت فيه، فنقول، وعلى الله نتوكل، ومنه نستمد العون والقوة:

مدة الحصار:

قد تقدم أن المشركين أحاطوا بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتابهم، وأخذوا بكل ناحية^(١) وقد استمر هذا الحصار مدة طويلة. اختلف فيها المؤرخون وهل كانت خمسة عشر يوماً^(٢) أو

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٩.

(٢) راجع: شذرات الذهب ج ١ ص ١١ والتنبية والاشراف ص ٢١٦ وراجع=

٢٦٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
عشرين يوماً^(١).

أو أكثر من عشرين يوماً^(٢).

أو شهراً^(٣) أو قريباً من شهر^(٤).

-
- = سيرة مغلطاي ص ٥٦ و امرأة الجنان ج ١ ص ٩ و ١٠ و امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٩ و سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ و به جزم الواقدي، وابن سعد، والبلاذري، والنووي في الروضة والقطب و انساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٥ و راجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ و راجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ و راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٥ و البحار ج ٢٠ ص ٢٢٨ عنه و المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٠ و ٤٩١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ و السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢.
- (١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ عن ابن عقبة و راجع فتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٠ و ٤٩٢ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٤ و راجع: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٩ و سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ و المغازي للواقدي ج ١ ص ٤١٩.
- (٢) راجع هذا القول في شذرات الذهب ج ١ ص ١١ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ وفيه: بضع وعشرون. وكذا في اعلام الوری ص ٩١ وكذا في مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨. و امرأة الجنان ج ١ ص ١٠. لكن ظاهر عدد منهم: أنهم يتكلمون عن مدة ما قبل قتل عمرو بن عبد ود. وكذا في مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ و البحار ج ٢٠ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٩.
- (٣) التنبيه والاشراف ص ٢١٦ و العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٣٠ لكنه قال: ولم تكن حرب و راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٨.
- (٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٣٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٢. و راجع: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٩ و سبل الهدى =

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٦٧

أو تسعة وعشرين ليلة^(١).

وقيل: سبعة وعشرين^(٢).

ولعل احدهما: (السبعة، والتسعة) تصحيف للآخر، فلا يخالفه.

وبعض آخر يقول: أربعة وعشرين يوماً^(٣).

ونذكر أخيراً قول من قال: بضع عشرة ليلة أو يوماً^(٤).

=والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ وحدثنا الأنوار ج ١ ص ٥٢ وج ٢ ص ٥٨٧
والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨
ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٥ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ وجوامع
السيرة النبوية ص ١٤٩ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥ وراجع سعد
السعود ص ١٣٨.

(١) البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و٤٩٢.

(٣) سيرة مغلطي ص ٥٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ والوفا
ص ٦٩٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان
ج ٢ ص ١٢ وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وحبيب السير ج ١
ص ٣٦٤.

(٤) راجع: الوفا ص ٦٩٤ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٥ والبداية والنهاية ج ٤
ص ١٠٤ وكشف الغمة للاربلي ج ١ ص ٢٠٢ والكامل في التاريخ ج ٢
ص ١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١
ص ١٩٨ والارشاد للمفيد ص ٥١ وتاريخ مختصر الدول ص ٩٥ وسبل
الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٥ والمغازي
للواقدي ج ٢ ص ٤٩١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠ وانساب الاشراف
ج ١ ص ٣٤٥ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ وتاريخ
الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ إلا أن يقال: إن ذلك ناظر الى فترة ما

٢٦٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

ونقول:

الصحيح هو أن الحصار قد دام شهراً كاملاً بل أكثر، فقد قال
ضرار بن الخطاب يوم الخندق في جملة أبيات له:

فأحجرناهم شهراً كريئاً وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدو كل يومٍ عليهم في السلاح مدججينا^(١)
أحجرناهم: حصرناهم. وشهراً كريئاً: تاماً كاملاً.

بل لقد ذكر عبد الله بن الزبيري: أن مدة الحصار قد دامت أكثر
من شهر، وبلغت أربعين يوماً. فهو يقول:

حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا للموت كل مجرب قضاب
شهوراً وعشراً قاهرين محمداً وصحابه في الحرب خير أصحاب^(٢)

إذن، فلا يمكن قبول قولهم: إن الحصار دام مدة خمسة عشر
يوماً، أو عشرين أو بضع عشر ليلة، أو ما إلى ذلك.

الحراسة:

وقد كانت الحراسة المستمرة واليقظة الدائمة من الأمور
الضرورية. وكان المسلمون يقومون بها باستمرار. وكانت حراستهم

قبل المفاوضات على ثلث ثمار المدينة، أو ما قبل قتل عمرو بن عبد ود،
كما هو صريح عدد من المصادر الآتفة الذكر. وإن كان ظاهر الواقدي
وغيره خلاف ذلك.

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٦٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٦.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٦٩

تتركز على الأمور الرئيسية بالدرجة الأولى، وهي.

١ - مركز القيادة (النبي ص).

٢ - العسكر.

٣ - الخندق.

٤ - المدينة.

٥ - الرصد لتحركات العدو.

٦ - النساء والذراري وتعاهدهم في الآطام.

٧ - أبواب الخندق.

وقد ذكرت هذه الأمور وغيرها من تفاصيل في النصوص التاريخية، والحديثية، التي نختار منها ما يلي:

أ: قال النويري وغيره: «كان رسول الله (ص) يبعث سلمة بن اسلم في ماءتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير. وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة. وكان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله (ص) مع غيره من الأنصار، يحرسونه كل ليلة»^(١).

وكانت المدينة تحرس حتى الصباح، يسمع فيها التكبير حتى

(١) نهاية الارب ج ١٧ ص ١٧٢/١٧١ وراجع المصادر التالية: عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥٤ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨.

٢٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

يصبحوا خوفاً^(١).

ب : وفي بعض المصادر: «وجعل المسلمون يتحارسون في
عسكرهم»^(٢).

ج : وقال النويري: «ورسول الله (ص)، والمسلمون وجاه
العدو، لا يزولون، يعتقدون خندقهم ويحرسونه. والمشركون يتناوبون
الخ...»^(٣).

ويفصل لنا الواقدي ذلك فيقول: إن المسلمين كانوا «على
خندقهم يتناوبون، معهم بضعة وثلاثون فرساً. والفرسان يطوفون على
الخندق ما بين طرفيه، يتعاهدون رجالاً وضعوهم في مواضع منه الى
أن جاء عمر (ر ض)، فقال: يا رسول الله، بلغني أن بني قريظة قد
نقضت الخ...»^(٤).

وتقدم أنه (ص) كان قد جعل للخندق أبواباً، وجعل على
الأبواب حرساً.

وقال الواقدي: «كانوا يطيفون بالليل حتى الصباح،
يتناوبون. وكذلك يفعل المشركون أيضاً، يطيفون بالخندق حتى
يصبحوا»^(٥).

«ورسول الله (ص) والمسلمون قبالة عدوهم، لا يستطيعون

(١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٧.

(٢) انساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٣.

(٣) نهاية الارب ج ١٧ ص ١٧١ و١٧٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٨.

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧.

(٥) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٧١

الزوال عن مكانهم، يعتقبون خندقهم يحرسونه»^(١).

وأسيد بن حضير كان يحرس في جماعة على الخندق أيضاً^(٢).

د: وتقول عائشة: «كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه، إذ أعجلهم الحال. وكان يخاف عليه عبور الأعداء منه. وكان النبي (ص) يختلف ويحرسه بنفسه. ثم تذكر قصة حراسة سعد بن أبي وقاص لذلك الموضع في تلك الليلة»^(٣).

وكان النبي (ص) بنفسه في الليالي يحرس بعض مواضع الخندق^(٤). وسيأتي حديث أم سلمة في ذلك في موضع آخران شاء الله تعالى.

هـ: وكان عباد بن بشر - كما يدعون - ألزم الناس لقبة رسول الله (ص) يحرسها^(٥).

وذكروا الزبير بن العوام في جملة من حرس النبي (ص) يوم الخندق^(٦).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨.

(٢) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠ وستأتي بقية المصادر حين الحديث عن القتال، وتناوب المشركين على الخندق.

(٣) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤/٤٨٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤، وتقدم حديث عائشة في ذلك.

(٥) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٤ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤.

(٦) عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٦٣ وقد أطلق كلامه في أن الزبير كان حارس النبي (ص) في الخندق وكذا في السيرة

٢٧٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

بل جاء أن عباد بن بشر، والزبير بن العوام كانا على حرس رسول الله (ص) ^(١).

وقد ظهر من بعض النصوص المتقدمة: أن المسلمين كانوا يتناوبون الحراسة ^(٢)، أو حراسة نبيهم ^(٣).

و: كان بنو واقف قد جعلوا ذراريهم ونساءهم في أطمهم. وكانوا يتعاهدون أهلهم بأنصاف النهار، فينهاهم النبي (ص)؛ فإذا ألحوا أمرهم (ص) أن يأخذوا السلاح، خوفاً عليهم من بني قريظة، فإنهم على طريقهم ^(٤).

«وكان كل من يذهب منهم إنما يسلكون على سلع، حتى يدخلوا المدينة، ثم يذهبون الى العالية» ^(٥).

وقال (ص) للنساء حين جعلهن في أطم بني حارثة: «إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف» ^(٦).

ز: حراسة العسكر ورصد العدو: .

الحلبية ج ٣ ص ٣٢٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢١٧ والغدير ج ٧ ص ٢٠٢ عنهما وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٦ وشرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩.

(٢) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠ وتقدمت نصوص أخرى أيضاً.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥.

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥١ و٤٧٤ وراجع: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٤.

(٥) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤.

(٦) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ عن الطبراني، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٧٣

أما بالنسبة لحراسة العسكر ورصد تحركات العدو، فإن القمي يقول:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل. وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق، ويصير الى قرب قريش، حيث يراههم؛ فلا يزال الليل كله، قائماً وحده يصلي، فإذا أصبح رجع الى مركزه.

ومسجد أمير المؤمنين هناك معروف، يأتيه من يعرفه، فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح الى العقيق أكثر من غلوة نشابة»^(١).

وقفات مع ماتقدم:

ونقول:

إن الحذر من العدو، وسد المنافذ في وجهه، وحرمانه من فرصة تسديد ضربة هنا وضربة هناك، بهدف ارباك صفوف الجيش الإسلامي، أو إحداث ثغرات خطيرة فيه. وهو الذي كان بأمس الحاجة الى التماسك والتقوي ببعضه البعض - إن ذلك - هو أولى مهمات القيادة الحكيمة والواعية، التي تريد أن تصل الى أهدافها بأقل قدر ممكن من الخسائر، وأعلى درجة من الانضباطية والإنسجام.

ومن الواضح: أن الأساليب الأمنية التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينتهجها كانت ولا تزال كسائر أفعاله، وأقواله، ومواقفه

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٠ عنه.

٢٧٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

مصدر إلهام، لكل المؤمنين والواعين، الذين رأوا في هذا النبي الكريم اسوة وقدوة لهم. في كل الحالات والظروف.

وقد تمثل النشاط الأمني للمسلمين في غزوة الخندق - بعد إيجاد الموانع الطبيعية، التي يصعب على العدو اختراقها مثل حفر الخندق. وتشبيك سائر المنافذ بالبنيان - في الأمور التالية: .

١ - جعل الحرس على أبواب الخندق، بطريقة يصعب على العدو إيجاد مواضع نفوذ فيها، حين جعل الحرس من فئات شتى، ومتنافسة، يرقب بعضهم بعضاً، حيث اختار من كل قبيلة رجلاً لهذه المهمة، كما تقدم بيانه.

٢ - إن من الواضح: أن جعل الحرس في نقاط ثابتة ربما يهيء للعدو فرصة للتخطيط للنفوذ الى الداخل، بطريقة يتحاشى معها الصدام بنقاط الحراسة، أو حتى امكانية التفاتها الى حقيقة ما يجري. فكانت الطريقة الأفضل والأمثل هي أن تنضم اليها دوريات للحراسة، غير خاضعة لقيد الزمان ولا المكان. الأمر الذي يضيع على العدو الإحساس بالأمن والنجاح والفلاح في أية محاولة يبادر اليها، ويقدم عليها. فكان (ص) يبعث بالحرس على المدينة خوفاً من بني قريظة، وكان يتجولون فيها، ويظهرون فيها التكبير.

٣ - بديهي أن التعرض للنساء يمثل ضربة روحية قاسية للمسلمين والمقاتلين، الذي قد يصل الى درجة الإحباط لدى البعض، ويدفع البعض الآخر الى التحرك بصورة غير واعية، ولا مسؤولة، الأمر الذي يؤثر على درجة الانضباط والتماسك.

والنبي (ص) يعرف: أن العدو لن يتأخر عن تسديد ضربة في هذا الاتجاه لو سنحت له الفرصة، ويعتبر ذلك من الأهداف

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٧٥

الإستراتيجية والهامة له. فكان تجميع النساء والأطفال في الآطام من شأنه ان يسهل امر حمايتهم من أي اعتداء، مع كونه يهيء للمسلمين جواً من الطمأنينة وتمركزاً في مواضع الاهتمام والتحرك لودهم أمر..

كما أنه لا بد من الإحتياط للأمر، وعدم الإكتفاء بالحراسة الثابتة والمتنقلة. فوضع فيما بينه وبين النساء رمزاً يمكن الاستفادة منه لإفشال أية محاولة تستهدفهن وحين يرين أن الحالة الأمنية غير مؤاتية، مع عدم وجود أحد يمكن الاعتماد عليه في المواجهة ودفع غائلة العدو.

قال (ص) لهن: «إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف».

ويلاحظ هنا: أنه (ص) قد اعتمد هذا الأسلوب، ولم يطلب منهن الصراخ والاستغاثة ونحوها مما يمثل إثارة عاطفية للمقاتلين والمسلمين، وقد ينشأ عنها حالة من التضعضع والإرباك وانشغال الخواطر الى درجة الإخلال بالنشاط الحربي المطلوب، في مواجهة أحزاب الشرك في الجهة الأخرى.

٤ - وغني عن القول أخيراً: أن بني واقف كانوا يخطئون في تردهم الى أهليهم بأنصاف النهار بلا سلاح، فقد يطمع ذلك العدو فيهم، وقد يفاجؤهم العدو وهم على غير استعداد فتقع الكارثة.

أضف الى ذلك أنه لا بد من الإبتعاد عن النساء والأطفال في أيام الحرب، لأن ذلك يثبط من عزائم المقاتلين ويشدهم الى الأرض، ويمنعهم من السمو في تفكيرهم وفي طموحاتهم وتصبح التضحيات واقتحام الأهوال، والصبر على المكاره اكثر صعوبة عليهم، وأشد وقعاً على نفوسهم، ويهيؤهم نفسياً للإبتعاد عن مواطن الخطر، أو التعب والضرر، ولو كان ذلك بتوطين أنفسهم على مواجهة عار

٢٧٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

الهزيمة، وخزي عصيان أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٥ - ونلمح في النص المتقدم اصراراً من بني واقف على زيارة نسائهم وعوائلهم في الاطم الذي كانوا فيه رغم نهى النبي (ص) لهم. وربما يكون أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بحمل السلاح يرمي الى الإيحاء غير المباشر لهم بأجواء الحرب، والاحتفاظ بدرجة من الاستعداد الروحي والنفسي لها، بالإضافة الى أن ذلك هو مقتضى العمل بالحيطة والحذر، وهما الأمران المطلوبان في ظروف كهذه بصورة أكيدة وقاطعة. ولا أقل من أن ذلك يفيد في نطاق التعليم والتأسي لكل من يأتي بعده صلى الله عليه وآله وسلم.

٦ - والأهم من ذلك هو حراسة العسكر، الذي كان يتولاه علي عليه السلام، هذا العسكر الذي كان بأمس الحاجة الى بعض الشعور بالأمن والراحة في هذه الأجواء المثقلة بالهموم والشدائد، المشحونة بالخوف الذي يصل لدى الكثيرين الى حد الرعب. حتى لقد بلغت القلوب الحناجر، وظنوا بالله الظنون الباطلة والسيئة.

وقد كانت ادنى حركة في أي موقع في أطراف ذلك العسكر كفيلة باحداث ارباك خطير في ذلك العسكر كله.

فكانت هذه الحراسة ضرورية لهذا الجيش، الذي يطمئن الى أنه لن يؤخذ والحالة هذه على حين غرة، بل هناك من يبصر له وينذره في الوقت المناسب.

٧ - وكان لا بد من رصد جيش الأعداء أيضاً، لأن حراسة المعسكر، وإن كانت تعطي قدرة الى حد ما على التصدي، إلا أن معرفة تحركات العدو، وحجمها، واتجاهها في وقت مبكر يعطي هو الآخر، فرصة أكبر للمواجهة بالأساليب وبالمستوى الملائم، ويمنع

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٧٧

من العجلة والتشويش في اتخاذ الاجراءات المؤثرة في دفع غائلة هذا العدو.

وكان علي عليه السلام، يقوم بدور الراصد لكل تحركات الأعداء، وكان هو العين الساهرة في المواقع المتقدمة في خط المواجهة. التي لم يكن ليجرؤ عليها أحد سواه، كما ظهر من تجربة المسلمين مع عمرو بن عبد ود.

٨ - وبعد، فرغم ان الله قد وفق لبقاء المسجد الذي يشهد لجهاد وتضحيات علي عليه السلام، وكان هذا المسجد معروفاً، ويقصده المؤمنون للصلاة فيه، فإننا لا نكاد نجد لعلي عليه السلام ذكراً في هذا المجال.

ولا ندري إن كان هذا المسجد قد استطاع ان يصمد طويلاً أمام حقد الحاقدين على كل ما يمت لعلي وأهل بيته بصلة، حتى انتهى ميراث هذا التجني الوقح والغبي الى من يطلق عليهم اسم: الوهابيين الذين لا تزال تظهر في كلماتهم وفي أفعالهم بوادر كثيرة تدل على حقد وكراهية وامتهان، ليس فقط لقدسية علي وأهل البيت عليه وعليهم السلام، بل وحتى لمقام النبوة الأقدس بالذات.

وقد أسلفنا بعضاً مما يشير الى ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب. ولا بأس بمراجعة الجزء الثالث من كتابنا دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام، بحث: ادارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم.

فضائل موهومة لسعد ولعائشة:

رووا عن عائشة ما ملخصه: إنه كان في الخندق موضع لم

٢٧٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

يحسنوا ضبطه، إذ أعجلهم الحال، وكان (ص) يختلف إليه ويحرسه بنفسه، خوفاً من عبور المشركين منه.

ورجع مرة من الخندق. وكانت تدفئه عائشة في حضنها. فإذا دفيء خرج الى تلك الثلمة.

قالت: فبينما رسول الله في حضني قد دفيء، وهو يقول: ليت رجلاً صالحاً يحرس الليلة هذا الموضع (أو قال: يحرسني. أو: يحرس هذه الثلمة الليلة)؛ إذ سمع قعقة السلاح، فقال: من هذا؟! هذا!

قال: سعد بن أبي وقاص.

فأمره أن يحرس هذا الموضع: فذهب سعد يحرسه، فنام النبي (ص) حتى نفخ. وكان اذا نام نفخ^(١).

ونقول:

إننا نشك في صحة هذه القصة، ونعتقد أن المقصود بها هو تسجيل فضيلة لسعد، ولعائشة على حد سواء. وسبب شكنا هو ما يلي:

أولاً: اذا كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه، فلماذا لا يبادرون الى ضبطه، وما المبرر لأن يترك ليكون مصدر خوف للمسلمين من عبور المشركين منه.

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤/٤٨٥. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٩/٢٣٠.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٧٩

مع أن سلمان حين رأى مكاناً يمكن أن تطفره الخيل، قال لأسيد بن حضير، بعد أن ردوا عمرو بن العاص الذي كان في حوالي مئة رجل يريدون العبور من ذلك الموضع، قال سلمان لاسيد:

«إن هذا مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف تطفره خيلهم، وكان الناس عجلوا في حفره. وبادروا فباتوا يوسعونه، حتى صار كهية الخندق. وأمنوا أن تطفره خيلهم»^(١).

فلماذا يبادر سلمان للأمر باصلاح ذلك الموضع، فيتم ما أراده في ليلة، ولا يبادر النبي (ص) الى مثل ذلك؟!

وثانياً: لماذا يتمنى (ص): «أن يأتي رجل صالح ليحرس ذلك الموضع في تلك الليلة» ألم يكن بإمكانه أن يأمر جماعته بحراسة ذلك الموضع؟! والناس كلهم تحت امره، ورهن إشارته؟!

وثالثاً: حين كان يرجع الى عائشة لتدفئه في حضنها!! من الذي كان يحرس تلك الثلمة؟! فلو أن العدو استطاع أن يتسلل منها في ذلك الوقت ألم يكن النبي (ص) هو الذي فرط في هذا الأمر، وتسبب به؟!

ولا نريد أن نسجل تحفظنا على دعوى: أن عائشة كانت تدفئ النبي (ص) في حضنها!!.

ولا على حديث: أنه (ص) نام حتى نفخ. وكان اذا نام نفخ!!

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠.

٢٨٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

نساء النبي في غزوة الخندق:

يقول البعض: «كان النبي يعقب بين نسائه، فتكون عائشة أياماً. ثم تكون أم سلمة. ثم تكون زينب بنت جحش.

فكان هؤلاء الثلاث اللاتي يعقب بينهن في الخندق. وسائر نسائه في أطم بني حارثة، ويقال: كن في «المسير» (النسر) أطم في بني زريق، وكان حصناً. ويقال: كان بعضهن في فارغ، وكل هذا قد سمعنا»^(١).

ونقول: .

إننا نشك في صحة ذلك.

أولاً: لقد صرحت أم سلمة بقولها: «كنت مع رسول الله (ص) في الخندق فلم أفارق مقامه كله. وكان يحرس الخ...»^(٢).

وثانياً: لا يمكننا أن نقبل بأن يصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترجيح وميل لبعض زوجاته على حساب البعض الآخر، إذ لماذا يعقب بين خصوص هؤلاء: دون سائر زوجاته.

ولم نسمع أن احداً من تنازلت عن حقها لرفيقاتها في غزوة الخندق، وإن كان ذلك محتملاً في حد ذاته.

والذي نظنه: أنه لو صح حديث ذلك البعض، فالسبب في ذلك هو أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن عنده سوى هؤلاء الثلاث،

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤

ص ٥١٨ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٤.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٨١

بالإضافة الى سودة بنت زمعة، التي كانت مسنة، وكانت قد وهبت ليلتها الى عائشة. فلا بد من مراجعة تاريخ زواجه (ص) بزوجاته. ونظن أن النتيجة ستكون هي ما ذكرناه. فمن أراد التوسع فعليه أن يقوم بذلك.

المواجهة بين الفريقين:

«وأمر رسول الله صلوات الله عليه وآله المسلمين بالثبات في مكانهم، ولزوم خندقهم... ونظر المشركون الى الخندق فتهيؤوا القدوم عليه؛ فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم، وخيلهم، ورجلهم. ويدعون المسلمين: .

ألا هلم للقتال والمبارزة.

فلا يجيبهم أحد الى ذلك. ولا يرد عليهم فيه شيئاً، ولزموا مواضعهم كما أمرهم رسول الله صلوات الله عليه وآله؛ قد عسكروا في الخندق، وأظهروا العدة، ولبسوا السلاح. ووقفوا في مواقعهم. وتهيب المشركون أن يلجوا الخندق عليهم.

فلما طال ذلك، ونفذت أكثر أزوادهم، اجتمعوا الخ^(١).

ثم يذكر ما جرى لعمر بن عبد ود.

القتال بين المسلمين والمشركين:

تقول النصوص التاريخية.

(١) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٢ ملخصاً.

٢٨٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

«وصار المشركون يتناوبون؛ فيغدو أبو سفيان في أصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً، ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً، ويغدو ضرار بن الخطاب يوماً؛ فلا يزالون يجيلون خيلهم، ويفترقون مرة، ويجتمعون أخرى، ويناوشون أصحاب رسول الله (ص)، أي يقربون منهم، ويقدمون رجالهم فيرمون.

ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة.

ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصا^(١)». وذكر البعض: أن ذلك كان في أكثر الأيام^(٢).

«وكان المشركون يتناوبون الحرب، لكن الله تعالى لم يمكنهم من عبور الخندق؛ فإن شجعان الصحابة كانوا يمنعونهم بالنبال والأحجار^(٣) واستمر الأمر على ذلك «حتى عظم البلاء، وخاف الناس

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥. وراجع: نهاية الارب ج ١٧ ص ١٧٢ / ١٧١ وراجع المصادر التالية: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠ و ٢٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨ وعبون الأثر ج ٢ ص ٥٨.

والفقرة الأخيرة موجودة أيضاً في المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وحدثنا الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ والإرشاد للشيخ المفيد ص ٥١ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٠ و ٢٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٧ عن ابن اسحاق.

(٢) حبيب السير ج ١ ص ٣٦٣.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٨٣
خوفاً شديداً»^(١).

لكن البعض يذكر: أن الحرب كانت «ثلاثة أيام بالرمي بغير
مجالدة ولا مبارزة»^(٢) سوى ما كان من قتل الفرسان الذين عبرو
الخنديق.

وكان أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق، فراماهم
المسلمون حتى رجعوا^(٣).

وفي مرة أخرى: كان عمرو بن العاص في نحو المائة يريدون
العبور من الخندق من مكان تطفره الخيل، فراماهم أسيد بن حضير،
ومن معه من الحرس بالنبل والحجارة حتى ولّوا.

وكان مع المسلمين في تلك الليلة سلمان، فقال لأسيد: إن هذا
مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف تطفره خيلهم. وكان الناس
عجلوا في حفرة.

وبادروا فباتوا يوسعونه، حتى صار كهيئة الخندق، وأمنوا أن
تطفره خيلهم^(٤).

«وكان عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد كثيراً ما يطلبان غرة

-
- (١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨.
(٢) راجع: مرآة الجنان ج ١ ص ١٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ وبهجة
المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ وراجع: تاريخ
اليقوي ج ٢ ص ٥٠.
(٣) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠.
(٤) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠.

٢٨٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
ومضيقاً، من الخندق يقتحمانه، فكان للمسلمين معهما وقائع في تلك
الليالي^(١).

وقال ضرار بن الخطاب:
نراوهم ونغدو كل يوم عليهم في السلاح مدججينا^(٢)
«ثم إن خالد بن الوليد كثر بطائفة من المشركين، يطلب غرة
للمسلمين، أي غفلتهم؛ فصادف أسيد بن حضير على الخندق في
مائتين من المسلمين، فناوشوهم. أي تقاربوا منهم ساعة، وكان في
أولئك المشركين وحشي، قاتل حمزة رضي الله عنه؛ فزرق الطفيل بن
النعمان، فقتله.

ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل، يطمعون
في الغارة، أي في الإغارة فأقام المسلمون في شدة من
الخوف^(٣).

لكن صاحب تجارب الأمم يقول. تفرق ذلك الجمع من غير
قتال إلا ما كان من عدة يسيرة اتفقوا على الهجوم على الخندق،
يحكى: ان فيهم عمرو بن عبد ود فقتلوا^(٤).

إلا أن يكون المراد: أنه لم يكن قتال بالسيوف والرمح، أما
الرمي بالنبل والحصا فليس محط نظره.

-
- (١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥
والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٦.
(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.
(٤) تجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٣.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٨٥

ملاحظة:

وقبل أن نمضي في الحديث نلفت نظر القارىء الى هذا الإهتمام الظاهر بإبراز دور اسيد بن حضير، الذي قلنا: إن السياسة كانت تهتم بشأنه، وتعمل على تكريس وتكديس الفضائل له، مكافأة له على هجومه على بيت فاطمة، وقيامه بدور فاعل في تشييد خلافة قريبه أبي بكر.

كلام العلامة الحسني:

وذكر العلامة الحسني: أن المشركين الفوا ثلاثة كتائب لمحاربة المسلمين، فأتت كتيبة أبي الأعور السلمي من فوق الوادي، وكتيبة عيينة بن حصن من الجنب، ووقف أبو سفيان ومن معه في الناحية الثانية من الخندق^(١).

لكننا قدمنا في فصل: الأحزاب الى المدينة: أن أبا الأعور لم يكن له أي دور في الخندق. وأن أباه هو الذي شارك فيها.

روايات مشبوهة

عن محمد بن مسلمة قال: كنا حول قبة رسول الله (ص) نحرسه، ورسول الله (ص) نائم نسمع غطيظه اذ وافت أفراس على سلع، فبصر بهم عباد بن بشر، فأخبرنا بهم. قال: فأمضي الى الخيل. وقام عباد على باب قبة النبي (ص) آخذاً بقائم السيف ينظرني. فرجعت فقلت: خيل المسلمين أشرفت عليها سلمة بن اسلم بن

(١) سيرة المصطفى ص ٤٩٩.

٢٨٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

حريش، فرجعت الى موضعنا.

ثم يقول محمد بن مسلمة: كان ليلنا بالخندق نهراً حتى فرجه الله^(١).

وعن محمد بن مسلمة: أن خالد بن الوليد تلك الليلة أقبل في مئة فارس، من جهة العقيق حتى وقفوا بالمزاد وجاء قبة النبي (ص) فنذرت بالقوم؛ فقلت لعباد بن بشر - وكان على حرس قبة النبي (ص) وكان قائماً يصلي - أتيت، فركع، ثم سجد. وأقبل خالد في ثلاثة نفر هو رابعهم، فأسمعهم يقولون: هذه قبة محمد، إرموا. فرموا، فناهضناهم حتى وقفنا على شفير الخندق، وهم بشفير الخندق من الجانب الآخر.

فترامينا، وثاب إلينا أصحابنا، وثاب إليهم أصحابهم، وكثرت الجراحة بيننا وبينهم.

ثم اتبعوا الخندق على حافتيه وتبعناهم، والمسلمون على محارسهم. فكلما نمر بمحرس نهض معنا طائفة، وثبت طائفة، حتى انتهينا الى راتج؛ فوقفوا وقفة طويلة، وهم ينتظرون قريظة، يريدون أن يغيروا على بيضة المدينة، فما شعرنا إلا بخيل سلمة بن اسلم يحرس. قد أتت من خلف راتج. فلاقوا خالدًا فاقتتلوا واختلطوا؛ فما كان إلا حلب شاة حتى نظرت الى خيل خالد مولية. وتبعه سلمة بن اسلم حتى رده من حيث جاء.

فأصبح خالد وقريش وغطفان تزري عليه وتقول: ما صنعت شيئاً في من في الخندق، ولا في من أصحر لك.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٨٧

فقال خالد: أنا أقعد الليلة، وإبعثوا خيلاً حتى انظر أي شيء تصنع»^(١).

ونقول:

إن هذه الرواية موضع ريب وشك، لأن إصهار سلمة بن اسلم ومن معه لخالد ومن معه واختلاطهم بهم يصعب تصديقه، لأن عبور سلمة وأصحابه إلى الجانب الآخر من الخندق أو مجيئهم من خلف راتج، من طرف الخندق، إلى جهة المشركين ينطوي على مخاطرة كبرى لما فيه من تعريض أنفسهم للإبادة الحتمية على يد ألوف المقاتلين من المشركين الذين كانت تعج بهم المنطقة.

ويلفت نظرنا هنا: أن الرواية لم تشر إلى مبادرة خالد لمطالبة هذه الجماعة القليلة، ثم طلب المدد من الجيش الذي هو أحد قواده. وقد كان عليه أن ينتهزها فرصة ذهبية نادرة ليلحق بالمسلمين نكبة هائلة ومروعة.

ثم إن تلك الرواية قد تحدثت عن أن خالداً كان في مئة فارس، ولكنه حين أراد أن يرمي قبة النبي (ص) كان في ثلاثة نفر هو رابعهم.

وحين ترامى خالد وأصحابه، ومحمد بن مسلمة وأصحابه أين كان عنه أصحابه، حتى يقول الراوي - وهو محمد بن مسلمة - وثاب إلينا أصحابنا، وثاب إليهم أصحابهم.

وما معنى قوله: ثم اتبعوا الخندق على حافتيه وتبعناهم. فهل كان خالد وأصحابه على حافتي الخندق، الأمر الذي يعني أن خالداً ومن معه قد عبروا الخندق إلى جهة المسلمين، أو العكس.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٦.

٢٨٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

ثم إننا لا ندري مدى صحة هذه الرواية التي لم يروها لنا إلا محمد بن مسلمة، الرجل الذي كانت تهتم السلطة في اعطائه الأدوار الحساسة، لأنه كان من أعوانها. ولكن الغريب في الأمر: أننا نجد المؤرخين لم يعيروا هذه الرواية أي اهتمام رغم أهمية وحساسية المعلومات التي تدعيها فيما يرتبط بحرب الخندق.

دعوى قتل طليعة للنبي:

وعن مالك بن وهب الخزاعي: أن رسول الله (ص) بعث سليطاً وسفيان بن عوف الأسلمي طليعة يوم الأحزاب، فخرجا حتى اذا كانا بالبيداء التفت عليهما خيل لأبي سفيان؛ فقاتلا حتى قتلا؛ فأتي بهما رسول الله (ص)، فدفنا في قبر واحد.

فهما الشهيذان القرينان^(١).

ونحن نشك في صحة ذلك. لما يلي:

أولاً: بالنسبة لسنده، قال البزار: «لا نعلم روى مالك إلا هذا»^(٢).

وقال: الهيثمي: «فيه جماعة لم أعرفهم». وقريب من ذلك عند

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٤ وكشف الاستار عن مسند البزار ج ٢ ص ٣٣٢/٣٣٣ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٥ واسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٧ عن أبي نعيم وأبي موسى والاصابة ج ٣ ص ٣٥٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٥.

(٢) كشف الاستار عن مسند البزار ج ٢ ص ٣٣٣.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٨٩ العسقلاني^(١).

وثانياً: إن من الواضح: أن سفيان بن عوف الأسلمي وهو الغامدي، هو الذي كان يغير على أطراف علي، ويرتكب الجرائم، ويهتك الحرمات، وقد ذكره أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وان اخا غامد إلخ.». وكان من قواد معاوية الاساسيين، وكان يعظمه. وقد مات سنة اثنتين أو ثلاث، أو أربع وخمسين^(٢).

ولنا أن نحتمل أن تكون دعوى صحابية سفيان هذا قد جاءت لأجل اعطائه بعض المصونية والشأن الرفيع، حفاظاً على سيده معاوية من جهة، وإضعافاً لموقف علي من جهة ثانية، وتبريراً لمواقفه المخزية، وجرائمه الخطيرة التي ارتكبها بحق المسلمين الذين اغار عليهم وقتلهم، وهتك حرمتهم من جهة ثالثة.

حديث أم سلمة

عن أم سلمة قالت: كنت مع رسول الله (ص) في الخندق، فلم أفارقه مقامه كله. وكان يحرس بنفسه في الخندق. وكنا في قر شديد، فأني لأنظر اليه قام فصلى ما شاء الله أن يصلي في قبته، ثم خرج فنظر ساعة، ثم قال: هذه خيل المشركين تطيف بالخندق، من لهم؟

ثم نادى: يا عباد بن بشر.

قال: لبيك.

(١) مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٥ والاصابة ج ٣ ص ٣٥٨.
(٢) راجع: الاصابة ج ٢ ص ٥٦ وراجع: تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٨٣ - ١٨٥ وغير ذلك من كتب التراجم.

٢٩٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

قال: أمعك أحد؟.

قال: نعم، أنا في نفر من أصحابي حول قبلك.

قال: فانطلق في أصحابك، فأطف بالخندق؛ فهذه خيل المشركين تطيف بكم، يطمعون أن يصيبوا منكم غرة. اللهم ادفع عنا شرهم، وانصرنا عليهم. واغلبهم، لا يغلبهم غيرك.

فخرج عباد في أصحابه، فإذا هو بأبي سفيان في خيل المشركين يطيفون بمضيق الخندق؛ فرماهم المسلمون بالحجارة والنبل، فرجعوا منهزمين.

ثم جاء عباد إلى النبي فوجده يصلي، فأخبره: قالت أم سلمة: فنام حتى سمعت غطيطة^(١).

ويستوقفنا في هذا الحديث:

١ - قول أم سلمة أنها كانت مع رسول الله في غزوة الخندق. وأنها لم تفارقه فيها أصلاً. وهذا يكذب ما يقوله البعض: من أنه (ص) كان يعقب بينها وبين عائشة وزينب بنت جحش.

٢ - عبارة أم سلمة: فنام حتى سمعت غطيطة. لا ندري مدى صحة حصول الغطيطة منه (ص)، ونحن نتوقع منه خلاف ذلك. فإن الغطيطة من المنفرات التي ينتزه عنها النبي.

٣ - قولها: وكنا في قر شديد. قد تقدم في الفصل الأول ما يوجب الشك في هذا الأمر.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٤. ولا بأس بمراجعة: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ و ٥٣٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ و امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٣٠.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٩١

٤ - لا ندري كيف لم يلتفت عباد بن بشر ومن معه الى خيل المشركين وهي تطيف بالخندق، وكيف رآها النبي (ص) دونهم؟
فهل علم (ص) ذلك عن طريق الوحي؟! إن ظاهر الرواية هو أنه (ص) علم ذلك بواسطة عينه الباصرة.

٥ - أين كان سائر المسلمين عن حراسة خندقهم، ألم يكونوا يتناوبون عليه يحرسونه، ويطوفون به.

لكن ذلك لا يعني أن تكون الرواية كاذبة من أساسها، فلعل النبي (ص) قد نبه المسلمين لمحاولة تسلل من المشركين لم يكونوا قد التفتوا اليها، لإنشغالهم بحديث فيما بينهم.

حديث آخر ينسب لأم سلمة:

عن أم سلمة قالت: والله، إني لفي جوف الليل في قبة النبي (ص)، وهو نائم، الى أن سمعت الهيعة، وقائل يقول: يا خيل الله (وكان رسول الله قد جعل شعار المهاجرين: يا خيل الله) ففزع (ص) بصوته، وخرج من القبة، فإذا نفر من الصحابة عند قبته يحرسونها منهم عباد بن بشر. فقال (ص) ما بال الناس؟

قال عباد: يا رسول الله هذا صوت عمر بن الخطاب، الليلة نوبته، ينادي: يا خيل الله، والناس يثوبون اليه، وهو من ناحية حسيكة، ما بين ذباب ومسجد الفتح.

فأمر (ص) عباداً أن يأتيه بالخبر. فذهب ثم رجع الى النبي (ص) فقال: يا رسول الله، هذا عمرو بن عبد في خيل المشركين، معه مسعود بن رخيعة في خيل غطفان، والمسلمون

٢٩٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
يرامونهم بالنبل والحجارة.

قالت: فدخل (ص) فلبس درعه ومغفره وركب فرسه، وخرج معه أصحابه، حتى أتى تلك الثغرة، فلم يلبث ان رجع وهو مسرور، فقال: صرفهم الله، وقد كثرت فيهم الجراحة.

ثم دخل (ص) فنام، فسمعوا هائلة أخرى، فانتبه (ص) فأخبروه أنه ضرار بن الخطاب فلبس (ص) درعه ومغفره وركب فرسه الى تلك الثغرة، وعاد في وقت السحر، وهو يقول: رجعوا مفلولين قد كثرت فيهم الجراحة^(١).

ونقول:

قد يمكن للبعض أن يشكك في صحة هذه الرواية، على اعتبار: أن الروايات الأخرى قد تحدثت عن هزيمة عمر بن الخطاب أمام ضرار، وأنه كاد أن يقتله، ثم كف عنه، لأنه كان لا يقتل قرشياً قدر عليه، كما سيأتي.

كما أن الطبري وغيره يذكرون: أنه قد اختبأ هو وطلحة وغيرهما في بستان إبان حرب الخندق. كما سيأتي عن قريب.

ولكن هذا التشكيك يمكن دفعه بأن عمر لم يواجه حرباً بنفسه هنا، بل واجهها بغيره، أي بواسطة المسلمين الذين تصدوا للمشركين، وليس بالضرورة أن يصل به الرعب والخوف الى حد الهزيمة من ساحة الحرب، حتى حين يكون المتحاربون هم الآخرون.

غير أن ما يلفت نظرنا هنا هو ما نراه بوضوح من محاولات

(١) راجع المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٦ و ٤٦٧ و راجع امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٠ و ٢٣١ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٩٣

جادة لإيجاد دورٍ ما لأشخاص بأعيانهم، كان لهم دور سلطوي بعد وفاة رسول الله (ص)، أو دور في تركيز دعائم السلطة بعده (ص) أو مناوأة آل أبي طالب بشكل أو بآخر. فنجد الإهتمام بإبراز دور ما لأبي بكر، ولعمر، ولزبير، ولمحمد بن مسلمة، ولسلمة بن اسلم، وعباد بن بشر، وسعد بن أبي وقاص، وأسيد بن حضير.

والمطلع على تاريخ هؤلاء يجد أنهم كانوا على العموم من المناوئين لعلي وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ومنهم من هو من أركان الحكم وأعوانه، أو من المشاركين في الإعتداء على الزهراء، حين قيامهم بعدة هجمات على بيتها صلوات الله وسلامه عليها.

إصابة سعد بن معاذ بسهم:

ويذكر المؤرخون: أنه كان للمشركين رماة يقدمونهم إذا غدوا متفرقين، أو مجتمعين بين أيديهم وهم حبان بن العرقه، وأبو أسامة الجشمي في آخرين.

فتناوشوا يوماً بالنبل ساعة، وهم جميعاً في وجه واحد، وجاءه قبة رسول الله (ص). ورسول الله (ص) قائم بسلاحه على فرسه؛ فرمى حبان بن العرقه سعد بن معاذ بسهم، فأصاب أكحله. وقال: خذها وأنا ابن العرقه. فقال رسول الله (ص): عرق الله وجهك بالنار (أو قال له سعد نفسه ذلك). ويقال: بل رماه أبو أسامة الجشمي، وقيل: خفاجة بن عاصم^(١).

(١) راجع النص المتقدم في امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣١ و٢٣٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨ و٤٦٩ وراجع قسماً مما تقدم في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧

٢٩٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وقال سعد: اللهم إن ابقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها؛ فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك، وأخرجوه وكذبوه. اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم؛ فاجعلها لي شهادة، ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة.

وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية^(١).

والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠ وراجع ص ٢٤١ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥١ واعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٦/٢٠٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وأنساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٧ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٠ و١٧١ ودلائل النبوة ص ٤٣٦ والعبر وديوان المتبدا والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٤١ و ٤٤٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٧ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٨ و ٢٣٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٠٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ ودلائل النبوة ص ٤٣٦ والعبر وديوان المتبدا والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٠ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ وسير اعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨١ و ٢٨٢ وراجع مسند أحمد ج ٦ ص ١٤١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وصحيح البخاري ج ٣

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٩٥

أضاف البعض هنا قوله: فلما قال سعد ما قال إنقطع الدم^(١).

حديث عائشة حول سعد:

وتقول عائشة - كما روي - إن ابن معاذ مر عليها، وهي في الحصن، حصن بني حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة - وذلك قبل أن يفرض علينا الحجاب^(٢) - وعليه درع مقلصة قد خرجت منها أذرعها كلها. وفي يده حربة يَرْقُدُ (يرقل) بها، وهو يقول:

لبث قليلاً يشهد الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

فقال له أمه: الحق بني فقد - والله - أخرجت.

فقال لها عائشة: والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي عليه. قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه.

فقال أم سعد: يقضي الله ما هو قاض.

فقضى الله أن أصيب يومئذ^(٣).

ص ٢٣.

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٢٨ وج ٣ ص ٤٤١.

(٢) هذه العبارة ذكرها الواقدي، والديار بكري، وابن سيد الناس، وابن هشام، وابن كثير، والكلاعي، وابن اسحاق والبيهقي فراجع/الهامش التالي.

(٣) راجع فيما تقدم - وإن اختلفت في بعض الألفاظ - المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٩ والسير النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٦٥ و٢٦٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢

٢٩٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

ونقول:

إننا نرجح أن يكون أبو أسامة الجشمي هو الذي قتل ابن معاذ، وذلك.

أولاً: لأن بعض المصادر تذكر لأبي أسامة الجشمي أبياتاً فيها أنه هو الذي رمى سعداً فأصابه، فقد قال مخاطباً عكرمة، ومشيراً إلى قتله سعداً:

اعكرم هلا لمتني اذ تقول لي فداك بآطام المدينة خالد
الست الذي ألزمت سعداً مريشة لها بين أثناء المرافق عائد
قضى نحبها منها سعيداً فأعولت عليه مع الشمط العذارى النواهد

الآيات^(١).

ثانياً: ذكرت الروايات: أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يوم أحد حبان بن العرقه بسهم فوقع في ثغرة نحره (أو في نحره) فوقع على ظهره وبدت عورته، فضحك (ص) حتى بدت نواجذه.

فهل عاش حبان من جديد؟ أو لم يمت من سهم أصابه في نحره!! - وعاش - حتى رمى سعد بن معاذ في اكحله في الخندق^(٢)؟.

ص ٢٤٠ والروض الأنف ج ٢ ص ١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٠/ ٤٤١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٩ وسير اعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٢ و٦٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٧.

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨.

(٢) امتاع الاسماع ج ١ ص ١٣٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧ و٢٢٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٢٠١ ط دار الكتب العلمية.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٩٧

إلا أن تكون قصة أحد قد صنعها محبوا سعد بن أبي وقاص لإثبات فضيلة له، وذلك عن هؤلاء غير بعيد، فقد رأيناهم يفعلون ذلك في كثير من المواضع. ثم سرعان ما ينسيهم الله ذلك، فتظهر الحقيقة على ألسنتهم من جديد، ويكذبون أنفسهم من حيث لا يشعرون.

الإختلاف في من قتل سعد بن معاذ:

وأما الاختلاف في قاتل سعد بن معاذ؛ فهو يعود - فيما يظهر لنا - إلى أن اللذين كانوا يرمون باتجاه سعد والمسلمين كانوا أكثر من واحد، فاختلفت السهام، واستطاع كل منهم أن يدعي لنفسه؟ أنه تمكن من قتل سيد قبيلة الأوس في المدينة وهو - باعتقادهم - شرف عظيم أراد كل منهم أن يخص نفسه به. مع أنه في الحقيقة غاية الخزي والعار، لو كانوا يعلمون.

سعد في خيمة رفيدة:

وأمر (ص) بنقل سعد حينما جرح إلى خيمة رفيدة، التي كانت أقامتها في مسجد النبي (ص) لمداداة الجرحى. زاد القمي قوله: وكان يتعاهده بنفسه^(١).

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٧٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٥٠ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٧ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٢ عن البغوي والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٦ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٢١ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٩١.

والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٣٣ وتاريخ الاسلام للذهبي

٢٩٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ونستفيد من ذلك: إمكانية أن تتولى المرأة مداواة الجرحى.
وقد تحدثنا عن ذلك بشيء من التفصيل في كتابنا: الآداب الطبية في
الاسلام، فنحن نرجع القارئ الذي يريد التوسع إليه.

إصابة أبي بن كعب في اكحله:

وتذكر بعض الروايات عن جابر: أن أبي بن كعب، رمي يوم
الأحزاب على اكحله؛ فكواه رسول الله (ص). وعنه، أي عن جابر:
بعث رسول الله (ص) الى أبي بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً، ثم كواه
عليه^(١).

ونحن نتساءل عن السبب الذي لم يقدم لأجله النبي على معالجة
سعد بن معاذ، بهذه الطريقة حتى يشفى. أم أنه عالج، لكن لم يفده
العلاج لأن جراحته تختلف عن جراحة أبي؟!

هل فرّ عمر وطلحة في غزوة الخندق؟

والذي يشير فينا العجب هنا أننا نجد عائشة تروى لنا ما يدل على

(الغازي) ص ٢٦٧ وسير اعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢
ص ٢٣٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٧ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٨ وبحار
الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣٢ والاستيعاب بهامش الإصابة ج ٤ ص ٣١١
والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٨٧ والتراتب الادارية
ج ٢ ص ١١٣ و ج ١ ص ٤٦٢ و ٤٥٣ / ٤٥٤ والإصابة ج ٤ ص ٣٠٢ و ٣٠٣
عن ابن اسحاق، وعن البخاري في الأدب المفرد. وفي التاريخ بسند
صحيح والمستغفري، وأبي موسى.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ عن مسلم. كذا في المشكاة.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٢٩٩

فرار جماعة من الصحابة في حرب الخندق، واختبائهم في حديقة هناك. قال الطبري: «حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا محمد بن بشر، قال حدثنا محمد بن عمرو. قال: حدثني أبي عن علقمة، عن عائشة قالت:

خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، فوالله إني لأمشي إذ سمعت وئيد الأرض خلفي - يعني حسّ الأرض - فالتفت فإذا أنا بسعد، فجلست الى الأرض، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس - شهد بدرًا مع رسول الله (ص)، حدثنا بذلك محمد بن عمرو - يحمل مجته، وعلى سعد درع من حديد، قد خرجت أطرافه منها. قالت: وكان من أعظم الناس وأطولهم.

قالت: فأنا أتخوف على أطراف سعد؛ فمربي، يرتجز ويقول:
لبث قليلاً يدرك الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت: فلما جاوزني قمت، فافتحمت حديقة فيها نفر من المسلمين، فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة له - قال محمد: والتسبغة: المغفر لا ترى الا عيناه - فقال عمر: إنك لجريه، ما جاء بك؟ ما يدريك؟ لعله يكون تحوّز، (تحرف) أو بلاء.

فوالله ما زال يلومني حتى وددت أن الأرض تنشق لي فأدخل فيها، فكشف الرجل التسبغة عن وجهه؛ فإذا هو طلحة.

فقال: إنك قد اكثرت. أين الفرار، وأين التحوّز (التحرف) إلا الى الله عز وجل^(١).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٥ و٤٣٦
وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٦٦ وسير اعلام النبلاء ج ١

٣٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ونقول:

إن طلحة يتضايق من جهر عمر بالفرار أمام عائشة. ثم لما رأى أنه يكرر ذلك لها. يستنكر أن يكون هذا فراراً، ويعتبره فراراً إلى الله عز وجل.

ونلفت النظر هنا: إلى تجاهل جل المؤرخين لهذه الرواية، رغم أنهم يرون في الطبري المثل الأعلى لهم، وهم ينقلون عنه ويعتمدون عليه. ولعله هو بالإضافة إلى سيرة ابن هشام، يأتي على رأس القائمة في أي مراجعة للسيرة، أو تسجيل أي حدث، أو موقف منها.

كما أننا لا نستبعد: أن تكون هذه هي القضية الصحيحة، لا قضية عائشة مع أم سعد.

ثم إننا لا ننسى أن نسجل هنا تساؤلاً يبقى حائراً، وهو أنه كيف سوغت عائشة لنفسها أن تخرج من الحصن الذي وضعها النبي (ص) فيه، مع خطورة الموقف وحساسيته المتناهية، ومع عدم إذن النبي (ص) لها بذلك، إذ لو كانت مأذونة منه (ص) لأحتجت به على عمر، ولم تصبر على هذا التقريع المرّ الذي واجهها به، حتى إنها لتود أن تنشق لها الأرض، فتدخل فيها.

ولعل مما يؤيد فرار الكثيرين يوم الخندق: ما سيأتي في حديث حذيفة حينما أرسله النبي (ص) لكشف خبر قريش، حيث ذكر أنه لم يبق مع النبي سوى اثني عشر رجلاً فقط^(١).

ص ٢٨٤ والطبقات الكبرى ج ٣ قسم ٢ ص ٣ وكنز العمال ج ١ ص ٢٨٠
عن ابن عساكر.

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣١ وتلخيصه للذهبي بهامشه وصحاحه ودلائل

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣٠١

والرواية الأخرى تقول: إن الناس تفرقوا ولم يبق من العسكر غير ثلاثة مئة^(١).

من بطولات سعد:

ويقولون: «كان يوم الخندق رجل من الكفار معه ترس، وكان سعد رامياً. وكان الرجل يقول كذا وكذا بالترس، يغطي جبهته، فنزع له سعد بسهم، فلما رفع رأسه رماه سعد لم يخطيء هذه منه، يعني جبهته، فانقلب وأشال برجله، فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه، يعني من فعله بالرجل»^(٢).

ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك.

أ: إن الذين قتلوا من المشركين معروفون. وستأتي أسماؤهم، واسماء الذين قتلوهم. وهم عمرو بن عبد ود، وولده حسل. وقد قتلها علي أمير المؤمنين عليه السلام. ونوفل بن عبد الله، قتله علي عليه السلام أيضاً، وقيل. بل قتله الزبير، وسيأتي أنه غير صحيح. ومنبه بن عثمان، أو عثمان بن أمية بن منبه. أصابه سهم غرب فمات منه بمكة. وسيأتي ذلك مع مصادره في الفصل الأخير من هذا الباب.

فأين ذلك الرجل الذي قتله سعد بسهم؟!.

النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٠ و ٤٥١ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٩ / ٢٥٠.

(١) سيأتي ذلك في الفصل الأخير من هذا الباب.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ عن الترمذي في الشمائل.

٣٠٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

إلا أن يقال: إنه قد أصابه في جبهته، وانقلب وأشال برجله، لكنه لم يمت.

ب: إن هذه الرواية هي - تقريباً - نفس الحكاية التي تحكى لسعد مع حبان بن العرقعة في غزوة أحد. إلا أنها ذكرت: أن هذا كان يتلاعب بترسه، فرماه سعد في جبهته.

وقد أشرنا غير مرة الى أننا نجد اهتماماً خاصاً بتسطير الفضائل لسعد لتعويضه عن فراره في المواطن. ولرد الجميل له على مواقفه المؤيدة للسلطة التي اغتصبت مقام الخلافة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. وقد أشرنا الى ذلك في غزوة أحد حين الكلام عن بطولات سعد الموهومة، فراجع.

بطولات وهمية للزبير:

روى البيهقي من طريق حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، قال:

جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم (يعني حصناً) ومعي عمر بن أبي سلمة؛ فجعل يطأطيء لي؛ فأصعد على ظهره؛ فأنظر اليهم كيف يقتتلون. وأطأطيء له فيصعد فوق ظهري؛ فينظر.

قال: فنظرت الى أبي، وهو يحمل مرة هاهنا، ومرة هاهنا، فما يرتفع له شيء إلا أتاه.

فلما أمسى جاءنا الى الأطم. قلت: يا أبة، رأيتك اليوم وما تصنع.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣٠٣

قال: ورأيتني يا بني؟^{١٩}.

قلت: نعم.

قال: أما إن رسول الله قد جمع لي أبويه. قال: فداً لك أبي وأمي^(١).

ونقول:

قد قدمنا في فصل: غدر بني قريظة: أن عبد الله بن الزبير كان آنئذٍ طفلاً صغيراً جداً، ولم يكن بحيث يمكن أن يصدر منه ذلك فقد كان عمره أقل من سنتين على ما يظهر - فراجع ما قدمناه.

هذا بالإضافة الى أننا لم نفهم معنى لما يدعيه ابن الزبير من حملات لأبيه هنا، وحملات هناك، ونحن نعلم أن ذلك لم يحدث في الخندق، بل الذي كان هو المراماة بالنبل والحصا في بعض الأحيان. أما قضية المبارزة فإنما كانت بين علي وعمرو بن عبد ود، كما سيأتي.

هذا بالإضافة الى أن هذا الحديث زبيري سنداً وممتناً، ولم نجد من روى لنا هذه المواقف البطولية للزبير في حرب الأحزاب.

قدامة بن مظعون في حرب الخندق:

«عن نافع، عن ابن عمر، قال: بعثني خالي عثمان بن مظعون

(١) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٩ و ٤٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦ / ٢٠٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٦.

٣٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
لآتيه بلحاف. فأتي النبي (ص)، فاستأذنته - وهو بالخندق - فأذن
لي، وقال لي:

من لقيت منهم فقل لهم: إن رسول الله (ص) يأمركم أن
ترجعوا.

قال: فلقيت الناس فقلت لهم... إلى أن قال ابن عمر: والله ما
عطف علي منهم اثنان أو واحد^(١).
ونقول:

أ: إن هذه الرواية موضع ريب؛ لأن عثمان بن مظعون، قد
توفي قبل الخندق بزمان، فإنه أول من مات بالمدينة من المهاجرين.
وذلك بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة الشريفة.

وقد احتمل البعض أن يكون المقصود هو قدامة بن مظعون
فراجع^(٢).

ب: قد يقال: إن هذه الرواية تدل على أن طائفة من الناس قد
فروا يوم الخندق، وفقاً لما تقدم من فرار جماعة فيهم عمر وطلحة،
وقد اختبأوا في حديقة هناك، فاكتشفتهم عائشة. وسيأتي أيضاً: أن
الناس قد تفرقوا عن النبي حتى بقي في ثلاث مئة. بل في اثني عشر
رجلاً كما في رواية القمي والحاكم في المستدرک بسند صحيحه هو
والذهبي.

لكن قد يجاب عن ذلك بأن من الممكن أن تكون الرواية ناظرة

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٩ بإسناد صحيح عن
الطبراني.

(٢) عيون الأثر ج ٢ ص ٥٦.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣٠٥

الى حالة المسلمين لما بلغهم فرار المشركين، فإنهم تركوا النبي وقصدوا المدينة لا يلوون على شيء. وسيأتي ذلك في آخر فصل: نهاية حرب الخندق.

إلا أن هذا الجواب لا يكفي، إذ لا معنى لطلب النبي من الناس الرجوع الى مواقعهم، بعد ذهاب الأحزاب.

ج : إن هذه الرواية تشير الى أنه قد كان ثمة دقة في التنظيم، وهيمنة قيادية، قد فرضت عدم تغيب أي عنصر مشارك في الحرب الا بإذن من الرسول مباشرة، الأمر الذي يتيح للقيادة أن تبقى على اطلاع تام بحجم وفعالية القوة التي تعمل تحت قيادتها، فتتمكن من التخطيط الدقيق والسليم وفي نطاق وحدود القدرات المتوفرة لديها. والاستئذان هذا كان من الجميع حتى من المنافقين لأعداء مختلفة.

القتال بين المسلمين وبين بني قريظة:

قد ذكرت النصوص التاريخية عدة موارد يقال: إنها حصلت فيها مناوشات فردية بين المسلمين واليهود. وذكرت أيضاً حوادث محدودة في نطاق التدبير العسكري فيما بين الفريقين.

بالإضافة الى تحركات عامة في دائرة التفاهم لشن هجوم مشترك على المسلمين. ونذكر هذه الأمور في ضمن النقاط التالية:

ألف : التفكير بمباغطة المدينة:

قال الديار بكري: «واستعان بنو قريظة من قريش ليسيئوا المدينة فعلم به النبي (ص) - فبعث سلمة بن الأسلم في مائتي رجل، وزيد بن

٣٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
حارثة في ثلاث مئة رجل حتى حرسوا حصون المدينة ومحلاتها^(١).

وفصل ذلك البعض، فيقول: همت بنو قريظة أن يغيروا على
بيضة المدينة ليلاً، فأرسلوا حيي بن أخطب الى قريش أن يأتيهم منهم
الف رجل، ومن غطفان الف فيغيروا بهم.

فجاء الخبر بذلك رسول الله (ص)؛ فعظم البلاء، وبعث سلمة
بن اسلم في مئتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون
المدينة، ويظهرون التكبير. ومعهم خيل المسلمين، فإذا أصبحوا
أمنوا.

فكان أبو بكر يقول: لقد خفنا على الذراري بالمدينة من بني
قريظة أشد من خوفنا من قريش وغطفان. ولقد كنت أوفي على سلع؛
فأنظر الى بيوت المدينة؛ فإذا رأيتهم هادين حمدت الله عز وجل؛
فكان مما ردّ الله به بني قريظة عما أرادوا: أن المدينة كانت
تحرّس^(٢).

ونقول:

إنه ربما يستفاد من قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أن بني قريظة قد تحركوا لقتال المسلمين، أو
لمحاصرته. أو عملوا على ذلك بطريقة أو بأخرى.

هذا، ولم تذكر لنا الرواية سبب عدم استجابة قريش وغطفان

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤.

(٢) راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٢٦٠ وامتاع الاسماع
ج ١ ص ٢٢٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥٤ والسيرة الحلبية ج ٢
ص ٣١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣٠٧

لطلب بني قريظة، ولا الطريقة التي علم بها رسول الله بإرسال بني قريظة تلك الرسالة الى الأحزاب.

كما أننا لا نكاد نطمئن الى أن النبي (ص) لم يبادر الى حراسة المدينة إلا بعد أن علم بعزمهم على تبئيت المدينة؛ فإن النبي لم يكن ليغفل عن حراسة المدينة من أول يوم خرج فيه لحفر الخندق ومواجهة الأحزاب بل من أول ساعة.

أضف الى ذلك كله: أن تخصيص خمس مئة مقاتل لحراسة المدينة، أي ما يزيد على نصف جيش المسلمين، ثم الإكتفاء بالنصف أو بأقل من ذلك - حسبما تقدم عن عدة المسلمين - ليواجهوا جيش الأحزاب - ان هذا - قد يكون امراً مبالغاً فيه. ولعله كان يرسل مئتين على التناوب، فتارة يرسل سلمة وتارة يرسل زيداً، وهكذا.

ب : قصة خوات بن جبير واليهودي:

وبعث (ص) خوات بن جبير لينظر غرة لبني قريظة، أو خلافاً من موضع؛ فكمن لهم؛ فنام، فحمله رجل منهم وقد أخذه النوم. فأفاق؛ فعرف أن حامله طليعة لبني قريظة؛ فأمكنه الله من الرجل وقتله، ولحق بالنبي (ص) وأخبره، بعد أن كان (ص) قد عرف بالقضية من جهة جبرئيل^(١).

ونقول:

إننا لا ندري لماذا يفضل ذلك اليهودي حمل عدوه على ظهره؟! ولا يبادر الى قتله، والتخلص منه. والذي نعلمه في حالات كهذه هو

(١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٠ و٤٦١.

٣٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

أن يكون نوم من ينام قلقاً وغير مستقر، حتى إن النائم ليتنبه لأدنى حركة أو لمسة له، ونجد أن هذا اليهودي يحمل هذا النائم ويرفعه الى كتفه ولا يشعر به.

ثم كيف عرف خوات بن جبير أن حامله طليعة لبني قريظة؟! هذا مالم تصرح لنا الرواية به.

وإذا اغمضنا النظر عن ذلك، فإن اهتمام النبي بالعمل الاستخباري في حروبه ظاهر للعيان.

ولكن طلب الغرة لبني قريظة والخلل من موضع، انما يتناسب مع التخطيط لمهاجمتهم، وذلك لم يكن متيسراً، أو فقل لم يكن مطروحاً للتداول به والتخطيط له في غزوة الخندق.

فلعل رسول الله (ص) كان يمهد لغزوهم حين فراغه من الأحزاب، فكان ارسال الطلائع تمهيداً لذلك.

ج: تحركات، وتحركات:

وخرج نباش (ولعل الصحيح: شاس) بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة، ففطن بهم نفر من أصحاب سلمة بن اسلم، فرموهم حتى هزموهم^(١).

ومرّ سلمة في من معه، فأطاف بحصون يهود، فخافوه، وظنوا: أنه البيات.

ومن الواضح: أن هؤلاء اليهود لا يشكلون خطراً جدياً على

(١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٢.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣٠٩

المسلمين، إلا من حيث أنهم طليعة للعدو وتريد أن تحصل على معلومات تفيد في توجيه ضربة عسكرية للمسلمين، أو من حيث أنهم يريدون الحصول على مكاسب مادية، لظنهم أن المسلمين في غفلة عن بعض المواقع التي يمكنهم التسلل اليها للحصول على ما يمكن الحصول عليه منها.

أو من حيث إحداث بلبلة في صفوف المسلمين، حين يشعرون أن نساءهم في معرض خطر أكيد من قبل الأعداء.

ومن الملفت للنظر أيضاً هذا الرعب من قبل اليهود لمجرد رؤيتهم سلمة بن اسلم يطيف بحصونهم، مع أنهم يظنون أنهم مانعتهم حصونهم.

د : قتل مغامر:

روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن رافع بن خديج قال: لم يكن حصن أحصن من حصن بني حارثة، فجعل النبي (ص) النساء والصبيان والذراري فيه.

وقال لهن: إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف. فجاءهن رجل من بني (ثعلبة) حارثة بن سعد، يقال له نجدان. أحد بني جحاش على فرس، حتى كان في أصل الحصن، ثم جعل يقول لهن: انزلن إليّ خير لكن.

فحركن السيف، فأبصره أصحاب رسول الله (ص)؛ فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني حارثة يقال له: ظفر بن رافع. فقال: يا نجدان ابرز. فبرز اليه. فقتله، وأخذ رأسه فذهب به الى

٣١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

النبي (ص)^(١).

ولنا ملاحظة على هذا النص، وعلى نص سابق شبيه به، وهو أنه (ص) قد قال لهن: إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف، فهل هذا يعني: أن يلمعن بالسيف لايهام الأعداء وجود اسلحة معهم؟!

الجواب: قد يكون لا، لأن هذا لو صح لكان الأنسب ان يقول لهن، فالمعن بالسيف، إلا أن يكون المقصود هو جنس السيف، لا السيف الواحد.

والظاهر أنه (ص) يريد أن يلمعن بالسيف لو تعرضن لأي هجوم من الأعداء ليعرف المسلمون بالأمر، لينجدوهم بالرجال. ومعنى ذلك هو أن موضع النساء كان قريباً من جيش المسلمين، وفي مقابلهم. كما أن هذه الطريقة لن تنفعهم إلا في وقت النهار، وحيث تكون السماء صافية والشمس طالعة لا مطلقاً. إذ في الليل وحيث لا شمس لا يلمع السيف.

صفية وحسان بن ثابت واليهودي:

روى الزبير بن العوام: أن صفية كانت في حصن فارغ (وفي نص آخر: في حصن حسان بن ثابت) مع نساء النبي (ص). وكان معهن حسان بن ثابت، فرقى يهودي الحصن حتى أشرف عليهن، فقالت صفية: يا حسان، قم إليه حتى تقتله. وفي نص آخر: ان اليهودي جعل يطوف بذلك الحصن. فخافت صفية أن يدل على عورة الحصن.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ عن الوفاء عن الطبراني ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١/٣٠٢ عن الطبراني وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٤.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣١١

قال: لا والله، ما ذاك فيّ؛ ولو كان فيّ لخرجت مع رسول الله (ص).

قالت صفية: فاربط السيف على ذراعي. ثم تقدمت اليه حتى قتلتها، وقطعت رأسه، فقالت له: خذ الرأس وارم به على اليهود.

قال: وما ذاك فيّ.

فأخذت الرأس فرمت به على اليهود. فقالت اليهود: قد علمنا: انه لم يك يترك أهله خلوفاً، ليس معهم أحد.

ويذكر نص آخر: أنها طلبت منه أن يسلبه فرفض.

ونص آخر يذكر: أنها قتلتها بواسطة عمود. وفي غيره: قتلتها بفهر. وتذكر رفض حسان لسلبه، ولا تذكر حديث قطع رأسه^(١).

(١) راجع المصادر التالية: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ عن البزار. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و ٥٢٥ عن ابن اسحاق، والواقدي، وأبي يعلى، والبزار بسند حسن عن الزبير، والطبراني بسند رجاله رجال الصحيح عن عروة مرسلًا وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤١ و ٢٤٢ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٦ واسد الغابة ج ٢ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ عن الوفاء، والهيثمي، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧ ومسند أحمد والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٢ و ٤٤٣ وامالي الشيخ الطوسي ص ٢٦٧ و ٢٦٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٥ والاكتفاء للكلاعي؛ ٢ ص ١٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ وأنساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وغرر الخصاص الواضحة ص ٣٥٨.

٣١٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وقد «زاد أبو يعلى: فأخبر بذلك رسول الله (ص) فضرب لصفية بسهم، كما يضرب للرجال»^(١).

لكن نصاً آخر يقول: إن غزال بن سموأل أقبل مع عشرة من اليهود نهراً فجعلوا يستترون ويرمون الحصن. «وقد حاربت قريظة، ورسول الله (ص) في نحر العدو، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذا أتاهم آت»^(٢).

ونقول:

يلفت نظرنا في هذه الرواية أمور عدة، نذكر منها:

ألف : جبن حسان:

قال البلاذري والواقدي: «كان حسان رجلاً جباناً»^(٣).

وقال ابن الأثير: «كان حسان من أجبن الناس حتى إن النبي (ص) جعله مع النساء في الآطام يوم الخندق»^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و ٥٢٥ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ وسيرة المصطفى ص ٥٠٥ و ٥٠٦ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٢ و ٤٤٣ وراجع: الاكتفاء ج ٢ ص ١٧١.

(٣) انساب الإشراف ج ١ ص ٣٤٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٥ وراجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨١ وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٤ واسد الغابة ج ٢ ص ٦.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣١٣

وقال الحلبي: «وهذا يدل على ما قيل: إن حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم»^(١).

وقد صرحوا بأن حساناً لم يشهد مع رسول الله (ص) مشهداً قط لأنه كان جبناً^(٢).

وكان حسان ضارباً وتداً في ناحية الأطم، فإذا حمل أصحاب النبي (ص) على المشركين حمل على الودت فضربه بالسيف، وإذا أقبل المشركون ترك الودت كأنه يقاتل قرناً. كان يرى أنه يجاهد جبناً عن القتال^(٣).

وقال الاسكافي: «لو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقلّة بسط الكف، وترك الحرب وإن ذلك يشاكل فعل النبي، لكان أوفر الناس في الرياسة، واشدهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت»^(٤).

و «قال ابن الكلبي: كان حسان بن ثابت لسنّاً شجاعاً، فأصابته علة، أحدثت فيه الجبن، فكان لا ينظر إلى قتال ولا يشهده»^(٥).

وقالت صفية: «كنت أعرف انكشاف المسلمين وأنا على الأطم برجوع حسان إلى أقصى الأطم»^(٦).

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧.

(٢) المعارف ص ٣١٢ ط سنة ١٩٦٠ م وغرر الخصائص الواضحة ص ٣٥٨ وأسد الغابة ج ١ ص ٦.

(٣) كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٦.

(٤) شرح النهج للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٢.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٤.

(٦) شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٦ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٢٨٨.

٣١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وكلام ابن الكلبي هذا يدل على عدم صحة ما ردّ به السهيلي وغيره على هذا بحجة أنه لو صح أنه كان جباناً لهجاه به الشعراء، لأنه كان يهاجيهم كضرار وابن الزبيري. فلعل حسان - لو صح أنه كان مع النساء في الأطم - كان معتلاً بعله منعه من شهود القتال^(١).

أضف الى ذلك: أن المؤرخين قد حكموا على حسان بالجبن بصورة مطلقة معللين ابقاءه مع النساء بذلك، الأمر الذي يظهر منه أن جبنه كان معروفاً لديهم، لا أنهم استندوا في ذلك إلى خصوص هذه الرواية.

وأما لماذا لم يعيّر الشعراء حساناً بالجبن، فقد قال الزرقاني:

«إن ابن اسحاق لم ينفرد به، بل جاء بسند متصل حسن كما علم؛ فاعتضد حديثه. وقال ابن السراج: سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة لأنه شاعره (ص)^(٢)».

ونزيد نحن على ذلك: أن هجاءهم لحسان لا مبرر له، وإنما هم يريدون هجاء الاسلام ورسول الاسلام، وجماعة المسلمين، ولا يهمهم حسان كشخص من قريب ولا من بعيد.

وهذا بالذات هو ما يطغى على شعرهم المتبادل فيما بينهم.

(١) راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨١ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ و٣٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٤.
(٢) هامش السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٠ تحقيق الاياري، والسقا، وشليبي.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣١٥

ب: قصة حسان في الخندق أم في أحد:

وقد رويت قصة جبن حسان، وقتل صفية لليهودي في غزوتي أحد والخندق معاً^(١).

وقد تقدمت هذه الرواية في غزوة أحد أيضاً.

ونرجح أنها كانت في الخندق لأن اليهود إنما غدروا في الخندق^(٢). وهذا هو ما رجحه السهمودي أيضاً استناداً الى ذلك، وإلى أن الطبراني قد روى بسند رجاله رجال الصحيح عن عروة مرسلًا: أنها كانت في الخندق، وممن ذكر القصة في الخندق ابن اسحاق أيضاً^(٣).

ج: تأثير هذه القضية على اليهود

قد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن قتل صفية لليهودي قد جعل اليهود يعتقدون: أن النبي قد جعل أناساً لحماية النساء والذرية، وليحفظوا مؤخرة الجيش عن أن تتعرض لأي عمل حربي، حيث قالت اليهود: إنه لم يك يترك أهله خلوفاً، ليس معهم أحد.

وذكر في نص سابق، أن عشرة من اليهود، «جعلوا يستترون ويرمون الحصن، ورسول الله (ص) في نحر للعدو، ولا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذا أتانا آت».

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٢٨٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٥/١٦.

(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩.

(٣) المصدران السابقان.

٣١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ولكننا نشك في صحة ذلك؛ إذ قد كان ثمة حرس للمدينة يبلغ حوالي خمس مئة مقاتل. وقد كان يكفي لرد هؤلاء العشرة عشرة مثلهم، فضلاً عن المئات.

ثم إن وصول عشرة من بني قريظة الى مكان قريب من الجيش الاسلامي وفي قبال ذلك الجيش مع احتمالهم أن يكون ثمة حرس يعتبر مجازفة منهم، لا نرى أن اليهود يقدرّون عليها.

وقلنا: إن موضع النساء قريب من جيش المسلمين، لأن النبي كما تقدم قد طلب من النساء أن يلعلن بالسيف إذا تعرضن لأي مكروه.

فلماذا لم يلعلن بالسيف كما صنعن في قصة أحد بني جحاش، الذي تم التخلص منه بهذه الطريقة بالذات.

إلا أن يكون الناس في ذلك الوقت قد شغلّتهم الحرب حتى لا يستطيع أحد منهم، ولا حتى مفرزة صغيرة بمقدار خمسين فارساً: أن تنجد النساء والأطفال.

ونحن لا نظن أن النبي (ص) لم يحسب حسابه لساعات كهذه، وترك الأمر يتطور الى أن يصل الى هذه الدرجة من الخطورة.

ولهذا فنحن نعتقد: أن هذه مبادرة من صفية رحمها الله لمواجهة رجل تسلل الى موضع قريب، وقد نجحت في المهمة التي أحبت أن تبادر لإنجازها، ثم زاد الآخرون ما شاؤوا على ذلك إكراماً لولدها الزبير، ولآل الزبير، ولعل هذه الزيادات لا تبعد كثيراً عن نشاطات عروة ونظرائه ممن يسرون في نفس الخط الذي هو فيه.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣١٧

د: ربط السيف على الذراع وتناقض الرواية:

ولا ندري كيف يربط السيف على الذراع، ولا ندري أيضاً كيف يمكن تفسير هذه الاختلافات والتناقضات لنصوص هذه الرواية، فإن ذلك مما يضعف وثوقنا بها أيضاً.

غنيمة المسلمين من المشركين:

وقال ابو سفيان لحيي بن أخطب: قد نفدت علافتنا فهل عندكم من علف؟!

فقال حيي: نعم.

فكلم كعب بن اسد، فقال: مالنا مالك، فأرسل المشركون اليهم عشرين بعيراً، فحملوها لهم شعيراً، وتمرّاً وتبنّاً، وخرجوا بها الى قریش؛ فلما كانوا بصفة. وهم يريدون أن يسلكوا العقيق، جاؤا جمعاً من بني عمرو بن عوف، وهم يريدون منازلهم بأنصاف النهار، يطلبونهم. وهم عشرون رجلاً. فيهم أبو لبابة، وعويم بن ساعدة ومعن بن عدي، خرجوا لميت مات منهم في أطمهم ليدفنوه.

فناهضوا الحمولة، وقتلهم القرشيون ساعة، وكان فيهم ضرار بن الخطاب، فمنع الحمولة، ثم جرحَ وجرحَ، ثم اسلموها، وكثرهم المسلمون، وانصرفوا يقودونها، حتى أتوا بني عمرو بن عوف، فدفنوا ميتهم، ثم ساروا الى رسول الله (ص) بها.

فكان أهل الخندق يأكلون منها؛ فتوسعوا بذلك، وأكلوه حتى نفد، ونحروا من تلك الإبل أبرة في الخندق، وبقي منها ما بقي حتى دخلوا به المدينة.

٣١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

فلما رجع ضرار بن الخطاب أخبرهم الخبر، فقال أبو سفيان: إن حياً لمشؤوم، ما أعلمه إلا قطع بنا. ما نجد ما نتحمل عليه إذا رجعنا^(١).

ولكننا نسجل تحفظاً هنا، ينطلق من كلام أبي سفيان هذا، فإن حياً لم يقطع بهم. كما أن هذه الغنيمة لم تكن خيلاً ولا ابلاً بل كان شعيراً وتمراً وتبناً، وبعض الابل، فما معنى قوله: ما نجد ما نتحمل عليه إذا رجعنا.

الجن الذين في المدينة:

وكان رجال يستأذنون أن يطلعوا الى أهليهم، فيقول (ص) إني أخاف عليكم بني قريظة، فإذا الحوا يأمرهم بأخذ السلاح معهم.

«وكان فتى حديث عهد بعرس؛ فأخذ سلاحه وذهب؛ فإذا امرأته قائمة بين البابين؛ فهياً لها الرمح ليطعننها، فقالت؛ اكفف حتى ترى ما في بيتك؛ فإذا بحية على فراشه، فركز فيها رمحه، فاضطربت، وخر الفتى ميتاً. فما يدري أيهما كان أسرع موتاً.

فقال رسول الله - لما أخبر بذلك - إن بالمدينة جنا قد اسلموا؛ فإذا رأيتهم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام؛ فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان»^(٢).

والذي يلفت نظرنا في هذا النص.

-
- (١) القصة في: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٩ / ٥٤٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.
- (٢) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٤ / ٢٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ والمغازي ج ٢ ص ٤٧٥.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣١٩

الف: لماذا يؤذنون ثلاثة أيام، لا أقل ولا أكثر؟! فإن الجن إذا كان مؤمناً، فإنه لا يعتدي على الناس، ولا يأخذ فراش الناس، ويكون فيه.

ب: لماذا يبادر الى طعن زوجته بالرمح اذا رآها بين البابين ألم يكن بوسعه أن يسألها عن سبب كونها في ذلك المكان؟ وهل وجودها في هذا المكان دليل خيانة وانحراف؟!

ج: هل الجن قادر على مواجهة الانسان بهذه الصورة؟ وهل لم يكن بوسع تلك الحية الجنية أن تتخلص من رمح ذلك الفتى؟! وهل اذا مات الجن يبقى جسده ماثلاً للعيان؟ ويكون من لحم ودم؟! .

اشتباك مع الإخوة

وخرجت طليعتان للمسلمين ليلاً، فالتقيا، ولا يشعر بعضهم ببعض، ولا يظنون إلا أنهم العدو، فكانت بينهم جراحة وقتل، ثم نادوا بشعار الإسلام:

حم، لا ينصرون.

فكف بعضهم عن بعض، وجاؤا، فقال رسول الله (ص): جراحكم في سبيل الله، ومن قتل منكم فإنه شهيد.

فكانوا بعد ذلك اذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم^(١).

(١) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٧ و٥٣٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١.

٣٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

لعن الله الراكب، والقائد، والسائق:

قال سبط بن الجوزي: إن الامام الحسن عليه السلام قال لمعاوية: «نظر النبي (ص) إليك يوم الأحزاب، فرأى أباك على جمل يحرض الناس على قتاله. وأخوك يقود الجمل، وأنت تسوقه، فقال: لعن الله الراكب، والقائد والسائق»^(١).

آية قرآنية في خوات بن جبير:

محمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، وأحمد بن ادريس، عن محمد بن عبد الجبار، جميعاً عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم﴾ الآية^(٢)، فقال: نزلت في خوات بن جبير الأنصاري، وكان مع النبي (ص) في الخندق وهو صائم، فأمسى وهو على تلك الحال. وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية اذا نام أحدهم حرم عليه الطعام والشراب.

فجاء خوات إلى أهله حين أمسى، فقال: هل عندكم طعام؟! فقالوا: لا، لا تنم حتى نصلح لك طعاماً.

فاتكأ فنام؛ فقالوا له: قد فعلت؟

قال: نعم.

(١) تذكرة الخواص ص ٢٠١ والغدير ج ١٠ ص ١٦٩ عنه.

(٢) البقرة ١٨٧.

الفصل الثامن: الحصار والقتال ٣٢١

فبات على تلك الحال؛ فأصبح ثم غدا الى الخندق، فجعل يغشى عليه، فمر به رسول الله (ص)؛ فلما رأى الذي به أخبره كيف كان أمره. فأنزل الله عز وجل فيه الآية:

﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾^(١).

والحديث صحيح السند. كما هو ظاهر. لكن صرح في رسالة المحكم والمتشابه بأن ذلك كان حين حفر الخندق في شهر رمضان المبارك. وان اسم الرجل هو مطعم بن جبير. ونقول:

١ - الذي نعرفه في رجال الصحابة هو جبير بن مطعم، لا العكس.

٢ - قد وصفت رواية القمي والسيد المرتضى خوات بن جبير بأنه كان حينئذ شيخاً كبيراً ضعيفاً.

مع أنهم يقولون: إن خوات بن جبير قد توفي سنة اربعين، أو اثنتين واربعين وهو ابن أربع وسبعين سنة^(٢)، ومعنى ذلك هو أنه كان

(١) الكافي ج ٤ ص ٩٩ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٤٤ و١٤٥ وتفسير القمي ج ١ ص ٦٦ ومن لا يحضره الفقيه ط جماعة المدرسين ج ٢ ص ١٣٠ / ١٣١ والوسائل ج ٧ ص ٨٠ و٨١ ورسالة المحكم والمتشابه ص ١٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤١ / ٢٤٢ وتفسير البرهان ج ١ ص ١٨٦ و١٨٧ عن الكافي والقمي، وعن تفسير العياشي. ومجمع البيان ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) راجع: الاصابة ج ١ ص ٤٥٨ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٣٠ واسد الغابة ج ٢ ص ١٢٦ وراجع تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٧١ والطبقات

٣٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

يوم الخندق في عز شبابه، وغاية نشاطه وقوته. وقيل: كان سنة حين توفي إحدى وسبعين سنة^(١) عن ابن نمير.

وإن كان الاستيعاب قد سجل أربعاً وتسعين سنة^(٢)، ولعلها تصحيف سبعين، فإن الاشتباه بينهما كثير.

٣ - إن الرواية تقول: إنها نزلت في خوات، لكن روايات أخرى ذكرت: أنها نزلت في صرمة بن قيس أو غيره^(٣).

٤ - الرواية تقول: إن المسلمين كانوا إذا نام أحدهم قبل أن يفطر حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة - وهذا هو المروي بكثرة عجيبة - من طرق غير أهل البيت.

ونقول:

إن هذه كانت طريقة أهل الكتاب. وقد نزلت الآية لِرُدْع المسلمين عنها^(٤) فلعل بعض المسلمين بسبب انبهاره قد انساق وراء أهل الكتاب في ذلك فنزلت الآية لتردعهم عنه، وقال رسول الله (ص) أيضاً: فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر^(٥).

الكبرى لابن سعد ط صادر ج ٣ ص ٤٧٨ و٤٧٧ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ١٠٨.

(١) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٧١.

(٢) الاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة) ج ١ ص ٤٤٤ وكذا في تهذيب الاسماء ج ١ ص ١٧٩.

(٣) الدر المنثور ج ١ ص ١٩٧ و١٩٨ عن مصادر كثيرة.

(٤) الدر المنثور ج ١ ص ١٩٨ عن عبد بن حميد.

(٥) الدر المنثور ج ١ ص ١٩٨ عن ابن أبي شيبة وأبي داود، والترمذي، والنسائي.

الفصل التاسع:

**ضربة علي يوم الخندق:
تعدل عبادة الثقلين**

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين ٣٢٥

عبور الخندق:

يقول المؤرخون: إنه بعد أن جرح سعد بن معاذ أجمع رؤساء المشركين أن يغدو جميعاً، وجاؤا يريدون مضيقاً يقحمون منه خيلهم الى النبي، فوجدوا مكاناً ضيقاً أغفله المسلمون، فلم تدخله خيولهم؛ فعبره عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب وعمرو بن عبد ود. وزاد المفيد رحمه الله: مرداساً الفهري. وزاد البعض: حسل بن عمرو بن عبد ود في من عبر الخندق أيضاً.

ووقف سائر المشركين وراء الخندق^(١).

(١) راجع: المصادر التالية: امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٢ و٥٣٣. والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٧٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٦ والارشاد للمفيد ص ٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ١٩٧ و١٩٨ و٢٠٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ و٢٥٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦ و٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٠ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ و٢٣٩ وراجع: الوفاء ص ٦٩٣ وراجع العبر وديوان

٣٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

ويقول القاضي النعمان: إن النبي (ص) أمر علياً بأن يمضي بمن خف معه ليأخذ الثغرة عليهم، وقال: «فمن قاتلكم عليها فاقتلوه»^(١).

فخرج علي أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من المسلمين، حتى أخذ الثغرة وسلمها اليهم.

وتقدم عمرو، فلما رأى المسلمين، وقف هو والخيـل التي معه، وقال: هل من مبارز^(٢).

وكان ذلك كما يقول القاضي النعمان بعد شهر من الحصار^(٣) وقال غيره غير ذلك، كما ذكرناه في موضع آخر.

وصفهم لعمر:

قالوا: وكان عمرو قد بلغ تسعين سنة. وقد حرم الدهن حتى

المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠.

(١) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٤.

(٢) راجع المصادر التالية: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والارشاد للمفيد

ص ٥٢ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٧ و٢٠٣ والكامل في التاريخ

ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ واعلام الوري ط دار

المعرفة ص ١٠٠ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠

ص ٢٠٢ و٢٥٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١

والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣

ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ وبهجة

المحافل ج ١ ص ٢٦٦ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ والسيرة النبوية

لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩.

(٣) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٣.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين..... ٣٢٧
يثأر بمحمد وأصحابه. وذلك أنه في بدر قد اثبتته الجراحة، وارتث
فلم يشهد أحداً^(١).

ونعتقد: أنهم يبالغون في مقدار عمر عمرو، ولعله بهدف بيان
أنه كان في هذا الوقت قد ضعف وشاخ ولم يعد قتله بذلك الأمر
المهم. ولكن جبن المسلمين عن مواجهته - كما سنرى - وهم جيش
بأكمله، وكذلك ما قاله النبي (ص) في حق قاتله، وغير ذلك مما
سيأتي، يبطل كيد الخائنين، إن شاء الله تعالى.

وقالوا أيضاً:

كان عمرو بن عبد ود فارس قریش^(٢). وكان يعد بألف
فارس^(٣)، ويسمى فارس ليليل^(٤)؛ لأنه أقبل في ركب من قریش حتى

-
- (١) راجع المصادر التالية، فقد تعرضت لذلك كله أو بعضه: إمتاع الاسماع
ج ١ ص ٢٣٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤
ص ٥٣٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ والمغازي للواقدي ج ٢
ص ٤٧٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ ودلائل
النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وشرح
النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ و٦٣ وج ١٥ ص ٨٥ و٨٦ والسيرة النبوية لابن
كثير ج ٣ ص ٢٠٢ و٢٠٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩
والوفاء ص ٦٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠.
(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ وشرح النهج للمعتزلي
ج ١٤ ص ٢٣٧.
(٣) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ وتاريخ الخميس ج ١
ص ٤٨٦ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦١ وينايع المودة ص ٩٥.
(٤) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٣ و٢٢٦ وج ٤١ ص ٨٨

٣٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
إذا هو بيليل، وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد؛
فقال لأصحابه: امضوا. فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن
يصلوا إليه، فعرف بذلك^(١).

وكان «من مشاهير الأبطال، وشجعان العرب»^(٢).

وعن علي عليه السلام: «وفارسها (أي قريش) وفارس العرب
يومئذ عمرو بن عبد ود يهدر كالبعير المغتلم... إلى أن قال:
والعرب لا تعد لها فارساً غيره»^(٣).

وسياتي: أن مسافع بن عبد مناف يبكي عمرواً، ويقول:

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاذ، وكان فارس يليل
وقال أبو زهرة: «كان - كما قيل - لهم يهزم في مبارزة قط»^(٤).

«وكان أشد من فيهم وأنجدهم، يعرف له ذلك جميعهم»^(٥).

وكان عمرو يلقب بعماد العرب، وكان في مئة ناصية من
الملوك، وألف مقرعة من الصعاليك^(٦).

-
- وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥.
(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ وج ٤١ ص ٨٨
ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥.
(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦.
(٣) الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ والاختصاص ص ١٦٧
وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٧.
(٤) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.
(٥) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٣.
(٦) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ والبحار ج ٤١ ص ٨٨ عنه.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين ٣٢٩

المواجهة بين عمرو والمسلمين

وذكر القمي (ره): أنه لما جاء الفرسان الى الخندق ليعبروه كان (ص) قد صف أصحابه بين يديه، فلما طفروا الخندق. صاروا قبال رسول الله (ص) مباشرة، والمسلمون خلف ظهر النبي (ص).

رواية مشكوكة:

وادعى بعضهم: أن بعض المهاجرين قال لرجل من اخوانه بجنبه: أما ترى هذا الشيطان عمرو؟! لا والله لا يفلت من يديه أحد؛ فهلّموا ندفع إليه محمداً ليقتله، ونلحق نحن بقومنا، فأنزل الله على نبيه في ذلك الوقت قوله:

قد يعلم الله المعوقين منكم، والقائلين لإخوانهم هلم إلينا، ولا يأتون الباس إلا قليلاً، أشحة على الخير. . . الى قوله: وكان ذلك على الله يسيراً^(١).

وصرح في موضع آخر: أن هذه الآية نزلت في عمر بن الخطاب لما قال لعبد الرحمان بن عوف: هلم ندفع محمداً الى قریش ونلحق بقومنا: يحسبون الأحزاب لم يذهبوا إلخ. . .^(٢).

ونقول:

إن هذه الرواية موضع شك وريب.

أولاً: إن مضمون الآيات لا ينسجم مع هذا الحدث الذي تقول

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ و١٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٥.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٢.

٣٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

الرواية: إن الآية نزلت لأجله، ولا يتطابق معه، بل هي لا تشير إليه لا من قريب ولا من بعيد.

وثانياً: ما معنى قوله: هلموا ندفع إليه محمداً ليقتله ونلحق نحن بقومنا؟ فهل إن محمداً، الذي معه سائر المهاجرين والأنصار أصبح الآن خاضعاً لابن عوف ولرفيقه، وأصبحا هما أصحاب القرار في أمره؟!؟

وثالثاً: ولو أنهما جهرا بهذا القول، ألم يكونا يخافان بأس علي وصولته، فضلاً عن غيره من أصحابه المخلصين؟!؟

أخذ الثغرة على عمرو وأصحابه

وقد لاحظنا: أن علياً عليه السلام قد بادر إلى أخذ الثغرة التي عبر منها الفرسان، عليهم، حتى لا يمكنهم الرجوع منها، وليمنع بقية قوى الأحزاب من عبورها لمساعدة عمرو ومن معه.

وهذه المبادرة تعتبر من وجهة نظر عسكرية هي الاجراء الأمثل والأفضل لأنها أيضاً قد أدت إلى محاصرة المجازفين، والسيطرة على الموقف، وافشال خطتهم.

ولكن علينا: أن لا نهمل التذكير بأن هؤلاء الذين جاؤا مع علي عليه السلام، وأخذوا الثغرة على عمرو ومن معه، ما كانوا ليجرؤا على الوقوف في مواقعهم لولا وجود علي إلى جانبهم، ثم اطمئنانهم إلى أنه سيكون هو الذي ينجدهم لو تعرضوا لأي مكروه من قبل عدوهم عمرو وأصحابه.

فإنما إلى علي عليه السلام استندوا، وعلى مبادرته لحمايتهم،

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين..... ٣٣١
والدفاع عنهم اعتمدوا، يدلنا على ذلك: أن المسلمين كانوا كأن على
رؤسهم الطير خوفاً وفرقاً من عمرو كما سنرى.

طلب البراز، وخروج علي لعمرو:

لما وقف عمرو وأصحابه على الخندق قالوا: والله هذه مكيدة
ما كانت العرب تكيدها، فقال عمرو:

يا لك من مكيدة ما أنكرك لا بد للملهوب من أن يعبرك
ثم زعق على فرسه في مضيق، فقفز به الى السبخة، بين الخندق
وسلع^(١).

وجعلوا يجيلون خيلهم فيما بين الخندق وسلع، والمسلمون
وقوف لا يقدم أحد منهم عليهم.

وجعل عمرو بن عبد ود يدعو للبراز وكان قد أعلم ليثرى مكانه -
ويعرض بالمسلمين، فقال (ص) على ما في الروايات: من لهذا
الكلب؟ فلم يقم اليه أحد. فلما أكثر قام علي عليه السلام، فقال: أنا
أبارزه يا رسول الله، فأمره بالجلوس، انتظاراً منه ليتحرك غيره.

وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير،
لمكان عمرو، والخوف منه، وممن معه، ومن وراءه.

فقال عمرو: أيها الناس، إنكم تزعمون: أن قتلاكم في الجنة،
وقتلانا في النار؟ أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة، أو يقدم
عدواً له الى النار؟

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨.

٣٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

فلم يقم إليه أحد. فقام علي عليه السلام دفعة ثانية، وقال: أنا له يا رسول الله، فأمره بالجلوس.

فجال عمرو بفرسه مقبلاً مدبراً. وجاءت عظماء الأحزاب، ووقفت من وراء الخندق، ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو: أن أحداً لا يجيبه قال:

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز
ووقفت مذجين المشجع موقف القرن المناجز
إنني كذلك لم أزل متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام علي عليه السلام، فقال: يا رسول الله ائذن لي في مبارزته. فلما طال نداء عمرو بالبراز، وتتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام، قال له رسول الله: ادن مني يا علي فدنا منه، فقلده سيفه (ذا الفقار)، ونزع عمامته من رأسه، وعممه بها، وقال: إمض لشأنك. فلما انصرف قال: اللهم أعنه عليه^(١).

ولكن ابن شهر آشوب قال: إن عمرواً جعل يقول: هل من مبارز؟! والمسلمون يتجاوزون عنه.

(١) راجع المصادر التالية: شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ و٦٤ والإرشاد للمفيد ص ٦٠ و٥٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ وإعلام الوری ص ١٩٤ و١٩٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ و٤٧١ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦١ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ والبحار ج ٤١ ص ٨٩ و٨٨ وج ٢٠ ص ٢٢٥ - ٢٢٨ و٢٠٣ و٢٠٥ و٢٥٤ - ٢٥٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٥ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ و٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩.

الفصل التاسع : ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين..... ٣٣٣

فركز رمحه على خيمة النبي (ص)، وقال؛ ابرز يا محمد.

فقال (ص): من يقوم الى مبارزته فله الإمامة بعدي.

فنكل الناس عنه.

الى أن قال: روي أنه لما قتل عمرو أنشد علي (ع):

ضربته بالسيف فوق الهامة بضربة صارمة هدامة
أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو رسول الله ذي العلامة وقال إذ عممني عمامة
أنت الذي بعدي له الامامة^(١)

وعند الحسكاني عن حذيفة قال: فألبسه رسول الله (ص) درعه
ذات الفضول. وأعطاه سيفه ذا الفقار. وعممه بعمامته السحاب على
رأسه تسعة اكوار، ثم قال: تقدم.

فقال النبي لما ولى: اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه،
وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه^(٢).

ويضيف البعض: أنه رفع عمامته، ورفع يديه الى السماء
بمحضر من أصحابه، وقال: اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحرث
يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وهذا أخي علي بن أبي
طالب. رب لا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين^(٣).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ والبحار ج ٤١ ص ٨٨.

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ وج ٤١ ص ٨٨.
وشواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ هـ. ق. ج ٢ ص ١١ وينابيع المودة ص ٩٥
ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦١ وج ١٣ ص ٢٨٣ / ٢٨٤.

٣٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وتصور لنا رواية عن علي عليه السلام الحالة حين عبور الفرسان الخندق فهو يقول: «وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود، يهدر كالبعير المغتلم، يدعو الى البراز، ويرتجز، ويخطر برمحه مرة، ويسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع، فانهضني إليه رسول الله (ص)، وعممني بيده، وأعطاني سيفه هذا، - وضرب بيده الى ذي الفقار - فخرجت إليه نساء أهل المدينة بواك اشفاقاً علي من ابن عبد ود، فقتله الله عز وجل بيدي، والعرب لا تعدّ لها فارساً غيره^(١)».

ونحن نشك في الفقرة التي تذكر خروج نساء المدينة بواكي إلى رسول الله (ص).

ويذكر البعض: أنه (ص) «أدناه، وقبله، وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثم لم يزل (ص) رافعاً يديه الى السماء، مستقبلاً لها بوجهه، والمسلمون صموت حوله - كان على رؤوسهم الطير الخ»^(٢).

برز الإسلام كله إلى الشرك كله:

وقال (ص) حيثئذ: برز الإسلام أو الايمان كله، إلى

-
- وكنز الفوائد للكراجكي ط دار الأضواء ج ١ ص ٢٩٧. وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٥ وكنز العمال ج ١٢ ص ٢١٩ وج ١٠ ص ٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٢١.
- (١) الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٧ و٢٨٨ والاختصاص ص ١٦٦.
- (٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٥.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٣٥
الشرك كله^(١).

فخرج له علي وهو راجل، وعمر فارساً، فسخر به عمرو. ودنا منه علي^(٢) ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله، لينظر ما يكون منه ومن عمرو^(٣).

وصرحت بعض الروايات بأن النبي (ص) قد قال لأصحابه: أياكم يبرز الى عمرو وأضمن له على الله الجنة؟ فلم يجبه منهم أحد هية لعمرو، واستعظماً لأمره. فقام علي ثلاث مرات والنبي يأمره بالجلوس^(٤).

وحسب نص ابن اسحاق، وغيره من المؤرخين:
خرج عمرو بن عبد ودّ، وهو مقنع بالحديد؛ فنادى: من يبارز؟! . . .

فقام علي بن أبي طالب، فقال: أنا (له) يا نبي الله.
فقال: إنه عمرو، إجلس.

ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم، ويقول: أين

(١) راجع: كشف الغمة ج ١ ص ٢٠٥ وينايع المودة ص ٩٤ و٩٥ واعلام الورى ص ١٩٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ وشرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٦١ و٢٨٥ وج ١٩ ص ٦١ والطرائف ص ٦٠ وكنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٥ و٢٧٣ وج ٤١ ص ٨٨ وج ٣٩ ص ١ ونهج الحق ص ٢١٧.

(٢) امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٢.

(٣) راجع الارشاد للمفيد ص ٥٩ و٦٠ وحيب السير ج ١ ص ٣٦١ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٤ واعلام الورى ص ١٩٤.

(٤) كنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧.

٣٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
جنتكم التي تزعمون انه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون اليّ
رجلاً؟!

فقام علي فقال: أنا يا رسول الله.

فقال: اجلس.

ثم نادى الثالثة؛ فقال:

ولقد بححت من النداء	لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع	موقف القرن المناجز
ولذاك اني لم أزل	متسرعاً قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى	والجود من خير الغرائز

قال: فقام علي رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، أنا له.

فقال: إنه عمرو.

فقال: وإن كان عمرواً.

فأذن له رسول الله (ص)، فمشى إليه حتى أتاه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك	مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة	والصدق منجا كل فائز
إنني لأرجو أن أقيم	عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يقي	ذكرها عند الهزاهز

وفي الديوان المنسوب لعلي عليه السلام بيتان آخران هما:

ولقد دعوت الى البراز	فتى يجيب الى المبارز
يعليك ابيض صارماً	كالملح حتفاً للمبارز

فقال له عمرو: من أنت؟.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين..... ٣٣٧

قال: أنا علي.

قال: ابن عبد مناف؟

قال: انا علي بن أبي طالب.

فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسنّ منك؛ فإنني أكره أن أهرق دمك.

فقال له علي: لكنني والله لا أكره أن أهرق دمك.

فغضب، فنزل، وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته، فقدّها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجّه.

وضربه علي على حبل عاتقه فسقط، وثار العجاج، فسمع رسول الله التكبير، فعرفنا أن علياً قد قتله؛ فثم يقول علي:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي
الأبيات:

الى أن قال: وخرجت خيولهم منهزمة، حتى اقتحمت الخندق^(١).

(١) راجع المصادر التالية: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ عن البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن اسحاق.

وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٥ ص ٢٠٣ و٢٠٤ و٢٣٩ وج ٤١ ص ٨٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ و١٣٦.

وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦/ ٤٨٧ وعيون الأثر ج ١ ص ٦١ و٦٢ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٨/ ٤٣٩

٣٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

الخصال الثلاث وقتل عمرو:

وقد ذكرت بعض النصوص: أن علياً لما بارز عمرواً عرض علي عمرو خصلتين، وهما: الاسلام، فرفضه، أو النزال، فاعتذر بالخلة بينه وبين أبي طالب، أو بغير ذلك^(١).

لكن بعض الروايات ذكرت: أنه عرض عليه ثلاث خصال.

فهي تقول:

قال علي لعمر: يا عمرو، إنك كنت تقول في الجاهلية: لا

وراجع أيضاً: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ و٣٢٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٧ و١٦٨ وراجع: ديوان أمير المؤمنين علي عليه السلام ص ٦٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ و٣٣ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٤ وراجع: ينابيع المودة ص ٩٥ و٩٦ وراجع أيضاً كنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧.

(١) راجع عرض الخصلتين على عمرو، ثم قتل علي عليه السلام له في المصادر التالية:

الارشاد للمفيد ص ٥٨، وكشف الغمة للاريلي ج ١ ص ٢٠٣ و١٩٨ و١٩٩ والكمال في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠. وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٣ و٢٥٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧٦ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٦ و٢٦٧ ونهاية الارب ج ١٧ ص ١٧٣ و١٧٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٨ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ و١٦٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣ و١٩٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦ و٤٣٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٥.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٣٩

يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث إلا قبلتها.

قال: أجل.

قال علي: فإني أدعوك الى أن تشهد ان لا إله الا الله، وأن محمداً رسول الله، وتسلم لرب العالمين.

قال: يا ابن أخي، أخر عني هذه.

قال: وأخرى، ترجع الى بلادك؛ فإن يك محمد صادقاً كنت اسعد الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد. وفي نص آخر: كفتهم ذؤبان العرب أمره.

قال: هذا ما لا تحدث به نساء قريش أبداً، وقد نذرت ما نذرت، وحرمت الدهن^(١). قال: فالثالثة؟

قال: البراز.

فضحك عمرو، وقال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومني عليها، فمن أنت؟!.

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني اكره أن أهريق دمك.

فقال علي رضي الله عنه: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك.

فغضب عمرو، فنزل عن فرسه وعقرها، وسل سيفه كأنه شعلة

(١) زاد في نص القمي: ولا تنشدد الشعراء في اشعارها انه جبن ورجع، وخذل قوماً رأسوه عليهم. وعند المعتزلي: إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاماً خدعني.

٣٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته.

ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة، فضربه عمرو. فالتقى علي الضربة بالدركة، فقدّها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه، فشجّه. الخ.

أما المفيد وغيره فقالوا: إن عمرواً قال لعلي: إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً.

وعند الواقدي: «فأنت غلام حدث إنما أردت شيخي قريش: أبا بكر وعمر.

فقال علي (ع): لكنني أحب أن أقتلك، فأنزل إن شئت، فأسف عمرو، ونزل، وضرب وجه فرسه حتى رجع» انتهى.

وعند آخرين: انه عرقب فرسه، وضرب علياً بالسيف، فاتقاه بدرقته، فقطعها، وثبت السيف على رأسه.

وقال القمي وغيره: فقال له عليه السلام: أما كفاك أني بارزتك، وأنت فارس العرب، حتى استعنت علي بطهر؟!.

فالتفت عمرو الى خلفه، فضربه على ساقيه؛ فقطعهما جميعاً.

وعبارة حذيفة هكذا: «وتسيف لي رجله بالسيف من اسفل فوق علي قفاه»^(١).

وتستمر رواية القمي فتقول: وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون: قتل علي بن أبي طالب، ثم انكشفت العجاجة، فنظروا،

(١) راجع عبارة حذيفة في مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٤ وج ٤١ ص ٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ و١٣٧.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين..... ٣٤١
فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدره آخذ بلحيته، يريد أن
يذبحه.

فذبحه، ثم أخذ رأسه، وأقبل الى رسول الله (ص)، والدماء
تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول
والرأس بيده:

أنا علي وأنا ابن المطلب الموت خير للفتى من الهرب
فقال له (ص): يا علي، ماكرته؟!.

قال: نعم يا رسول الله، الحرب خدعة.

وينقل المفيد عن جابر، ونقله غيره من دون تصريح باسم
الراوي قوله: فثارت بينهما قترة، فما رأيتهما. فسمعت التكبير
تحتها، فعلمت أن علياً عليه السلام قد قتله.

فانكشف أصحابه، حتى طفرت خيولهم الخندق.

وتبادر أصحاب النبي (ص) حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع
القوم، فوجدوا نوفل بن عبد الله الخ^(١).

(١) راجع فيما تقدم بتفصيل أو اجمال المصادر التالية:

سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والارشاد للمفيد ص ٦٠٥٩ وكشف
الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٣ و٢٠٤ واعلام الورى ص ١٩٤ و١٩٥ وتفسير
القمي ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٥، والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٥ - ٢٢٨ و٢٠٣ فما
بعدها ٢٥٤ - ٢٥٦ وج ٤١ ص ٩٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧٦
والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ و٤٧١
وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ و٦٤ وراجع: بهجة المحافل وشرحه
ج ١ ص ٢٦٦ و٢٦٧ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٦١ وراجع: تاريخ ابن
الوردي ج ١ ص ١٦٢ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ وراجع

٣٤٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وعند المعتزلي: ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عمرواً فكبر رسول الله (ص)، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين^(١).

وروي: أن عمرواً جرح رأس علي عليه السلام، فجاء الى رسول الله، فشده، ونفث فيه فبريء وقال: أين اكون إذا خضب هذه من هذه^(٢).

وفي القاموس وغيره: كان علي ذا شجيتين في قرني رأسه، احدهما من عمرو بن ود. والثانية من ابن ملجم. ولذا يقال له: ذو القرنين^(٣).

وعنه عليه السلام أنه قال عن عمرو: «وضربني هذه الضربة. وأوماً بيده الى هامته^(٤)».

المصادر التالية: شواهد التنزيل ج ٢ ص ١١ سنة ١٤١١ هـ. ق وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ وراجع: شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٥ و٢٩٦ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٩.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٢٠.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ وتاج العروس ج ٩ ص ٣٠٧ والنهاية لابن الأثير ج ٤ ص ٥١٥٢ والقاموس المحيط ج ٤ ص ٢٥٨ ولسان العرب ج ١٣ ص ٣٣٢ و٣٣٣ وراجع مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٣ لتجد حديث: انك لذو قرنيها. وكذا نوادر الأصول ص ٣٠٧.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٢٦٨ و٢٦٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٤.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين..... ٣٤٣

نص الحسكاني:

وقد ذكر لنا الحاكم الحسكاني بعض التفصيلات الهامة هنا، فقال:

«ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت، ثم أقبل الى علي، وكان رجلاً طويلاً، يداوي دبرة البعير وهو قائم.

وكان علي في تراب دق، لا يثبت قدماه عليه. فجعل علي ينكص الى ورائه يطلب جلدًا من الأرض يثبت قدمه، ويعلوه عمرو بالسيف. وكان في درع عمرو قصر؛ فلما تشاك بالضربة، تلقاها علي بالترس، فلحق ذباب السيف في رأس علي، حتى قطعت تسعة اكوار، حتى خط السيف في رأس علي.

وتسيف علي رجليه بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه.

وئارت بينهما عجاجة، فسمع علي يكبر. فقال رسول الله (ص): قتله والذي نفسي بيده.

فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب، فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو.

فكبر عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، قتله.

فحزّ علي رأسه، ثم أقبل يخطر في مشيته، فقال له رسول الله؛ يا علي، إن هذه مشية يكرها الله عز وجل إلا في هذا الموضع الخ^(١).

(١) شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٢١١ ط سنة ١٤١١ هـ. ق. ومجمع البيان

٣٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وفي نص آخر عند الحسكاني عن علي عليه السلام أنه لما برز لعمر و دعا بدعاء علمه إياه رسول الله (ص): اللهم بك أصول، وبك أجول، وبك أدرو في نحره^(١) لكن البعض يقول: «أتى برأسه وهو يتبختر في مشيته؛ فقال عمر: ألا ترى يا رسول الله إلى علي كيف يتيه في مشيته؟! فقال (ص): انها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام^(٢)».

نصوص أخرى:

وذكر نص آخر: أنه احتز رأسه، وحمله، وألقاه بين يدي النبي (ص)، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي، ووجه رسول الله (ص) يتهلل؛ فقال: هذا النصر، أو قال: هذا أول النصر^(٣). وقال له أبو بكر: المهاجرون والأنصار رهين شكرك ما بقوا^(٤).

وقالوا: إن علياً عليه السلام ضرب عمرواً على حبل العاتق، فسقط وثار العجاج.

وقيل: طعنه في ترقوته حتى اخرجها من مرقه، فسقط وسمع رسول الله (ص) التكبير، فعرف أن علياً قتله^(٥). وحكى البيهقي عن

ج ٨ ص ٢٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٤ عنه.

(١) شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٣ ط سنة ١٤١١ هـ. ق..

(٢) كنز الفوائد للكرجكي من ١٣٧.

(٣) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ والارشاد للمفيد ص ٦١ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٦ وج ٤١ ص ٩١ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨.

(٥) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ من ٥٣٣ و٥٣٤ والبداية والنهاية ج ٤

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين ٣٤٥
ابن اسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته^(١).

وقالوا أيضاً: أنه حين قتل علي عمرواً ومن معه «انصرف الى مقامه الأول، وقد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه الى الخندق تطير جزعاً»^(٢).

وقال علي عليه السلام في هذه المناسبة أبياتاً نذكرها، ونضم ما ذكره بعضه الى بعض، وهي:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا	عني وعنهم أخروا أصحابي
اليوم تمنعني الفسار حفيظتي	ومصمم في الرأس ليس بنباب
ألى ابن ود حين شد أليّة	وحلفت فاستمعوا الى الكذاب
أن لا أصد ولا يولي والتقى	رجلان يضطربان كل ضراب
عرف ابن عبد حين ابصر صارماً	يهتز أن الأمر غير لعاب
أرديت عمرواً إذ طغى بمهند	صافي الحديد مجرب قضاب
نصر الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرت رب محمد بصواب
فصدرت حين تركته متجدلاً	كالجذع بين ذكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني	كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبُن الله خاذل دينه	ونبيه يا معشر الأحزاب ^(٣)

ص ١٠٦ و ١٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ وخاتم النبیین ج ٢ ص ٩٣٧.

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

(٢) راجع: الارشاد للمفيد ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٤.

(٣) هذه الأبيات توجد موزعة ومجمعة في مصادر كثيرة. لكن رواية السهيلي لها تختلف جزئياً عما ذكرناه هنا.

ومهما يكن من أمر؛ فإن ما ذكرناه مذكور كله، أو بعضه في المصادر التالية وغيرها:

٣٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي رضي الله تعالى عنه^(١).

وستأتي لنا وقفة مع ابن هشام فيما يرتبط بكلامه هذا، وما أشبهه مما سيأتي.

وخرجت خيولهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق.

قال ابن هشام وغيره: والقي عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ، وهو منهزم عن عمرو؛ فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فرّ والقي لنا رمحه لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم ما إن تجور عن المعدل

سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ١٩٩ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٣ والبدایة والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ والارشاد للمفيد ص ٥٩ و٦١ واعلام الوری ط دار المعرفة ص ١٠٠ و١٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣/٣٤٤ والبحار ج ٤١ ص ٩١ عن المناقب وج ٢٠ ص ٢٠٥ و٢٠٦ عنه وص ٢٥٤ و٢٥٧ عن الارشاد وص ٦٥ عن الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام ص ٢٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٨/١٦٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧/١٣٨ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٦ وكنز الفوائد للكراچكي ١٣٧ و١٣٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ والبدایة والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ عن ابن هشام.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٤٧.....
ولم تلق ظهرك مستأنساً كأن قفاك قفا فرعل^(١)

وحول مبارزة علي لعمر، وقتله على يده. راجع المصادر
الموجودة في الهامش^(٢) وبعضها قد صرح بأن النبي (ص) قد ردّ علياً
عليه السلام مرتين، وأجازه في الثالثة^(٣).

وذكرت أبيات عمرو في طلب البراز، وجواب علي له بشعر
على نفس الوزن والقافية في كثير من المصادر أيضاً^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ و٥٣٥ وراجع: خاتم النبيين ج ٢
ص ٩٣٨ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣
ص ٢٣٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٤
ص ١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ و٢٠٥ وشرح الأخبار ج ١
ص ٢٩٦.

(٢) راجع فيما عدا المصادر التي تقدمت في الهوامش السابقة ما يلي: مرآة
الجنان ج ١ ص ١٠ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وراجع: جوامع السيرة
النبوية ص ١٥٠ والوفا ج ٢ ص ٦٩٣ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٢
وانساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وتاريخ
اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ و٢٦٧ وراجع:
اعلام الوري ط دار المعرفة ص ١٠٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢
ق ٢ ص ٣٠ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ وتجارب الأمم
ج ٢ ص ١٥٣ والأوائل للعسكري ج ٢ ص ٢٢٣ والطرائف ص ٦٠ والبحار
ج ٣٩ ص ١ عنه.

(٣) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٧ وينابيع المودة ص ٩٤ وشواهد التنزيل ط سنة
١٤١١ هـ. ق. ج ٢ ص ١٠ وينابيع المودة ص ١٣٦.

(٤) راجع عدا المصادر المتقدمة ما يلي: كشف الغمة للإربلي ج ١
ص ١٩٨ و١٩٩ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ والبحار ج ٢٠
ص ٢٢٥ و٢٦٦ و٢٣٩ عن ديوان أمير المؤمنين ص ٦٧ وشرح نهج البلاغة

٣٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

يقول أهلك ما لا لبداً:

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر في قوله: يقول أهلك ما لا لبداً. قال: هو عمرو بن عبد ود، حين عرض عليه علي بن أبي طالب الاسلام يوم الخندق، وقال: فأين ما أنفقت فيكم ما لا لبداً. وكان قد انفق ما لا في الصد عن سبيل الله، فقتله علي^(١).

ولم نجد هذه الرواية الا في تفسير القمي، فليلاحظ ذلك ولنا مع ما تقدم وقفات، هي التالية:

لماذا طلب عمرو من علي أن يرجع:

قال المعتزلي الشافعي، حين بلغ في حديثه الموضع الذي يطلب فيه عمرو من علي أن يرجع لأنه لا يحب أن يقتله:

«كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول - إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع -: والله، ما أمره بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله. فاستحيا أن يظهر الفشل؛ فأظهر الإبقاء والإرعاء وإنه لكاذب فيهما»^(٢).

للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٣ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٧ و١٦٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ و٣١٩.

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٤٢٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وراجع البحار ج ٢٠ ص ٢٧٤ وسيرة المصطفى ص ٥٠٢.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٤٩

علي (ع) غلام حدث؟! وشيخا قريش:

وقد تقدم أن رواية الواقدي تقول: «فأنت غلام حدث، إنما أردت شيخي قريش أبا بكر وعمر»^(١).

ورواية المعتزلي تقول: «إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاماً خدعني»^(٢).

ونقول:

ألف: أما بالنسبة لصغر سن علي عليه السلام فقد كان عمر علي حينئذ سبعة وعشرين أو ثمانية وعشرين عاماً. كما هو الأصح والأقوى، بل بعض الأقوال تزيد في عمره عدة سنوات أخرى على ذلك. ولا يقال لمن هو بهذا السن: أنه غلام حدث.

ب: بالنسبة لأبي بكر وعمر، فإنهما لم يكونا شيخي قريش آنئذ، ولا قبل ذلك أيضاً.

ولم يكونا أيضاً معروفين بالفروسية والشجاعة ليقصدهما عمرو بالبراز، الذي يريد أن يكتسب به مجداً وشهرة عامة. فقتلهما لم يكن ليكسر شوكة المسلمين العسكرية. أما قتل علي فهو المقصود بعد النبي لهم؛ لأنه هو الذي قتل فرسانهم في بدر وأحد.

ومن جهة ثالثة: فقد تقدم أن ضرار بن الخطاب وخالد بن الوليد لم يقتلا عمر في أحد وفي الخندق، رغم تمكنهما من ذلك.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤.

٣٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
بل كان الموقف منه ترشح منه روائح المودة والمحبة، والإهتمام
بمنجاته.

وهل خلص أسرى المشركين في بدر غير أبي بكر حسبما تقدم
بيانه؟.

جرح علي (ع):

وهل جرح علي حقاً بسيف عمرو؟! وكان ذا شجتين؟! أم أن
المقصود هو أظهار شجاعة عمرو وفروسيته في مقابل علي عليه
السلام؟!.

إن البلاذري يقول: ويقال: إن علياً لم يجرح قط^(١).

الكبرياء والخطيئة:

ذكر الحاكم الحسكاني: أن علياً عليه السلام حينما برز لعمرو
وكان عمرو طويلاً.

«جاء حتى وقف على عمرو، فقال: من أنت؟!.

فقال عمرو: ما ظننت أنني أقف موقفاً أجهل فيه، أنا عمرو بن
عبد ودّ، فمن أنت؟.

قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: الغلام الذي كنت أراك في
حجر أبي طالب؟.

قال: نعم.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ وانساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين..... ٣٥١

قال: إن أباك كان لي صديقاً، وأنا أكره أن أقتلك.

فقال له علي: لكنني لا أكره أن أقتلك.

ثم ذكر تخييره بين الخصال الثلاث، فرفضها، فقال له علي:
فأنت فارس وأنا راجل.

فنزل عن فرسه وقال: ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا
الغلام^(١).

فعلي إذن يريد إذلال عمرو، وتحطيم كبريائه. وقد تحقق له ما
أراد، حتى شكك ذلك عمرو نفسه كما ترى.

إنه عمرو:

قد اعتبر الاسكافي: أن النبي صلى الله عليه وآله قد ضمن بعلي
عليه السلام عن مبارزة عمرو، حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً،
وفي كلها يحجمون، ويقدم علي، فيسأل الاذن له في البراز، حتى
قال له رسول الله: إنه عمرو.

فقال: وأنا علي^(٢).

ونقول:

إننا لا نعتقد: أن هذا الكلام دقيق، فإن النبي (ص) كان يعلم
قدرات علي عليه الصلاة والسلام، ومدى ما عنده من استعداد
للتضحية والاقدام في سبيل الله سبحانه، ومواقفه في بدر، وصدده

(١) شواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ هـ. ق. ج ٢ ص ١١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٣ و ٢٨٤.

٣٥٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

للكتائب في أحد، حتى نادى الملك بين السماء و الأرض:

لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار

وقد كانت هذه المواقف معروفة لدى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من أي شيء شخص آخر. وهو الذي ربي علياً عليه السلام، وعلمه وهذبه، ودربه. والصحيح هو ما ذكره بعض المؤرخين حسبما تقدم وهو أنه أراد أن يفسح المجال أمام الآخرين؛ فكان يأمره بالجلوس، انتظاراً منه ليتحرك غيره. وليعلم بذلك فضله، ويظهر زيف دعوى من سوف يحاول الدس والتشويه، وإطلاق الدعاوى الفارغة، لأهداف سياسية، وغيرها.

إذن، فنستطيع أن نلخص الأسباب في ضمن النقاط التالية: .

١ - لكي يظهر للجميع: أن غير علي عليه السلام قد أحجم عن مبارزة عمرو خوفاً وجبناً. ولولا أنه (ص) أمره بالجلوس ثلاث مرات لكان من الممكن للبعض أن يدعي: أن كل واحد من المسلمين كان قادراً على مبارزة عمرو وقتله، لكن علياً سبقهم إلى الاستئذان لمبارزته، رغبة منه في الثواب، وحرصاً على الأجر. وهو أمر يشكر عليه.

٢ - إنه (ص) كان يريد أن يظهر للناس جميعاً: أن عليهم النظر إلى بواطن الأمور، فلا تغرهم الدعاوى العريضة والشعارات الرنانة والانتفاخات الكاذبة في حالات الأمن والرخاء. ولا يجوز أن يخططوا ويقرروا ويتخذوا المواقف استناداً إلى ذلك بل لا بد من اختبار القدرات والطاقات في الحالات الصعبة، واللحظات المصيرية..

٣ - وكان لا بد من التنويه بجهد علي عليه السلام، وتعريف

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٥٣

الناس بمن يضحى ويبذل نفسه في سبيل الله سبحانه، وبمن يستثمر تضحيات الآخرين ويسرق جهدهم وجهادهم. لمصلحة نفسه أو من يمت إليه بصلة أو رابطة.. ويتضح ذلك من قوله (ص) لعلي: إنه عمرو^(١).

وبذلك يتضح: أن عدم الإذن لعلي عليه السلام بمارزة عمرو في بادئ الأمر، لم يكن رغبة بعلي عن المخاطر، وحبا بالإبقاء عليه، وتعرض غيره لذلك.

٤ - وقوله (ص) له: إنه عمرو، فارس ليل أو نحو ذلك، ليفهم الناس: أن هذا الاقدام من علي عليه السلام ليس مجرد نزوة طائشة، ألقى نفسه بسببها في المهالك، دون أن يكون عارفاً بحقيقة عمرو، ومكانته في الفروسية، ثم حالفه الحظ فقتله، لأن علياً رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، كما يريد أعداؤه أن يقولوا.

بل كان هذا الاقدام منه عن علم وتثبت، واطلاع تام على شجاعة عمرو، ومكانته بين فرسان العرب.

الخصال الثلاث:

وحين عرض علي عليه السلام الخصال الثلاث على عمرو، نجد أن هذه الخصال قد جاءت من خلال الوعي والاحساس بالمسؤولية، وفي أعلى درجات السداد، وفي منتهى الموضوعية والنصفة. وتركت عمرواً يبوء بعار البغي، والعدوان، والتجني بلا

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٦ و ٢٠٣ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣.

٣٥٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

مبرر، ولا سبب على الإطلاق.

فلم يفرض عليه أن يسلم فقط، بل هو كما عرض عليه أن يسلم من منطلق الانصاف في الدعوة، ولأعطائه فرصة أخيرة لينقذ نفسه من النار؛ فإنه أيضاً يقدم له خياراً آخر لا يتعارض مع رغائبه وطموحاته، ولا مع آرائه ومعتقداته. وهو أن يرجع عن حرب محمد والمسلمين، ثم قدم له ما يثير اهتمامه، ويقربه إلى اختيار هذه الخصلة مثيراً أمامه ما يوجب إعادة النظر في صوابية القرار الذي اتخذه في خصومته لمحمد، مستثيراً في نفسه نوازع الطموح ومستحثاً في داخله المشاعر القبلية التي ينزع إليها، ويعتمد عليها. حين ذكر له: أنه إن يكن محمد صادقاً كان أسعد الناس به. وإن يك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب أمره. وفي كلمته الأخيرة تلويح يقرب من التصريح بما يراود النفوس عادةً من حب السلامة والراحة والابتعاد عن المشاكل والمخاطر.

ولكن ما احتج به عمرو لاتخاذ قراره برفض هذه الخصلة الثانية ما كان غير سراب خادع ينطلق من غرور وعنجهية لا مبرر لهما؛ إلا روح الاستكبار والبغي والتجني والظلم الذي جره بالتالي إلى الخزي والخسران في الدنيا وفي الآخرة، وساء للظالمين بدلاً.

ولم يبق أمام أمير المؤمنين إلا أن يبادر إلى دفع غائلة هذا الظالم المتجبر فكان النصر على يديه، وكانت ضربته له التي تعدل عبادة الثقلين.

قطع رجل عمرو:

ويقول ابن شهر آشوب: «وتبادر المسلمون يكبرون، فوجدوه على فرسه برجل واحدة، يحارب علماً عليه السلام، ورمى رجله نحو

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين ٣٥٥
علي. فخاف من هيبتها رجلاً، ووقع في الخندق»^(١).

وهذا النص غير معقول، وذلك لأنه إذا كان على فرسه برجل واحدة، فإنه لا يستطيع أن يأخذ رجله عن الأرض ويرمي بها علياً أو غيره، لأنها حين تقطع لا بد أن يقع القسم المقطوع منها على الأرض إلا أن يكون قد فعل ذلك بعد وقوعه على الأرض.

علي ودرع عمرو:

لما قتل علي عمراً، وأقبل نحو رسول الله (ص)، ووجهه يتهلل قال له عمر بن الخطاب: هلا سلبته يا علي درعه؟! فإنه ليس في العرب درع مثلها.

فقال علي عليه السلام: إني استحييت أن أكشف سوءاً ابن عمي. أو قال: ضربته فاتقاني بسوأتها، فاستحييت من ابن عمي أن أسلبه.

وعند الحسكاني: أن النبي (ص) سأل علياً عن سبب عدم سلبه له^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧.

(٢) راجع: الارشاد للمفيد ص ٦١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وشواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ هـ. ق ج ٢ ص ١٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٧ و ٢٠٤ وج ٤١ ص ٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ و ٥٣٥ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٣ والبدایة والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٨٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠ وخاتم النبیین ج ٢ ص ٩٣٨ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٤.

٣٥٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

ويقال: إنه حين جلس على صدر عمرو، يريد أن يذبحه، وهو يكبر الله ويمجده طلب منه عمرو أن لا يسلبه حلقته، فقال له علي: هي علي أهون من ذلك ثم ذبحه^(١).

وزعم الحلبي: أن هذا اشتباه من الرواة، وأن ذلك كان في حرب أحد مع طلحة بن أبي طلحة^(٢).

ويردّ قوله: أنه في قضية أحد كان السؤال من سعد لعلي. وفي الخندق كان السؤال من عمر لعلي، فهما قضيتان.

ونعود فنذكر كلام المعتزلي، وهو يقارن بين علي وسعد بن أبي وقاص في ذلك:

«قلت: شتان بين علي وسعد، هذا يجاحش على السلب، ويتأسف على فواته (كما في قصة أحد) وذلك يقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، وهو فارس قریش وصنديدها، ومبارزه فيعرض عن سلبه، فيقال له: كيف تركت سلبه، وهو أنفُس سلب؟!.

فيقول: كرهت أن أبز السبي ثيابه.

فكان حبيباً (أي أبا تمام) عنه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتهما يوم الكريهة في المسلوب لا السلب^(٣)

ونقول:

إننا لا نريد أن نضيف إلى ذلك شيئاً، غير أن ما يستوقفنا هنا

(١) كنز الفوائد للكراچكي ص ١٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين..... ٣٥٧
هو ما نجده من حرص واهتمام ظاهر لعمر بن الخطاب بأمر الدرع كي لا تفوت علياً، وكأنه يظن أنه عليه السلام إنما يحارب ليحصل على الغنائم والأسلاب. ولم يلتفت إلى أن ما يهم علياً هو الدفاع عن أساس الدين، وفتح باب الأمل على مصراعيه أمام المسلمين المهزومين نفسياً، كما أخبر الله عنهم:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ، وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونُ. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا. إِلَى أَن قَالَ: وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

أما جواب أمير المؤمنين عليه السلام لعمر، ففيه تأكيد منه على أنه عليه السلام: لم يزل ولا يزال يتصرف وفق قواعد النبل والرجولة والقيم، حتى في مثل هذا الموقف الذي هو أكثر المواقف صعوبة وخطراً، حيث تزل فيه الأقدام، وتضيع فيه المعايير والضوابط في زحمة الأهوال والمخاطر، وفي خضم ثورات النفوس والمشاعر.

فسلام الله عليك يا أبا الحسن، يوم ولدت في الكعبة، ويوم اغتالتك يد الإفك والحق في مسجد الكوفة، ويوم تبعث حياً، حيث تقف لتسقي المؤمنين والمجاهدين من يدك على حوض الكوثر.

قتلته في الله:

ولما أدرك علي عليه السلام عمرو بن عبد ودّ لم يضربه؛ فوقعوا في علي عليه السلام؛ فردّ عنه حذيفة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مه يا حذيفة، فإن علياً سيذكر سبب وقفته.

٣٥٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

ثم إنه ضربه .

فلما جاء سأل النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي؛ فخشيت أن أضربه لحظ نفسي؛ فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله^(١).

نعم، هذا هو الرجل الإلهي، الذي يتعامل مع كل الأمور من موقع المعرفة، والوعي، والثبات والتثبت، ويصل كل أعماله، ما دق منها وقل، وما عظم وجل بالله سبحانه، ليقربه خطوة إليه .

إنه ذلك الجبل الأشم الشامخ، الذي لا تزلله الرياح العواصف، وهو الإنسان القوي و الرصين، الذي لا يثور ولا يغضب إلا لله، والله فقط، وحده لا شريك له .

فبارادة الله ورضاه يسل سيفه، ويقا تل الأبطال، ويسحق كل جبروتهم وكبرياتهم، وهو يغم د سيفه ويستسلم لارادة الله سبحانه وامثالاً لأمره، حين يهجمون عليه في بيته، ويضربون زوجته، ويسقطون جنينها، ويحرقون عليه بيته، أو يكادون. وهو علي هنا، وهو علي هناك، ولا أحد غير علي يستطيع أن يفعل ذلك .

الوسام الإلهي:

عن ابن مسعود، وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، قال: قال رسول الله (ص) لمبارزة علي (أو قتل علي) لعمر و بن عبدود (أو ضربة علي يوم الخندق) أفضل (أو خير) من عبادة الثقلين، أو أفضل من أعمال

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١٥ والبحار ج ٤١ ص ٥١ .

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٥٩
أمتي إلى يوم القيامة^(١).

وفي نص آخر عن ابن مسعود: أبشر يا علي، فلو وزن عملك
اليوم بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم^(٢)، زاد المجلسي، والطبرسي
قوله:

«وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن
بقتل عمرو. ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز

(١) راجع النصوص التي تشير إلى ذلك في: كنز العمال ج ١٢ ص ٢١٩ وتاريخ
بغداد ج ١٣ ص ١٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٤٥ ومستدرك الحاكم
ج ٣ ص ٣٢ وتلخيصه للذهبي بهامشه والمناقب للخوارزمي ص ٥٨
ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨ وشرح المواقف ج ٨ ص ٣٧١ وفرائد
السمطين ج ١ ص ٢٥٦ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ١٤ ط سنة ١٤١١ هـ. و
الغدير عن بعض من تقدم، وعن هداية المرتاب ص ١٤٨ والتفسير الكبير
للرازي ج ٣٢ ص ٣١ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٣٢٣
وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ وينايع المودة ص ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ وسعد
السعود ص ١٣٩ والطرائف ص ٦٠ وكنز الفوائد للكراچكي ص ١٣٧
والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ و ٣٢٠ وشرح المقاصد للفتازاني ج ٥
ص ٢٩٨ وفردوس الأخبار ج ٣ ص ٤٥٥ ونفحات اللاهوت ص ٩١
ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٤١ ص ٩١ و ٩٦ و ج ٢٠
ص ٢٠٥ واحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ و ج ٦ ص ٥ و ج ١٦ ص ٤٠٣
عن بعض من تقدم، وعن حياة الحيوان ط القاهرة ص ٢٧٤ وعن المصادر
التالية: نهاية العقول ص ١١٤ (مخطوط) وروضة الأحاب
للدشتكي (مخطوط) ص ٣٢٧ وتجهيز الجيش للدهلوي (مخطوط)
ص ٤٠٧ و ١٦٣ ومفتاح النجا ص ٢٦ وتاريخ آل محمد لبهجت أفندي
ص ٥٧ ومناقب علي ص ٢٦ ووسيلة النجا ص ٨٤.

(٢) ينايع المودة ص ٩٤ وشواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ هـ ص ١٢.

٣٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
بقتل عمرو»^(١).

تمحلات وتعصبات ابن تيمية:

وقد اعتبر ابن تيمية حديث: قتل علي لعمره أفضل من عبادة الثقلين، ونحوه، من الأحاديث الموضوعة، التي ليس لها سند صحيح، ولم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من الكتب التي يعتمد عليها. بل ولا يعرف له اسناد صحيح ولا ضعيف. وهو كذب لا يجوز نسبته إلى النبي (ص)؛ فإنه لا يجوز أن يكون قتل كافر أفضل من عبادة الجن والإنس، فإن ذلك يدخل فيه عبادة الأنبياء.

وقد قتل من الكفار من كان قتله أعظم من قتل عمرو، مثل أبي جهل وعقبة بن أبي معيط، وشيبة.

وقصته في الخندق لم تذكر في الصحاح^(٢).

أما الذهبي، فقال عن حديث: ضربة علي أفضل من عبادة الثقلين إلخ: «قبح الله رافضياً افتراه»^(٣).

ونقول:

قد رد الحلبي استبعاده أن تكون ضربة عمرو أفضل من عبادة

(١) راجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٥ وشواهد

التنزيل ط سنة ١٤١١ هـ ج ٢ ص ١٢ وكنز الفوائد للكراچكي ص ١٣٧.

(٢) منهاج السنة ج ٤ ص ١٧١ و ١٧٢ باختصار. والسيرة الحلبيّة ج ٢ ص ٣٢٠ وسيرة الرسول ص ٢٢٠ ط سنة ١٩٦٨ دار الفكر للجميع.

(٣) تلخيص مستدرک الحاكم للذهبي (مطبوع بهامش المستدرک نفسه) ج ٣ ص ٣٢ والسيرة الحلبيّة ج ٢ ص ٣٢٠.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٦١
الثقليين بقوله: «فيه نظر، لأن قتل هذا كان فيه نصرة للدين، وخذلان
للكافرين»^(١).

فإنه إذا كانت قد زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر،
وصاروا يظنون الظنون السيئة بالله سبحانه. وإذا كان المسلمون قد
أحجموا عن مبارزة عمرو، خوفاً ورعباً، وكانوا كأن على رؤوسهم
الطير.

وإذا كان عمرو هو فارس الأحزاب، الذين هم ألوف كثيرة،
وقد جاؤا لاستئصال المسلمين، وهم قلة، وقد جاءهم اليهود من
جانب، وقريش من جانب، وغطفان من جانب. وكانوا في أشد
الخوف على نساءهم وذرائعهم.

وإذا كان المنافقون لا يألون جهداً في تخذيل الناس وصرفهم
عن الحرب، حتى أصبح الرسول (ص) في قلة قليلة، لا تزيد على
ثلاث مئة رجل. بل قيل لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً كما
سنرى.

وإذا كان الجوع والبرد يفتكان فيهم، ويضعفان من عزائمهم..
نعم، إذا كان ذلك، فمن الطبيعي: أن يكون قتل هذا الكافر فيه
حياة الإسلام، وانتعاش المسلمين، وفيه خزي الأحزاب، وفشلهم،
وسياتي بعض الكلام حول: أن النصر كان بسبب قتل عمرو في الفصل
التالي إن شاء الله.

وأما بالنسبة لضعف سنده، وعدم ذكره في الصحاح؛ فلا يقلل
ذلك من قيمته واعتباره إذ ما أكثر الأحاديث الصحيحة، والمتواترة

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

٣٦٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

التي لم تذكر في كتب الصحاح.

وقد عرفنا تعصب أصحاب الصحاح على علي عليه السلام وأهل بيته، وقول ابن تيمية ليس له سند ضعيف ولا صحيح يكذبه رواية المستدرک لهذا الحديث عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه، عن جده وقد قال أبو داود: بهز بن حكيم أحاديثه صحاح^(١).

شهادة حذيفة:

قال المفيد:

«روى قيس بن الربيع، قال: حدثنا أبو هرون العبدي، عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت له: يا أبا عبدالله، إنا نتحدث عن علي عليه السلام ومناقبه؛ فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تفرطون في علي عليه السلام. هل أنت محدثي بحديث فيه؟»

فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن علي عليه السلام! فوالذي نفسي بيده، لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد (ص) في كفة الميزان، منذ بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل علي عليه السلام في الكفة الأخرى لرجح عمل علي (ع) على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد.

فقال حذيفة: يا لكع: وكيف لا تحمل؟ وأين كان أبو بكر،

(١) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ٣٨١. وراجع سائر كتب الرجال والتراجم مثل تهذيب التهذيب، وتهذيب الكمال، وغير ذلك.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين..... ٣٦٣
وعمر، وحذيفة، وجميع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يوم عمرو
بن عبد ودّ، وقد دعا إلى المبارزة؛ فأحجم الناس كلهم ما خلا
علياً (ع)، فإنه برز إليه وقتله الله على يده. والذي نفس حذيفة بيده -
لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد (ص) إلى يوم
القيامة^(١).

شهادات، ومواقف أخرى:

شهادة أبي الهذيل والمعتزلي.

قال المعتزلي:

١ - «فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد
ود، فإنها أجل من أن يقال: جليلة، وأعظم من أن يقال: عظيمة.

٢ - وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل، وقد سأله سائل:
أيما أعظم منزلة عند الله، علي، أم أبو بكر؟

فقال: يا ابن أخي، والله، لمبارزة علي عمرواً يوم الخندق.
تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها، تربى عليها، فضلاً
عن أبي بكر وحده.

٣ - وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو

(١) الإرشاد ص ٥٥ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ وسيرة المصطفى
ص ٥٠٤ شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٠ و ٦١ وإعلام الوری ط دار
المعرفة ص ١٩٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ ونهج الحق
ص ٢٤٩ / ٢٥٠ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٩ / ٣٠٠.

٣٦٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
أبلغ منه^(١) إلخ...».

وعن حذيفة: لو قسمت فضيلة علي عليه السلام بقتل عمرو يوم
الخنندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم^(٢).

٤ - وقال أبو بكر بن عياش: لقد ضرب علي ضربة ما كان في
الإسلام أعزّ منها - يعني ضربة عمرو بن عبد ودّ - . ولقد ضرب علي
ضربة ما ضرب في الإسلام أشأم منها - يعني ضربة ابن ملجم لعنه
الله^(٣).

٥ - وقال الحافظ يحيى بن آدم - أو جابر بن عبد الله الأنصاري:
ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: ﴿فهزمهم باذن الله، وقتل
داود جالوت﴾^(٤).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٩ ص ٦٠. وعنه في احقاق
الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٨ وسيرة المصطفى ص ٥٠٣ والبحار ج ٢٠
ص ٢٧٣.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٤.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦١ والنص للمفيد في الارشاد ص ٦١
وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ والبحار
ج ٢٠ ص ٢٠٦ و ٢٥٨ و ج ٤١ ص ٩١ ومناقب آل أبي طالب ج ٣
ص ١٣٨.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ والإرشاد للمفيد ص ٦٠ وكشف الغمة
للإربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٤ وتلخيصه للذهبي
بهامشه واعلام الوری ط دار المعرفة ص ١٩٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٦ و
ج ٤١ ص ٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وشرح نهج البلاغة
للمعتزلي الشافعي ج ١٩ ص ٦١ و ٦٢ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٦
وكنز الفوائد للكراچكي ص ١٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٦٥

٦ - وروي أن عمرواً قال لعلي: ما أكرمك قرناً^(١).

لا نأكل ثمن الموتى:

قال ابن إسحاق - كما رواه البيهقي عنه - وبعث المشركون إلى رسول الله (ص) يشترون جيفة عمرو بن عبد ودّ بعشرة آلاف.

فقال رسول الله (ص): هو لكم، لا نأكل ثمن الموتى^(٢).

وقال أبو زهرة: «ويظهر: أنه كان عظيماً بين المشركين، يعتزونه، فأرسلوا يطلبون جثمانه^(٣)».

وقد ذكرت نفس هذه الحادثة بالنسبة لجيفة نوفل بن عبد الله بن المغيرة، ونكاد نشك في صحة ذلك. ولعل الزبيريين قد حرفوا ما جرى لجيفة عمرو ليكون لصالح جيفة نوفل وذلك بهدف تضخيم شأن نوفل، ليصبح أهم من عمرو بن عبد ودّ، زعماً منهم أن روايتهم المكذوبة: أن الزبير قد قتل نوفلاً قد راجت على الناس. وسيأتي أن علياً أيضاً هو الذي قتل نوفلاً وغيره.

وإن كنا نحتمل أيضاً: أن يكون بنو مخزوم قد طلبوا جيفة صاحبهم ليرفعوا من شأنه حتى لا يكون أقل من عمرو.

-
- (١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ والبحار ج ٤١ ص ٩٠.
 (٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.
 (٣) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.

٣٦٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

فرح الملائكة بقتل عمرو:

عن الصادق (ع): لما قتل علي عليه السلام عمرو بن عبد ود أعطى سيفه الحسن (ع) وقال: قل لأمك تغسل هذا الصيقل، فردّه وعلي عند النبي (ص) وفي وسطه نقطة لم تنق. قال: أليس قد غسلته الزهراء.

قال: نعم.

قال: فما هذه النقطة؟

قال النبي: يا علي، سل ذا الفقار يخبرك.

فهزه، وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة من دم الرجس النجس؟^١

فأنطق الله السيف فقال: بلى، ولكنك ما قتلت بي أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبد ود؛ فأمرني ربي فشربت هذه النقطة من دمه. وهو حظي منه، فلا تنتهيني يوماً إلا ورأته الملائكة وصلت عليك^(١).

وليس لدينا ما يثبت أو ينفي صحة هذه الرواية. وحين يصعب علينا فهم بعض ما ورد فيها، فإن علينا أن نكل علم ذلك إلى أهله، مادام أن ذلك لا يمس أساس العقيدة، ولا يؤثر على الضوابط والمرتكزات العامة للبحث العلمي الرصين.

(١) البحار ج ٢٠ ص ١٥٠/٢٤٩ والخرائج و الجرائح ج ١ ص ٢١٥/٢١٦.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين..... ٣٦٧

قتل عمرو هزم بني قريظة والأحزاب

وحين أرسل النبي (ص) علياً إلى بني قريظة قال له: «إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد ود، لا يخذلك»^(١).

قال علي عليه السلام: «فاجتمع الناس إلي، وسرت حتى دنوت من سورهم؛ فأشرفوا علي، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو. وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو.

وجعل بعضهم يصيح ببعض، ويقولون ذلك. وألقى الله في قلوبهم الرعب، وسمعت راجزاً يرتجز:

قتل علي عمرواً صاد علي صقراً
قصم علي ظهراً أبرم علي أمراً
هتك علي ستراً

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك»^(٢).

وكما كان قتل عمرو سبباً لهزيمة بني قريظة فإنه كان أيضاً سبباً لهزيمة الأحزاب كما سيأتي. وقد أقنع قتله وقاتله ونوفل بن عبد الله أقنع قريشاً ومن معها: أن أية مغامرة من هذا القبيل سيكون مصيرها الفشل الذريع، والخيبة القاتلة. وسيأتي في أواخر الفصل التالي نصوص تدل على أن قتل عمرو ومن معه كان سبب هزيمة الأحزاب فانتظر.

(١) الإرشاد للمفيد ص ٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦١ وج ٤١ من ٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٤٥.

(٢) الإرشاد للمفيد ص ٥٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٢/٢٦١ وج ٤١ ص ٩٥ و ٩٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٤٥.

٣٦٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

الخوارج وحديث قتل عمرو:

كنا نتوقع كل شيء من أعداء علي عليه الصلاة والسلام. إلا أننا لم نتوقع أبداً أن يشككوا في قتل علي عليه السلام لعمرو بن عبد ود. وقد ألفت نظري الحاكم النيسابوري، وهو يورد في مستدركه. أحاديث صحيحة تثبت قتل علي (ع) لعمرو؛ فتساءلت في نفسي عن الداعي لإيراد أحاديث في أمر هو من أوضح الواضحات وأجلاها. وإذا به هو نفسه يصرح بسبب ذلك. ويبين لنا: أن أعداء علي قد حاولوا التشكيك حتى بهذا الأمر. فهو يقول:

«قد ذكرت في مقتل عمرو بن عبد ود من الأحاديث المسندة، ومما عن عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار ما بلغني، ليتقرر عند المنصف من أهل العلم: أن عمرو بن عبد ود لم يقتله، ولم يشترك في قتله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وإنما حملني على هذا الاستقصاء فيه قول من قال من الخوارج: أن محمد بن مسلمة أيضاً ضربه ضربة، وأخذ بعض السلب.

ووالله، ما بلغنا هذا من أحد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وكيف يجوز هذا وعلي رضي الله عنه يقول ما بلغنا: إنني ترفعت عن سلب ابن عمي، فتركته. وهذا جوابه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين..... ٣٦٩ وسلم^(١) انتهى.

متى قتل عمرو؟:

أما متى قتل عمرو، فإن اليعقوبي يقول: إن قتله كان بعد مضي خمسة أيام من الحصار^(٢).

لكن آخرين يقولون: إن ذلك كان بعد مضي بضع وعشرين ليلة منه^(٣).

وفريق ثالث يقول: بعد مضي شهر من الحصار^(٤).

ونحن نستقرب هذا الأخير، وذلك لما تقدم من أن الحصار قد دام شهراً، وقد علمنا أن قتل عمرو، كما سيأتي في أواخر الفصل التالي كان سبب هزيمة الأحزاب بالإضافة إلى الريح العاتية التي أرسلها الله تعالى عليهم.

قتل حسل بن عمرو بن عبدود:

قال ابن هشام: حدثني الثقة، أنه حدث عن ابن شهاب الزهري، أنه قال: قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود،

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

(٣) الإرشاد للمفيد ص ٥٧ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٣ وإعلام الوری ص ٩١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ و ٢٥١ و ٢٥٣ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦.

(٤) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٢ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥.

٣٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وابنه حسل بن عمرو. قال ابن هشام: عمرو بن عبد ود. ويقال: عمرو بن عبد^(١).

قتل نوفل بن عبدالله:

قد ادعت بعض المرويات: أن الزبير بن العوام هو الذي قتل نوفل بن عبدالله فهي تقول: «رجع المشركون هارين، وخرج في آثارهم الزبير وعمر بن الخطاب، فناوشوهم ساعة. وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبدالله بالسيف، حتى شقه باثنين. وقطع ابدوج (أو اندوج) سرجه. حتى خلص إلى كاهل الفرس.

فقال: يا أبا عبدالله، ما رأينا مثل سيفك!!

فقال: والله، ما هو السيف، ولكنها الساعد»^(٢).

وذكر البعض: أن نوفلاً سأل المبارزة، فبارزه الزبير، فشقه باثنين، حتى قلّ في سيفه فلا، وانصرف، وهو يقول:

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٥ وراجع: سيرة المصطفى ص ٥٠٣/٥٠٢ عنه والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ١٩٨ و١٩٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وراجع: نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١ و٤٧٢ لكنه ذكره بلفظ يقال، وراجع المصادر التالية: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٨ وفيه: عثمان بن عبدالله.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين..... ٣٧١

إنني امرؤ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأمي^(١)

لكن نصاً آخر يقول: إنه لما وقع نوفل في الخندق، وجعل المسلمون يرمونه، وطلب أن ينزل بعضهم إليه ليقاتله، فقتله الزبير بن العوام^(٢).

وفي الوفاء: بارزه الزبير، فقتله، ويقال قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة^(٣) قال دحلان: «ويمكن أن علياً والزبير رضي الله عنهما اشتركا في قتله»^(٤).

ونقول:

إننا نشك في ذلك كثيراً، وذلك للأمور التالية:

١ - إن البعض ينسب قتل نوفل إلى المسلمين، فهو يقول عن عمرو:

«ودنا منه علي، فلم يكن بأسرع من أن قتله علي، فولى أصحابه الأدبار. وسقط نوفل بن عبدالله عن فرسه في الخندق، فرمي بالحجارة

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ وراجع: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٩ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦، وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٥.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

(٤) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

٣٧٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
حتى قتل»^(١).

٢ - وقال البلاذري وغيره: «ونجا أصحاب عمرو إلا رجلاً سقط في الخندق، فتكسر، ورماه المسلمون حتى مات»^(٢).

٣ - أما ابن الأثير فقد حاول أن يبين الأمر، حيث قال:
«وقتل مع عمرو رجلان، قتل علي أحدهما، وأصاب الآخر سهم مات منه بمكة»^(٣).

فإذا عرفنا: أنه مقصوده بالرجل الآخر الذي قتله علي ليس هو
حسل بن عمرو، لأن كثيراً من المؤرخين سكتوا عن ذكره، وهم
مجمعون على قتل نوفل بن عبد الله.

وعرفنا أيضاً: أن الذي أصابه سهم فمات منه بمكة هو - كما
سيأتي - منبه بن عثمان، أو عثمان بن أمية بن منبه^(٤).

فإننا نعرف أنه يقصد بالذي قتله علي هو نوفل بن عبد الله
بالذات.

(١) امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ عن معالم التنزيل، وراجع: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ عن ابن عائذ. وراجع أيضاً: المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ و ٣٢٠. وراجع كذلك: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥. وراجع كثر العمال ج ١٠ ص ٢٨٩ عن ابن أبي شيبه.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢.

(٤) ستأتي مصادر ذلك حين الكلام عن عدد الشهداء من المسلمين، والقتلى من المشركين، وأواخر الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٧٣.....

وثمة فريق آخر يقول: بصراحة إن علياً عليه السلام هو الذي قتل نوفلاً فقد.

٤ - قال اليعقوبي: «وكبا بنوفل بن عبدالله بن المغيرة فرسه، فلققه علي فقتله»^(١).

وقال الطبرسي، وابن كثير، والطبري: إنه لما تورط في الخندق جعل يقول: قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب؛ فنزل إليه علي فقتله، وطلب المشركون رثته، فمكثهم من أخذه^(٢) وذكرت بعض المصادر: أنه عليه السلام ضربه بالسيف فقطعه نصفين^(٣).

وذكر ابن اسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه، فمات في الخندق^(٤).

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦.
(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ط الاستقامة ج ٢ ص ٢٤٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧/٤٨٨ وراجع، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧ والبحار ج ٤١ ص ٩٠ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع ص ٣٢٠ وسيرة المصطفى ص ٥٠٢ والبحار ج ٢ ص ٢٧٤ ومحمد رسول الله، لمحمد رضا ص ٢٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ و ٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٧ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦ والإرشاد للمفيد ٦٠ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٤ وإعلام الوری ص ١٩٥.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥.
(٤) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ ودلائل النبوة ج ٣ ص ٤٣٨ عن ابن اسحاق والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ والبحار ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٥٦ و ج ٤١ ص ٩٠ والإرشاد للمفيد ص ٦٠/٥٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩

٣٧٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

٥ - هذا كله، عدا عن أن الشعر المنسوب إلى الزبير أنه قاله في هذه المناسبة غير مستقيم الوزن، فليلاحظ ذلك. وأخيراً..

فإننا نذكر القارئ الكريم بأن هؤلاء الناس قد عودونا أن يغيروا على فضائل علي وعلى مواقفه عليه السلام، وينسبونها لغيره، ممن لهم فيه هوى. ولو لم يستطع أن يسجل حتى موقفاً رسالياً وجهادياً واحداً طيلة حياته.

إنما هي جيفة حمار:

وأرسلت بنو مخزوم يطلبون جيفة نوفل بن عبدالله، يشترونها، وأعطوا فيها عشرة آلاف درهم. فقال (ص): إنما هي جيفة حمار، وكره ثمنه، فخلى بينهم وبينه^(١).

وقال البعض: إنهم عرضوا الدية، فقال (ص): إنه خبيث الدية، فلعنه الله ولعن ديته، فلا إرب لنا في ديته، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه^(٢).

ص ٦٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧.

(١) امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ وحديث العشرة آلاف موجود في السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وراجع: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٤ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين ٣٧٥

وفي رواية أخرى: أنهم عرضوا اثني عشر ألفاً ثمناً لجسد رجل من المشركين يوم الأحزاب^(١).

ونص آخر يقول: إن أبا سفيان هو الذي بعث بديته مئة من الإبل^(٢).

ولهذا الحديث نصوص مختلفة، فلتراجع في مصادرها^(٣).

وبعد هذا فلا يمكن الاعتماد على رواية الحاكم عن ابن عباس قال: قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوه أن يواروه فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أعطوه الدية^(٤).

فإنها رواية لا تصح بأي وجه.

الزبير و هبيرة بن وهب:

يقول القمي: إنه بعد أن قتل علي عليه السلام عمرواً «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير إلى هبيرة بن وهب، فضربه على

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٠ وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٤٧ و ٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٥ و ٣٠٦.

(٢) راجع: امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٩ عن ابن أبي شيبة.

(٣) راجع بالإضافة إلى جميع المصادر المتقدمة ما يلي:
تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ و ٤٩٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٦ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٧ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٢.

(٤) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٢ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) وقالوا: إنه حديث صحيح.

٣٧٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
رأسه ضربة ففلق هامته^(١).

وتقول رواية أخرى، أدرك الزبير هبيرة بن أبي وهب، فضربه،
فقطع ثفر^(٢) فرسه، وسقطت درع كانت عليه، فأخذها الزبير^(٣).
ونص ثالث يقول: ومّر عمر بن الخطاب في أثر القوم،
فناوشهم ساعة وسقطت درع هبيرة بن أبي وهب، فأخذها الزبير^(٤).
وهبيرة هو زوج أم هاني أخت علي وأبو أولادها وكان فارس
قريش كما يقولون^(٥).

ونحن نشك في صحة ذلك، وذلك استناداً إلى ما يلي:

١ - لو كان الزبير قد ضرب هبيرة بالسيف حتى فلق
هامته، فاللزام أن يكون قد قتل، مع أن الجميع متفقون على أنه لم
يقتل آنئذٍ.

٢ - قد ذكرت بعض النصوص: أن علياً لحق هبيرة فأعجزه،
وضرب قربوس سرجه، فسقطت درع كانت عليه وفر عكرمة، وهرب
ضرار^(٦).

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٨.

(٢) الثفر: سير في مؤخر السرج.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ والسيرة الحلبية ج ٢
ص ٣٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ من ٥٣٥ والرسول العربي وفن الحرب
ص ٢٤٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢
ص ٧.

(٤) امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢.

(٥) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ و ٣٢٠ و ٣٢١.

(٦) راجع: الإرشاد للمفيد ص ٦٠ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٤

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين..... ٣٧٧

٣ - ويفصل ذلك نص آخر، فيقول: ثم حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة على علي، فأقبل علي عليهما. فأما ضرار فولى هارباً ولم يثبت، وأما هبيرة فثبت أولاً، ثم ألقى درعه وهرب. وكان فارس قريش وشاعرها^(١) وسئل ضرار عن سبب فراره، فقال: خيل إلي أن الموت يريني صورته^(٢).

٤ - قد اعتذر هبيرة بن أبي وهب عن فراره من وجه علي عليه السلام، فقال.

لعمرك ما وليت ظهراً محمداً وأصحابه جنباً ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد سيفي غناءً إن وقفت ولا نبلي
إلخ.

ويؤيد قولهم بأن الفرسان قد هاجموا علياً بعد قتله عمرواً قوله عليه السلام.

أعلي تقتحم الفوراس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي
ولعل مواجته لعلي عليه السلام ولو للحظات جعلته يستحق
وسام فارس قريش وشاعرها.

٥ - ثم إننا لم نفهم السبب في أن الذين خرجوا في أثر الهاربيين هما الزبير وعمر فقط؟! وأين كان عنهم سائر فرسان المسلمين؟ ولماذا لم

والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٤ و ٢٥٦ وراجع: إعلام الوری ص ١٩٥ وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

(١) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١
وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧.

٣٧٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
يتبعهم علي نفسه .

واحد يا رسول الله:

وروى ابن أبي شيبه من مرسل عكرمة: أن رجلاً من المشركين
قال يوم الخندق: من يبارز.

فقال النبي (ص): قم يا زبير.

ف قالت صفية بنت عبد المطلب: واحد يا رسول الله.

فقال: قم يا زبير.

ف قام الزبير فقتله. ثم جاء بسلبه إلى النبي (ص) فنقله إياه^(١).

ونقول:

إننا نشك في صحة هذه الرواية.

أولاً: لأن صفية كانت مع النساء في حصن حسان حسبما تقدم،
فما الذي جاء بها إلى ساحة القتال، في هذه الساعة الحساسة
والحاسمة بالذات. وهل كان (ص) يسمح للنساء بالتردد إلى ساحة
الحرب؟!.

وثانياً: إن هذا الحديث مرسل، وهو ينتهي أيضاً إلى عكرمة
المعروف بالكذب والوضع، وقد تحدثنا عن بعض حاله في كتابنا:
أهل البيت في آية التطهير فليراجع.

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٣١٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وكنز العمال
ج ١٠ ص ٢٨٩.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٧٩

وثالثاً: إننا نستبعد أن يكون (ص) قد خص الزبير بالطلب إليه أن يبارز ذلك الرجل، وهو قبل قليل قد طلب التطوع من المسلمين بمبارزة عمرو. فما هذه السياسة، وما هي مبرراتها يا ترى؟!

عمر وضرار بن الخطاب:

قال المعتزلي: «وناوش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو، فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد مسّ الرمح رفعه عنه. وقال: إنها لنعمة مشكورة، فاحفظها يا ابن الخطاب، إني كنت آليت أن لا تمكيني يداي من قتل قرشي، فأقتله.

وانصرف ضرار راجعاً إلى أصحابه»^(١) وهم عند جبل أبي عبيد.

وفي نص آخر ذكر حملة الزبير وعمر على بقية أصحاب عمرو، وقد كان ضرار يفر، وعمر يشتد في أثره. فكّر ضرار راجعاً، وحمل على عمر بالرمح ليضعه ثم أمسك وقال:

«يا عمر، هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك، ويد لي عندك غير مجزي بها فاحفظها»^(٢).

لكن القمي ذكر للرواية نصاً آخر، فقال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً. فقال ضرار: ويحك يا بن صهاك،

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٤ عنه والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

٣٨٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

أترميني في مبارزة؟ والله، لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكة إلا قتلته.
فانهزم عنه عمر، ومر نحوه ضرار. وضربه على رأسه بالقناة،
ثم قال: احفظها يا عمر، فإنني آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت
عليه.

فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولي، فوله^(١).

ونشير نحن هنا إلى ما يلي.

ألف - إن من الممكن أن يكون (ص) قد أمر عمر بمبارزة
ضرار، أثناء مبارزة علي عليه السلام لعمر، فحمل عليه ضرار، حتى
إذا وجد مس الرمح رفعه وقال له مقالته تلك. ثم لما قتل عمرو
وحسل وهجم علي على ضرار وهبيرة ونوفل فهربوا، عاد وقتل
نوفلا.

ب - إننا لا نصدق أن يكون ضرار قد فرّ من عمر، لأن ضراراً
يعرف عمر ومدى شجاعته، إلا أن يكون فرّ من السهم الذي حاول
عمر أن يرميه به، ثم عاد فهاجم عمر، وجرى بينهما ما جرى.

ج - إن هذه القضية قد حدثت أيضاً بين ضرار وبين عمر في
غزوة أحد، وقال له نفس هذه المقالة المذكورة عنه آنفاً، وقد ذكرهما
الواقدي في كتاب المغازي. وحسب نص الحلبي: إنه ضرب عمر
بالقناة ثم رفعها وقال: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب^(٢).

د: إننا نجد عمر يهتم بأمر ضرار بصورة ملفتة للنظر، فقد ذكر

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٨ عنه.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤
وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٤ عنه والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ و ٨.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين. ٣٨١
 القمي: أنه ولاء - وقد تقدم - كما أنه حين قال عبد الرحمان بن عوف
 لرباح وهم في طريق مكة: غنّنا.
 قال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن
 الخطاب^(١).

وهذا التعظيم لضرار قد سرى إلى الآخرين حتى قالوا عنه: إنه
 فارس قریش وشاعرهم^(٢) ولعلهم أعطوه هذا الوسام لأنه أراد أن يقدم
 على علي ثم هرب.

عمر ليس أخا ضرار:

وقد قال البعض: إن ضرار بن الخطاب كان أخا لعمر بن
 الخطاب^(٣).

وهذا غير صحيح، فإن عمر بن الخطاب كان من بني عدي، أما
 ضرار فكان من بني فهر، وشتان ما بينهما.
 والذي أوجب الغلط لدى هؤلاء هو أن أبيهما كان اسمهما
 الخطاب، فتخيلوا أن الخطاب رجل واحد.

الآن نغزوهم ولا يغزوننا:

قال المفيد رحمه الله: «فتوجه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع
 والخطاب، ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين عليه

(١) الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢) الاستيعاب مطبوع بهامش الإصابة ج ٢ ص ٢١٠.

(٣) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١.

٣٨٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

السلام، إذ كان الفتح له وعلى يديه، وكان قتله عمرواً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين.

وقال رسول الله (ص) بعد قتله هؤلاء نفر: الآن نغزوهم ولا يغزوننا^(١).

الأشعار في غزوة الخندق

هناك أشعار كثيرة في مناسبة غزوة الخندق نختار باقة منها وهي التالية:

عن علي عليه السلام أنه قال:

وكانوا على الإسلام إلباً ثلاثة	فقد خر من تلك الثلاثة واحد
وفر أبو عمرو هبيرة لم يعد	ولكن أخو الحرب المجرب عائد
نهتهم سيوف الهند أن يقفوا لنا	غداة التقينا والرماح مصائد

وعنه عليه السلام:

الحمد لله الجميل المفضل	المسبح المولى العطاء المجزل
شكراً على تمكينه لرسوله	بالنصر منه على الغواة الجهل
كم نعمة لا أستطيع بلوغها	جهداً ولو أعملت طاقة مقول
لله أصبح فضله متظاهراً	منه علي سألت أم لم أسأل

(١) الإرشاد للمفيد ص ٦٢. وستأتي فقرة: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، مع مالها من مصادر في أواخر الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين ٣٨٣

قد عاين الأحزاب من تأييده جند النبي وذو البيان المرسل
ما فيه موعظة لكل مفكر إن كان ذا عقل وإن لم يعقل

وعنه عليه السلام مخاطباً لعمر بن عبد ود:

يا عمرو قد لاقيت فارس بهمة عند اللقاء معاود الأقدام
من آل هاشم من سناء باهرٍ ومهذيين متوجين كرام
يدعو إلى دين الإله ونصره وإلى الهدى وشرائع الإسلام
بمهند غضب رقيق حده ذي رونق يقري الفقار حسام
ومحمد فينا كأن جبينه شمس تجلت من خلال غمام
والله ناصر دينه ونبيه ومعين كل موحد مقدام
شهدت قريش والقبائل كلها أن ليس فيها من يقوم مقامي^(١)

وروي أنه لما قتل عمرواً أنشد:

ضربته بالسيف فوق الهامة بضربة صارمة هدامة
أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو رسول الله ذي العلامة قد قال إذ عممني عمامة
أنت الذي بعدي له الإمامة^(٢)

(١) المقطوعات الثلاثة المتقدمة في البحار ج ٢٠ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ و ج ٤١ ص ٨٩ و ٩١ و ٩٠ عن ديوان علي أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٦ و ١١٠/١٠٩ و ١٢٧/١٢٦ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٣٦ و ١٣٧.

(٢) البحار ج ٤١ ص ٨٨.

٣٨٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وقال حسان بن ثابت :

أمسى (الفتى) عمرو بن عبدٍ يبتغي بجنوب يشرب عادة لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جياننا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصابة ضربوك ضرباً غير ضرب المحسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منكراً^(١)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم ينكرها لحسان فأجابه فتى من بني عامر :

كذبتهم وبيت الله لا تقتلوننا ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد بآسكم ولكنه الكفو الهزير الغضنفر
علي الذي في الفخر طال بناؤه ولا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردكم شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة وجاء علي بالمهند يخطر
فقالوا : نعم اكفاء صدق فاقبلوا إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية فدمرهم لما عتوا وتكبروا

(١) الإرشاد للمفيد ص ٥٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٩ وج ٤١ ص ٩٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٨١ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٠ والبيت الأول فيه وفي البحار عن الإرشاد هكذا.

أمسى الفتى عمرو بن عبد ناظراً كيف العبور وليته لم ينظر

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين. ٣٨٥.....

فليس لكم فخر علينا بغيرنا وليس لكم فخر نعدّ ونذكر^(١)

وروي أن علياً لما قتل عمرواً لم يسلبه، وجاءت أخت عمرو حتى قامت عليه فلما رأته غير مسلوب سلبه قالت: ما قتله إلا كفؤ كريم، ثم سألت عن قاتله، قالوا: علي بن أبي طالب؛ فأنشأت هذين البيتين^(٢): ولكن نصاً آخر يقول:

لما نعي عمرو إلى أخته قالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟!

فقالوا: ابن أبي طالب.

فقالت: لم يعد موته إلا على يد كفؤ كريم. لارقات دمعتي إن هرقتها عليه. قتل الأبطال، وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه. [وفي لفظ آخر: على يد كريم قومه] ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر. ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتل عمرو لا يعاب به من كان يدعى قديماً بيضة البلد^(٣)

وقال المعتزلي: «فأما قتلاه، فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

(١) الإرشاد للمفيد ص ٥٦ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٩ وج ٤١ ص ٩٩.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ وحبيب السرج ١ ص ٣٦٢.

(٣) الإرشاد للمفيد ص ٥٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٠ وج ٤١ ص ٧٣ و ٩٧.

٣٨٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبداً ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد^(١)

وقالت أيضاً في ذلك :

أسدان في ضيق المكرّ تصاولا وكلاهما كفؤ كريم باسل
فتخالسا مهج النفوس كلاهما وسط المدار مخاتل ومقاتل
وكلاهما حضر القراع حفيظة لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحامل
والثار عندي يا علي فليتنى أدركته والعقل مني كامل
ذلت قريش بعد مقتل فارس فالذل مهلكها وخزي شامل

ثم قالت : والله ، لا تأرت قريش بأخي ما حنت النيب^(٢) .

وقال مسافع بن عبد مناف يبكي عمرو بن ود . لما جزع المذاذ ،
أي قطع الخندق :

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاذ وكان فارس مليل^(٣)

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٢٠ والبيتان في لسان العرب أيضاً ج ٨ ص ١٩٥ وفيه : بكيته ما أقام الروح في جسدي .
وراجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣ وتلخيصه للذهبي مطبوع بهامشه .

(٢) الإرشاد للمفيد ص ٥٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٠ وج ٤١ ص ٩٨ .

(٣) الصحيح : يليل ، وهو واد بيدر .

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٨٧

إلى أن قال:

سأل النزال هناك فارس غالب بجنوب سلع ليته لم ينزل
فاذهب علي ما ظفرت بمثلها فخرا ولو لا قيت مثل المعضل
نفسى الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت الخ^(١)

وعند ابن هشام: تسلى النزال علي فارس غالب.

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي
بن أبي طالب وتركه عمرواً يوم الخندق. ويبيكه:

لعمرك ما وليت ظهراً محمداً وأصحابه جناً ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناء إن وقفت ولا نبلي

إلى أن يقول:

كفتك علي لن ترى مثل موقف وقفت على شلو المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها أمنت بها ما عشت من زلة النعل^(٢)

وقال هبيرة بن أبي وهب يرثي عمرواً ويبيكه:

لقد علمت علياً لؤى بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٨ وذكرها في آخر
العثمانية ص ٣٣٦ عنه.

وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ والسيرة
النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٧٨/٢٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ٢٨٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧
والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨٠ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٦.

٣٨٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وفارسها عمرو إذا ما يسوقه (يسومه)
علي، وإن الموت لا شك طالب
عشية يدعوه علي وإنه
لفسارسها إذ خام عنه الكتاب
فيا لهف نفسي إن عمرواً لكائن
بيثرب لا زالت هناك المصائب
لقد أحرز العليا علي بقتله
وللخير يوماً لا محالة جالب^(١)

وقال حسان:

ولقد شقيت بنو جمح ابن عمرو
ومخزوم وتيم ما نقييل
وعمرو كالحسام فتى قريش
كأن جبينه سيف صقييل
فتى من نسل عامر أريحي
تطاوله الأسنة والنصول
دعاه الفارس المقدام لما
تكشفت المقانِب والخيول
أبو حسن فقتله حساماً
جرازاً لا أفلاً ولا نكول
فغادره مكباً مسلحاً
على عفراء لا بعد القتييل^(٢)

وقال مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو، فأجلوا عنه
وتركوه:

عمرو بن عبد والجياد يقودها
خيل تقادله وخيل تنعل
أجلت فوراسه وغادر رهطه
ركناً عظيماً كان فيها أول
عجباً وإن أعجب فقد أبصرته
مهما تسوم علي عمرواً ينزل
لا تبعدن فقد أصبت بقتله
ولقيت قبل الموت أمراً يثقل

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨١ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٧.
(٢) مسلحاً: منبطح. والأبيات في شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج ١٣ ص ٢٩٠ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٧.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٨٩
 وهبيرة المسلوب ولى مدبراً عند القتال مخافة أن يقتلوا
 وضرار كان الباس منه محضراً ولى كما ولى اللثيم الأعزل^(١)
 قال ابن هشام: بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود:
 بقيتكم عمرو أبحناء بالقنا يشرب نحمي والحماة قليل
 ونحن قتلناكم بكل مهندا إلخ . . .

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان^(٢).
 وروى المعتزلي عن بعض شعراء الإمامية قوله:
 إذا كتتم ممن يروم لحاقه فهلا برزتم نحو عمرو ومرحب^(٣)
 ولا ننسى هنا قول الأزري رحمه الله:

فانتضى مشرفيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراها
 وإلى الحشر رنة السيف منه يملأ الخافقين رجع صداها
 يا لها ضربة حوت مكرمات لم يزن ثقل أجرها ثقلها
 هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ماسواها

المكر المفضوح:

إن من يلاحظ سيرة ابن هشام التي ادعى أنها تلخيص لسيرة ابن

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٨١.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ٥ ص ٧.

٣٩٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

اسحاق، ويقارن بينها وبين ما وصل إلينا من سيرة ابن اسحاق، من طرق الآخرين يجد: أن ابن هشام لم يكن يريد مجرد تلخيص سيرة ذلك الرجل العلامة الخبير والمعتمد في شأن السيرة النبوية الشريفة. بل أراد أيضاً: أن يستبعد نصوصاً ذات طابع معين رأى أن الاحتفاظ بها يضر ببعض الاتجاهات أو يضع علامة استفهام كبيرة عليها. وهذا الأمر يضع عمل ابن هشام في السيرة في عداد الأعمال الخيانية بالنسبة للحق وللحقيقة. من منطلق تعصب مذهبي بغرض ومقيت.

والذي يلاحظ تعليقات ابن هشام على الأشعار المتقدمة يجد: أنه يحاول التشكيك في خصوص ذلك النوع من الشعر الذي يمقته ويبغضه، ولا يطيقه؛ فيدعي أن أكثر أهل العلم ينكره لحسان، أو لعلي، أو لمسافع. إلخ. . رغم أننا لم نعثر ولو على رجل واحد قد أنكر أياً من تلك المقطوعات، أو شكك في نسبتها لأصحابها. ما عدا أولئك الذين لا جود لهم إلا في مخيلة ابن هشام.

ولا نريد بعد هذا أن نسأل ابن هشام ولا غيره عن سبب تشكيكهم ذاك فأننا لن نسمع منه جواباً مقنعاً ولا مقبولاً، مهما طال بنا الانتظار.

تعصب يثير الغثيان:

كنا نتوقع كل شيء من التجني، والإفتراء، والتحريف للحقائق الثابتة، بدافع من الحقد والتعصب ضد علي وأهل بيته عليهم السلام، إلا أننا لم نتوقع أن يتجاهل هؤلاء الحاقدون الاغبياء مواقف وبطولات، وأثر علي في حرب الخندق، خصوصاً قتله كبش كتيبة

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٩١
جيش الشرك وعمرو بن عبد ود العامري؛ لأن تجاهل مثل هذا
الحدث المصيري، الذي شاع وذاع، يحتاج إلى درجة كبيرة من
الشجاعة النادرة، أو فقل إلى درجة عالية من الوقاحة الفاجرة.

وهذا ما حصل بالفعل، حيث نجد بعضهم ليس فقط لا يذكر
لعلي عليه السلام خبراً، ولا يورد في مواقفه أثراً. بل هو يكاد يجهر
بإنكار تلك المواقف الرسالية الرائدة، حيث يقول أحدهم.

«ولم يكن بين القوم قتال إلا الرمي بالنبل والحصا؛ فأوقع الله
بينهم التخاذل، ثم أرسل الله عليهم في ظلمة شديدة من الليل ريح
الصبا الشديدة في برد شديد، فأسقطت خيامهم، وأطفأت نيرانهم،
وزلزلتهم. حتى جالت خيولهم بعضها في بعض في تلك الظلمة
فارتحلوا خائبين»^(١) ثم يذكر إرسال الزبير بن العوام لكشف خبر
القوم.

بينما نجد رجلاً مسيحياً، لا يرغب بالإعتراف للمسلمين بشيء
ذي بال، يعتبر قتل علي لعمر وولصاحبه «سبب هزيمة الأحزاب على
كثرة عددهم، ووفرة عددهم»^(٢).

فشتان ما بين هذا الرجل، وبين أولئك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من تشكيكات الجاحظ وتعصباته:

قد ادعى ابن تيمية: أن عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر إلا

(١) حقائق الانوار ج ٢ ص ٥٩٠ وراجع أيضاً الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص

٥٢٦ وقد تعجب منه في سعد السعود ص ١٣٨/١٣٩.

(٢) تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.

٣٩٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

في هذه الغزوة^(١) وقد حاول الجاحظ أن يدعي: أن شهرة عمرو بن عبد ود بالشجاعة مصنوعة، من قبل محبي علي، حتى تركوه أشجع من عامر بن الطفيل، وعتيبة بن الحارث، وبسطام بن قيس، مع أنه لم يسمع لعمرو ذكر في حرب الفجار، ولا في الحروب بين قريش ودوس.

وقد رد عليه الإسكافي بما حاصله: إن أمر عمرو بن عبد ود أشهر من أن يذكر، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل. ثم ذكر شعر مسافع بن عبد مناف، وشعر هبيرة بن أبي وهب في اعتذاره من تركه عمرواً، وشعره الآخر في رثائه له. وليس أحد يذكر عمرواً إلا قال: كان فارس قريش وشجاعها. وقد شهد بدرأ، وجرح فيها، وقتل قوماً من المسلمين. وكان عاهد الله عند الكعبة أن لا يدعوه أحد إلى إحدى ثلاث خصال إلا قبلها.

وآثاره في أيام الفجار مشهورة.

كما أنه لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم، جبن المسلمون كلهم عنه، وهو يوبخهم ويقرعههم، وملكهم الرعب والوهل؛ فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم.

وإنما لم يذكر مع الفرسان الثلاثة لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب، وأهل بادية، وقريش أهل مدينة، وساكنوا مدر وحجر، لا

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ١٧٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢ وسيرة الرسول ص ٢٢٠.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٩٣
 يرون الغارات، ولا ينهاون غيرهم من العرب، وهم مقيمون ببلدتهم،
 فلم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء^(١).

هذا كله، بالاضافة إلى أنه كان قد نذر في بدر أن لا يُمسَّ رأسه
 دهنًا حتى يقتل محمداً. وكان أيضاً معروفاً بفارس ليل، وقد ذكر
 ذلك مسافع بن عمرو في شعره الذي يرثيه فيه.

وقد وصفه النبي (ص) لعلي بأنه فارس ليل أيضاً.

هذا وقد قتل عمرو في بدر عمير بن أبي وقاص، وسعد بن
 خيثمة^(٢) وكان على ميسرة قریش في بدر^(٣).

المعركة، التي لا حقيقة لها:

قالوا: ولما قتل عمرو، ورجع المنهزمون إلى أبي سفيان قال:
 هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء. ارجعوا.

فنفرت قریش إلى العقيق، ورجعت غطفان إلى منازلها، وأعدوا
 يغدون جميعاً، ولا يتخلف منهم أحد، فباتت قریش يعبثون
 أصحابهم، وكذلك غطفان. ووافوا رسول الله (ص) بالخندق، قبل
 طلوع الشمس، ولم يتخلف منهم أحد. وعبا (ص) أصحابه، وحضهم
 على القتال، ووعدهم النصر إن صبروا. و المشركون قد جعلوا

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩١ وراجع الملحق آخر العثمانية
 ص ٣٣٥ - ٣٣٩.

(٢) قد تقدمت مصادر كثير مما ذكرناه. وراجع أيضاً: شرح النهج للمعتزلي
 ج ١٤ ص ٢٠٧ وراجع أيضاً السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٢٠.

٣٩٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

المسلمين في مثل الحصن من كتائبهم. فأحدقوا بكل وجه من الخندق، ووجهوا نحو خيمة رسول الله (ص) كتيبة غليظة، فيها خالد بن الوليد، فقاتلوهم إلى الليل. وكان القتال من وراء الخندق.

فلما حان وقت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي، ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا.

فانكفأت الكتيبة مع الليل، فزعموا أنه (ص) قال: شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم (أو قبورهم) ناراً.

وفي نص آخر: أنه (ص) ما قدر على صلاة ظهر، ولا عصر، ولا مغرب، ولا عشاء. فجعل أصحابه يقولون: ما صلينا.

فيقول: ولا أنا - والله - ما صليت.

حتى كشف الله المشركين، فرجعوا متفرقين، ورجع كل من الفريقين إلى منزله.

وقام أسيد بن حضير في مائتين على شفير الخندق؛ فكرت خيل المشركين يطلبون غرة، وعليها خالد بن الوليد، فناوشهم ساعة، فزرق وحشي الطفيل بن النعمان (وقيل: الطفيل بن مالك بن النعمان) بن خنساء الأنصاري السلمي بمزراقه، فقتله، كما قتل حمزة رضي الله عنه بأحد.

فلما صار رسول الله (ص) إلى موضع قبته أمر بلالاً؛ فأذن وأقام للظهر، وأقام بعد لكل صلاة إقامة؛ فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصلها في وقتها. وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف.

(أضاف البعض هنا قوله (ص): ما على وجه الأرض قوم

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين. ٣٩٥
يذكرون الله تعالى في هذه الساعة غيركم).

وقال يومئذ رسول الله (ص): شغلنا المشركون عن صلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً.

«ولم يكن لديهم بعد ذلك قتال جميعاً حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل طمعاً بالغرة»^(١).

ونحن نشك في صحة ذلك، لما يلي: .

أولاً: صرح بعض المؤرخين بأنه بعد قتل عمرو ورفاقه لم يحصل أي قتال، فقال: «ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعاً، حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل، يطمعون بالغرة»^(٢).

وثانياً: إنه إذا كان القتال بهذا العنف؛ فأين القتلى والجرحى، لاسيما مع اجتماع ألوف من الناس؟ أم يعقل أن تكون جميع تلك السهام والحجارة، والحصى، كانت تذهب سدى ولا تصيب أحداً؟! .

-
- (١) راجع هذه النصوص باختصار تارة، وبتطويل أخرى في المصادر التالية:
سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ - ٥٣٩ وامتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣
والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٢ و ٤٧٤ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٤ و
١٧٥ والسيرة الحلبي ج ٢ ص ٣٢١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والوفا
ص ٦٩٤ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ والسيرة
النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠١ و ٤٠٢
وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٨ وراجع: البداية والنهاية ج ٤
ص ١٠٩ و ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ - ٢١٢ وراجع:
المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وراجع: أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ .
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ عن ابن سعد ووفاء الوفاء ج ١
ص ٣٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ .

٣٩٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وثالثاً: إن القتال لا يمنع من الصلاة بصورة نهائية، فقد كان من الممكن أن يصلوا منفردين، أو أفواجا. وقد ذكر الفقهاء: أن الصلاة لا تسقط حتى عن الغريق. فكيف بالمقاتلين، وصلاة المطاردة حال القتال مذكورة في الكتب الفقهية، وإذا كان المسلمون لا يعرفونها، فالنبي (ص) كان يعرفها، فلماذا لم يصلها؟!.

ورابعاً: إن تناقض الروايات في كثير من خصوصياتها يفقدنا الثقة بها، وبالمراجعة والمقارنة يتضح ذلك بجلء.

ويكفي أن ننبه إلى اختلاف الروايات في الصلاة أو الصلوات التي فاتت النبي والمسلمين.

فهل فاتتهم صلاة العصر فقط كما في حديث جابر^(١) وعلي^(٢)

(١) راجع المصادر المتقدمة، وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٤٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ عن الشيخين، والترمذي والنسائي وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ وامتناع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وراجع: بهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٥٧٦ وراجع مسند أحمد ج ١ ص ٨١ و ٨٢ وراجع: امتناع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ عن الخمسة إلا ابن ماجة والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ ومسند أحمد ج ١ ص ٨١ و ٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ وعن فتح الباري ج ٦ ص ١٠٥ و ج ٧ ص ٤٠٥ والدر المنثور ج ١ ص ٣٠٣ عن الستة وعن عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي وابن أبي حاتم وراجع: مسند الطيالسي ص ١٦ وكنز العمال ج ٢ ص ٢٤٠ عن البخاري والبيهقي، وعبد الرزاق، وأحمد، وأبي

الفصل التاسع : ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين ٣٩٧
وابن عباس^(١) وحذيفة وأم حبيبة^(٢).

أم أنهم شغلوا عن الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، كما
عن جابر أيضاً، وأبي سعيد وابن مسعود^(٣).

أو عن الظهر والعصر، كما عن سعيد بن المسيب وابن عباس
وعمر وعلي عليه السلام^(٤).

أو الظهر والعصر والمغرب كما في رواية أبي هريرة، وأبي
سعيد^(٥).

عبيد في فضائله والعدني، ومسلم والنسائي وابن جرير، وابن خزيمة، وأبي
عوانة وابن زنجويه، وعبد بن حميد وغير ذلك.

(١) كنز العمال ج ١ ص ٢٤٠ عن الطبراني وص ٢٨٦ عن البيهقي.

(٢) كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٣ و ٢٨٨.

(٣) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ و ٣٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤
ص ٥٣٨ عن أحمد، والنسائي وأحمد عن ابن مسعود، وعن البزار عن
جابر وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ و ١١١ ودلائل النبوة للبيهقي
ج ٣ ص ٤٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٢ و ٢١٣ وشرح بهجة
المحافل ج ١ ص ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وتاريخ يعقوبي
ج ٢ ص ٥٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥ عن مصادر عديدة وص ٢٨٨
عن ابن أبي شيبة.

(٤) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٥٧٦ وامتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣ وعيون
الأثر ج ٢ ص ٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ عن الموطأ وكنز العمال
ج ٢ ص ٢٤٠ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣٠٩ عن الطبراني والدر المنثور
ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٠٣ عن الطبراني، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة وعبد
بن حميد، ومسلم والنسائي والبيهقي وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٠.

(٥) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والسيرة
النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٢.

٣٩٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وفي الموطأ: أن الفاتنة هي الظهر^(١). وكذا عن جابر وأم سلمة وعلي وابن مسعود^(٢).

وبعض الروايات عن ابن عباس وحذيفة، لم تعين الصلاة أو لم تعين العدو.

قال المقرئزي: «فاحتمل أن يكون كله صحيحاً، لأنهم حوصروا في الخندق، وشغلوا بالأحزاب أياماً»^(٣).

وقد جمع النووي بين هذه الروايات بأن فوات الصلاة قد حصل مرتين لأن الحرب استمرت في الخندق عدة أيام^(٤).

استفادات غير موفقة:

وقد حاول البعض أن يستفيد من هذا الحديث المشكوك أحكاماً شرعية وغيرها، فقال بعضهم:

«إن هذا يدل على جواز الجمع بين الصلاتين جمع تأخير لعذر الحرب، واجازه أحمد لعذر الحرب وغيره» وقال: «وتكون الصلاة

(١) شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) راجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٠٩ و ٣١٠ والدر المنثور ج ١ ص ٣٠٤ عن البزار و ص ٣٠٣ عن مصادر أخرى.

وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٣٩ عن مصادر كثيرة وكشف الأستار عن مسند البزار ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧.

(٣) امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣.

(٤) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ ومحمد رسول الله (ص) لمحمد رضا ص ٢٣.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين..... ٣٩٩
المؤخرة أداء لا قضاء^(١).

واستدلوا على ذلك أيضاً أي على جواز التأخير لعذر القتال بقوله (ص): لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فمنهم من صلاها في الطريق، ومنهم صلاها بعد الغروب في بني قريظة، ولم يعنف واحداً من الفريقين.

وقالوا: إن هذا قد نسخ بتشريع صلاة الخوف، ولو كانت مشرعة لم يؤخروها^(٢).

لكن هذا الكلام لا يصح إذا كان (ص) والمسلمين قد أجبروا على تأخير الصلاة بحيث لم يكن لديهم أي خيار في ذلك، ولا يصح بناءً على قول من قال: إن تأخير الصلاة يوم الخندق كان نسياناً^(٣) وقد صرح بذلك رواية عن ابن عباس، قال: إن رسول الله (ص) نسي الظهر والعصر يوم الأحزاب فذكر بعد المغرب، فقال: اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملاً بيوتهم ناراً^(٤).

وعن أبي جمعة: إن النبي (ص) صلى المغرب، فلما فرغ قال: هل أحد منكم علم أنني صليت العصر؟! فقالوا: يا رسول الله ما صليت، فأمر المؤذن فأقام الصلاة، فصلى العصر، ثم أعاد

(١) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٠ وراجع ص ٩٥١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١١ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ وفقه السيرة ص ٣٠٣.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١١ و ٢١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤.

(٣) راجع المصادر المتقدمة.

(٤) الدر المنثور ج ١ ص ٣٠٤ عن الطبراني.

٤٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
المغرب^(١).

أضاف الحلبي: «أقول: يحتاج إلى الجواب عن إعادة المغرب.
وقد يقال: أعادها مع الجماعة»^(٢).

الصحيح في القضية:

وأخيراً، فنحن لا نمانع من أن يكون قد حصل تأخير في أداء الصلاة إلى حد يصدق معه الاضطراب ليتمكن للمكلف أن يصلي صلاة المضطر، أو صلاة المطاردة. فإن قوله تعالى: ﴿وإن خفتم فرجالاً أو ركباً﴾^(٣) قد ورد في سورة البقرة، النازلة في أوائل الهجرة. وقد روي أن النبي (ص) صلى يوم الأحزاب إيماء^(٤) ومعنى ذلك: هو أن الآية المذكورة قد نزلت قبل غزوة الخندق.

وهذه الآية هي غير الآية التي تحدثت عن صلاة الخوف جماعة فراجع.

السر والسبب:

١ - إننا بعد أن استظهرنا عدم صحة ما ذكره نرى: أن السبب الذي يدعو البعض لاشاعة أمور كهذه هو الرغبة في تبرير تهاون الحكام بصلاتهم، وتأخيرهم لها عن أوقاتها - كما ذكرناه في الجزء

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.

(٣) البقرة/ ٢٣٩.

(٤) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٩٩ ومجمع البيان ج ١ ص ٣٤٤.

الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقليين..... ٤٠١
الأول من هذا الكتاب؛ ولا يهمهم أن يكون ذلك على حساب كرامة
النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والنيل من عصمته، وعقله
وحكمته.

٢ - قد يكون السبب هو ما جرى لعمر بن الخطاب حيث فاتته
الصلاة في غزوة الخندق، حيث قال: يا رسول الله، ما كدت أن
أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب. قال النبي (ص): والله ما
صليتها، فنزلنا مع رسول الله (ص) إلى بطحان. فتوضأ للصلاة
وتوضأنا لها. فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها
المغرب^(١).

٣ - إن دعوى وجود قتال ضار استمر ثلاثة أيام، أو أكثر أو أقل
قد يكون الهدف منها هو التضخيم والتهويل في قوة المشركين،
والتأكيد على شوكتهم وعلى ارتفاع معنوياتهم بعد قتل عمرو بن عبد
ود ورفاقه؛ الأمر الذي ينتج عنه أن لا يكون علي عليه السلام قد حقق
إنجازاً ذا بال، فضلاً عن أن يكون ما جرى قد أسهم في هزيمة
المشركين بطريقة أو بأخرى.

٤ - إن ذلك أيضاً سوف يحدث ترديداً وتشكيكاً في قيمة
الأوسمة التي حباه بها رسول الله، وفي استحقاقه عليه السلام لها،
وفي جدارته لحملها.

(١) راجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢
وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٤٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣
ص ٤٤٤، والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ عن الشيخين، والترمذي،
والنسائي.

الفصل العاشر:

**كيف انتهت حرب
الخنزق**

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٠٥

ما فعله نعيم بن مسعود:

لقد حاول المؤرخون، والمحدثون الذين توجههم التيارات والقوى والتعصبات السياسية، والمذهبية، والأحقاد - حاولوا - التعقيم على النصر المؤزر الذي سجله علي أمير المؤمنين في حرب الأحزاب بطريقة أخرى غير طريقة تضخيم الأمور، وادعاء حصول قتال شغلهم عن صلاة العصر، وغيرها.

فادعوا: أن نعيم بن مسعود قد قام بدور فاعلٍ وأساس في تخذيل القوم، والقاء الريب والشك ببعضهم البعض فيما بينهم.

فيدعي المؤرخون: أن نعيم بن مسعود الغطفاني جاء إلى رسول الله (ص) مسلماً - وكان من دواهي العرب - فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فأمرني بما شئت أنته إليه^(١).

فقال له صلى الله عليه وآله: إنما أنت رجل واحد فينا، وإنما غناؤك أن تخذل عنا ما استطعت. وعليك بالخداع، فإن الحرب

(١) يقول القمي في تفسيره ج ٢ ص ١٨١ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه: إن قريظة قد نقضوا العهد نهائياً، فلما كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود إلى النبي، وكان قد أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام. ونقول: لماذا أخر نعيم مجيئه إلى النبي (ص) ليعلن إسلامه هذه المدة الطويلة؟ وآثر البقاء في صفوف أهل الشرك.

٤٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
خدعة. وحسب نص المقدسي أنه (ص) قال له: إن الحرب خدعة،
فاحتل لنا.

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان نديماً لهم، فقال: يا
بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ومن التف معهم جاؤا لحرب
محمد، فإن ظاهرتموهم عليه، فليسوا كهيتكم. وذاك أن البلد
بلدكم، به أموالكم، وأولادكم، ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا إلى
غيره. فأما قريش وغطفان، فإن أموالهم، وأبناءهم، ونساءهم ببلاد
غير بلادكم؛ فإن رأوا نهبه وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا
ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل. والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به،
وإن خلا لكم. [زاد الواقدي.. وقد كبر عليهم جانب محمد، أجلبوا
عليه بالأمس إلى الليل، فقتل رأسهم عمرو بن عبد ود وهربوا منه
مجرحين]. فلا تقاتلوا القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم،
يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى
يناجزوه.

قالوا: لقد أشرت علينا برأي ونصح.

ثم خرج حتى أتى قريشاً. فقال لأبي سفيان بن حرب
ومن معه: يا معشر قريش: قد عرفتم ودي إياكم، وفراقي محمداً،
وقد بلغني أمر رأيته حقاً علي أن أبلغكم؛ نصحاً لكم، فاكتموا
علي.

قالوا: نفعل.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٠٧

قال: اعلّموا: أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا - وأنا عندهم - أن قد ندمنا على ما صنعنا؛ فهل يرضيك عنا: أن نأخذ من القبيلتين (مئة رجل، كما عند المقدسي) من قریش وغطفان رجلاً من أشرافهم، وكبرائهم، ونعطيهم، فتضرب أعناقهم. ثم نكون معك على من بقي منهم (أضافت بعض المصادر: وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم - يعنون بني النضير)؛ فإن بعثت إليك يهود، يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً.

فوقع ذلك من القوم.

وخرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، أنتم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهمونني.

قالوا: صدقت.

قال: فاكتموا علي.

قالوا: نفعل.

ثم قال لهم مثلما قال لقریش، وحذرهم مثل ما حذرهم.

فأرسل أبو سفيان^(١)، ورؤس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن

(١) وذكرت بعض المصادر: أن اليهود هم الذين أرسلوا عزال بن سموأل، يطلبون التواعد على الزحف بشرط إعطائهم رهائن من أشرافهم سبعين رجلاً؛ فلم يرجعوا إليهم بجواب.

أضافت بعض المصادر: أن نعيماً عاد إلى بني قريظة وأخبرهم: أن أبا سفيان قال بعد أن ولّى عزال: لو طلبوا مني عناقاً ما رهنتها.

راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٣ وامتناع الأسماع ج ١

٤٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخف والحافر؛ فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه.

فأرسلوا إليه: أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً (وكان قد أحدث فيه بعض الناس شيئاً فأصابه ما لم يخف عليكم) ومع ذلك فلسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم (سبعين رجلاً)، يكونون بأيدينا ثقة حتى نناجز محمداً؛ فإننا نخشى - إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال - أن تشمروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد. وأرسلت غطفان مسعود بن ربيعة في رجال بمثل ما راسلهم به أبو سفيان..

فلما رجعت الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله، إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق.

فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله ما ندفع إليكم رجلاً واحداً، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا^(١).

ص ٢٣٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٢ و ٤٨٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٥ و ٣٢٦.

(١) ويذكر الواقدي: أن الزبير بن باطا قد نصحهم بعدم طلب الرهن من قريش، لأنها لا تعطيهم إياه، وهم أكثر عدداً ومعهم كراع ولا كراع مع بني قريظة «وهم يقدرون على الهرب ونحن لا نقدر عليه. وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض ثمار المدينة، فأبى أن يعطيهم إلا السيف» فلم يوافق الزبير أحد من قومه؛ فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان إلخ

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٠٩

فقال بنو قريظة حين ادت إليهم الرسل: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا؛ فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل.

فأرسلوا إلى القوم: إنا - والله - لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً.

[قالوا: وتكررت رسل قريش وغطفان إلى بني قريظة، وهم يردون عليهم بما تقدم، فيئس هؤلاء من نصر هؤلاء].

وتخاذل القوم، واتهم بعضهم بعضاً.

وذلك في زمن شات، وليال باردة، كثيرة الرياح، تطرح أبنيتهم، وتكفأ قدورهم إلخ..

ولما طالب أبو سفيان حيي بن أخطب بالأمر، حاول حيي أن يقنع بني قريظة بالعدول عن ذلك، فلم يفلح^(١) ورواية القمي تختلف

راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٣ و ٥٤٤.

(١) تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨١ -

٤٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ - ٥٤٥. وتجد هذه القضية

بتلخيص أو بدونه في المصادر التالية:

الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وامتناع الأسماع ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٨

والبدائية والنهاية ج ٤ ص ١١١ و ١١٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢

ص ٢٤٢ و ٢٤٣ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والسيرة النبوية لابن

هشام ج ٣ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٥

و ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٠٧ و ٢٠٨

ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٥ - ١٧٧ وتاريخ

٤١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
عن هذه الرواية فلتراجع^(١).

ونقول

كان ما تقدم هو النص الذي يذكره أكثر المؤرخين مطولاً أو ملخصاً، لهذه القضية. وتساورنا شكوك حول صحة ذلك. ونرى أن ما جرى لم يكن بهذا الشكل، وذلك بالنظر إلى الأمور التالية:

أولاً: يقول البعض عن دور نعيم: «يمكن أن يكون في ذلك مبالغة، لأن القصة تروى عن نعيم نفسه، بواسطة رواية أشجع»^(٢).

ثانياً: بالنسبة لطلب الرهائن تقول رواية نعيم بن مسعود: ان ذلك قد كان بعد نقض بني قريظة للعهد مع النبي. وبعد أن طال الحصار على قريش. ويأجاء من نعيم بن مسعود بالذات.

لكن هناك نص يقول: إنهم قد طلبوا الرهائن حين كلمهم حيي

الخميس ج ١ ص ٤٩٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ و ٣١ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٤ و ٦٥ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥١ و ١٥٢ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٢ - ١٧٤ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ - ٢١٦ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤١ و ٢٤٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٩ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٤ - ١٩٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٦ - ٢١٩ و ٢٢٠ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٧١.

(١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٤ ففيه أن نعيم بن مسعود حرض أبا سفيان على طلب الرهن من بني قريظة، عشرة رجال من أشrafهم.

(٢) محمد في المدينة ص ١٣٩.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤١١

بن أخطب في نقض العهد. فإنهم طلبوا منه: أن يأخذ لهم رهائن من قريش وغطفان تكون عندهم. تسعين رجلاً من أشرافهم^(١) وذلك قبل إسلام نعيم.

وقد حاول البعض أن يحل هذا الإشكال؛ فقال: «قد يحتمل أن تكون قريظة لما يشؤا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله (ص) يريدون منه الصلح على أن يرد بني النضير إلى المدينة»^(٢).

وهو حلّ غير مقبول لأنهم بعد أن يشؤا من انتظام أمرهم مع المشركين، وصيرورتهم في الموقف الأضعف، وأصبحوا يخشون على أنفسهم من مغبة غدرهم، وعواقب خيانتهم وماجنته أيديهم، لم يكونوا ليجرؤا على اشتراط إرجاع بني النضير إلى أراضيهم.

أضف إلى ذلك: أن هذا الاحتمال الذي ذكره ابن كثير لا يحل إشكال أن يكون طلب الرهائن قبل إسلام نعيم. حسبما أوضحناه. وثالثاً: إننا لا نكاد نصدق دعوى نعيم: أن قريظة قد أرسلت بحضوره إلى النبي (ص) تعدّه بأخذ سبعين، أو تسعين رهينة من أشراف قريش وغطفان ليقتلهم. إذا أن نعيم بن مسعود نفسه كان من غطفان، فهل يجهر بنو قريظة أمام غطفاني - مهما كانت درجة إخلاصه لهم - بأنهم يريدون أخذ أشراف قومه ليسلموهم إلى القتل؟!.

وهل يمكن أن يصدقه المشركون: أنه قد سمع ذلك حقاً من بني

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ وبداية والنهاية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ و ١٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠١.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣.

٤١٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

قريظة؟! .

ورابعاً: لو صحت قصة نعيم على النحو المذكور آنفاً، لكان يجب أن نتوقع من حيي بن أخطب موقفاً آخر من بني قريظة. فيتملص من تعهداته لهم، ولا يسلم نفسه إلى القتل بدخوله معهم في حصنهم بعد رحيل قريش، لأن لديه حجة واضحة، وهي أن الإخلال وإفشال ما جمعه من كيد إنما جاء من قبل بني قريظة أنفسهم، فإنهم هم الذين أخلوا بتعهداتهم تجاه قريش، وليس العكس.

وخامساً: هناك العديد من الروايات التي تؤكد على أن النبي الأعظم صلى الله وآله وسلم نفسه هو الذي أفسد العلاقة بين قريش والمشركين من جهة، وبين بني قريظة من جهة أخرى. وليس نعيم بن مسعود بل كان هو الآخر غافلاً عن حقيقة التدبير النبوي في هذا المجال. والنصوص المشار إليها هي التالية:

١ - قال ابن عقبة: إن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث. فاتفق أنه مرّ بالقرب من رسول الله (ص) ذات يوم عشاء، فأشار إليه (ص) أن تعال. فجاء، فقال: ما وراءك؟! .

فقال: إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك. فقالت قريظة: نعم، فأرسلوا إلينا بالرهن.

قال: فقال له رسول الله (ص): إني مسرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره. قال: «إنهم قد أرسلوا إلي يدعونني إلى الصلح، وأرد بني النضير إلى دورهم وأموالهم».

فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤١٣

وقال رسول الله (ص): الحرب خدعة. وعسى أن يصنع لنا.

فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم. فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه. فاتفق ذلك ليلة السبت، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم؛ فاعتلت اليهود بالسبت. ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة، فأوقع الله بينهم واختلفوا.^(١)

ونعتقد أن هذه الرواية هي الأقرب إلى الصواب. ويشهد لذلك ما يلي.

٢ - قال القمي: إنه لما بلغ النبي (ص) نقض بني قريظة للعهد، قال «لعناء، نحن أمرناهم بذلك. وذلك أنه كان على عهد رسول الله (ص) عيون لقريش، يتجسسون خبره»^(٢).

٣ - عن علي عليه السلام قال: الحرب خدعة. إذا حدثتكم عن رسول الله (ص) حديثاً؛ فوالله، لأن أحرّ من السماء أو تخطفني الطير أحب إلي من أن أكذب على رسول الله (ص). وإذا حدثتكم عني، فإن الحرب خدعة.

فإن رسول الله (ص) بلغه: أن بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان: إنكم إذا التقيتم أنتم ومحمد (ص) أمددناكم وأعناكم.

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٦ و٢١٧ وراجع: الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٦٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٠٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه.

٤١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

فقام النبي (ص)، فخطبنا فقال: إن بني قريظة بعثوا إلينا: إنا إذا التقينا نحن وأبو سفيان أمددونا وأعانونا.

فبلغ ذلك أبا سفيان، فقال: غدرت يهود، فارتحل عنهم^(١).

٤ - عن عائشة: كان نعيم رجلاً نموماً، فدعاه (ص)، فقال: إن يهود قد بعثت إلي: إن كان يرضيك عنا: أن نأخذ رجلاً رهناً من قريش وغطفان، من أشرفهم؛ فندفعهم إليك فتقتلهم. فخرج من عند رسول الله (ص)، فأتاهم، فأخبرهم بذلك.

فلما ولى نعيم، قال رسول الله (ص): إنما الحرب خدعة^(٢).

٥ - ويروي الواقدي عن أبي كعب القرظي: أنه لما جاء حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد يريده على نقض العهد قال له: لا تقاتل حتى تأخذ سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً عندكم.

وذلك من حيي خديعة لكعب حتى ينقض العهد. وعرف أنه إذا نقض العهد لحكم الأمر. ولم يخبر حيي قريشاً بالذي قال لبني قريظة، فلما جاءهم عكرمة يطلب منهم أن يخرجوا معه السبت قالوا: لا نكسر السبت، ولكن يوم الأحد. ولا نخرج حتى تعطونا الرهان.

فقال عكرمة: أي رهان؟!

قال كعب: الذي شرطتم لنا.

قال: ومن شرطها لكم؟.

(١) راجع: قرب الإسناد ص ٦٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٦ عنه وج ١٠٠ ص ٣١ والوسائل ج ١١ ص ١٠٢ و ١٠٣.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٧ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٩.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤١٥

قالوا: حيي بن أخطب.

فأخبر أبا سفيان ذلك، فقال: يا يهودي، نحن قلنا لك كذا وكذا.

قال: لا، والتوراة ما قلت ذلك.

قال أبو سفيان: بل هو الغدر من حيي.

فجعل حيي يحلف بالتوراة ما قال ذلك^(١).

وفي نص آخر: قال كعب: يا حيي، لا نخرج حتى نأخذ من كل أصحابك من كل بطن سبعين رجلاً رهناً في أيدينا.

فذكر ذلك حيي لقريش ولغطفان، وقيس. ففعلوا، وعقدوا بينهم عقداً بذلك حتى شق كعب الكتاب.

فلما أرسلت إليه قريش تستنصره قال: الرهن. فأنكروا ذلك واختلفوا^(٢).

٦ - قال نص آخر ما ملخصه: .

حدثني معمر، عن الزهري: أرسلت بنو قريظة إلى أبي سفيان: أن ائتوا فإننا سنغير على بيضة المسلمين من ورائهم، فسمع ذلك نعيم بن مسعود، وكان موادعاً للنبي (ص) فأقبل إلى النبي (ص) فأخبره. فقال (ص): فلعلنا أمرناهم بذلك.

فقام نعيم بكلمة رسول الله (ص)، وكان نعيم رجلاً لا يكتم

(١) المغازي ج ٢ ص ٤٨٥/٤٨٦ وذكر ابن عقبة أيضاً ما فعله عكرمة راجع السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩.

(٢) المغازي ج ٢ ص ٤٨٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٠١

٤١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

الحديث فلما ولّى من عند رسول الله (ص) ذاهباً إلى غطفان قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ما هذا الذي قلت؟ إن كان أمر من الله تعالى فأمضه، وإن كان هذا رأياً من قبل نفسك، فإن شأن بني قريظة هو أهون من أن تقول شيئاً يؤثر عنك.

فقال (ص): بل هو رأي رأيته؛ الحرب خدعة. ثم أرسل (ص) في أثر نعيم فدعاه، فقال (ص) له: أرايت الذي سمعتني قلت آنفاً؟ اسكت عنه؛ فلا تذكره فإنما أغراه. فانصرف من عند رسول الله (ص) إلى عيينة ومن معه من غطفان، فقال لهم: هل علمتم محمداً قال شيئاً قط إلا كان حقاً؟ قالوا: لا. قال: فإنه قال لي فيما أرسلت به إليكم بنو قريظة: «فلعلنا نحن أمرناهم بذلك» ثم نهاني أذكره لكم.

فأخبر عيينة بن حصن أبا سفيان بذلك، فقال: إنما أنتم في مكر بني قريظة.

فقال أبو سفيان: نرسل إليهم الآن فنسألهم الرهن؛ فإن دفعوا الرهن إلينا، فقد صدقونا، وإن أبو ذلك فنحن منهم في مكر.

فأرسلوا إليهم يطلبون الرهن ليلة السبت، فامتنعوا من اعطائه لأجل السبت. فقال أبو سفيان ورؤس الأحزاب: هذا مكر بني قريظة؛ فارتحلوا فقد طالت اقامتكم؛ فأذنوا بالرحيل، وبعث الله تعالى عليهم الريح، حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله.

فارتحلوا، فولوا منهزمين.

ويقال: إن حبي بن أخطب قال لأبي سفيان: أنا آخذ لك من بني قريظة سبعين رجلاً رهناً عندك حتى يخرجوا فيقاتلوا، فهم أعرف بقتال محمد وأصحابه. فكان هذا الذي قال: إن أبا سفيان طلب الرهن.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤١٧

قال ابن واقد: وأثبت الأشياء عندنا قول نعيم الأول^(١).

ونقول:

إننا نلاحظ: أن هذه الرواية، وكذلك رواية جعل ثلث ثمار المدينة لعينة بن حصن تظهر: أن سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب، يعتقدون أن النبي (ص) يتصرف أحياناً انطلاقاً من هدى الوحي، ووفق التدبير والتسديد الإلهي. ويتصرف أحياناً أخرى، انطلاقاً من رأيه الشخصي، ووفقاً لهواه الذي قد يصيب وقد يخطيء. وهذا بالذات هو ما عبر عنه عمر بن الخطاب هنا.

ثم أظهرت هذه الرواية وتلك: أنه (ص) قد اعترف هو نفسه بهذا الأمر وقرره بصراحة ووضوح.

مع أن نبينا الأكرم أجل من أن يتصرف أو يتكلم بوحى من الهوى وبغير إذن من الله سبحانه. ولا يخرج من بين شفثيه إلا الحق والصدق، والهدى، ولا شيء غير ذلك.

وملاحظة أخرى نسجلها على هذه الرواية وهي: أن نعيم بن مسعود قد أخبر عينة بن حصن ومن معه من غطفان بمقالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالطريقة التي لا بد أن يعرفوا منها: أن نعيماً هو الذي أخبر النبي (ص) بما أرسلت به قريظة إليهم. وهو ينطوي على مخاطرة واضحة حين يكتشف عينة وغطفان أن نعيماً قد خانهم وأفشى سرهم، ولن يسكتوا عن هذا الأمر أبداً.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٦ و ٤٨٧ والمصنف ج ٥ ص ٣٦٨ و ٣٦٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٢ و ٢٩٣ عن ابن جرير.

٤١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

إلا أن يكون الراوي قد نقل أصل الحدث ذاهلاً عن الصياغة الحقيقية التي أظهرها نعيم لقومه.

اللمحات الأخيرة:

١ - قد يظهر من بعض النصوص المتقدمة: أن نعيم بن مسعود كان يتجسس للمشركين. وأن رسول الله (ص) كان عارفاً بأمره، فاختره (ص) ليلقي إليه قوله ذاك الذي انتهى بتخذيّل الأحزاب، وشكهم ببعضهم البعض.

٢ - ثم إن لنا تحفظاً آخر هنا، وهو أن تسليم سبعين رهينة من أشرف قريش وغطفان إلى النبي (ص) ليقتلهم، إنما يعني أن يستقل اليهود من بني قريظة بعداوة الأحزاب وكل من له بهم صلة أو هو في المنطقة بأسرها، ولا طاقة لليهود بهؤلاء جميعاً. بل إن ذلك يحمل معه أخطار إبادتهم عن بكرة أبيهم. فكيف يمكن أن يصدق المشركون أن يقدم اليهود على أمر كهذا؟!.

وهذا يعني أن ما ذكرته النصوص الأخرى المتقدمة أقرب إلى الصواب. وأولى بالإعتبار.

٣ - وقد تقدم في الجزء الثامن: أن نعيم بن مسعود وحسان بن ثابت قد أظهرتا تعاطفاً واضحاً مع بني النضير حينما أجلاههم رسول الله (ص) فتصدى لهما أبو عبس وردّ عليهم بقوة^(١)، فراجع. وقد يستفيد البعض من ذلك: أن نعيم بن مسعود كان حينئذٍ مسلماً. فما معنى قولهم هنا: إنه قد أسلم في غزوة الخندق؟!.

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧٥.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤١٩

التقرير بلا مبرر:

ويقول البعض: «كان لوحدة الصف الإسلامي، وانضباط المسلمين ووقوفهم صفاً واحداً خلف قائدهم أثر كبير في تطور الموقف ونتائجه، سيما وأن خصومهم كانوا على نقیض ذلك. وهذا ما سهل كثيراً مهمة الدبلوماسية الإسلامية، التي اعتمدت اعتماداً رئيسياً على هذه الناحية، فنجحت في تفريق صفوف الأحزاب، وتشتيت شملهم»^(١).

ونقول:

إن هذا الكاتب قد نسي المتخاذلين والمنافقين، الذين كانوا يتسللون لواذاً، ويتركون النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويحتجون لانسحابهم من المعركة بحجج واهية. وكان لهم دور رئيس في تخذيل الناس، وبث الرعب والخوف في نفوس الكثيرين منهم. ونسي أيضاً تخاذلهم عن عمرو بن عبد ود ورفاقه، وهم أقل عدداً من أصابع اليد الواحدة. نعم لقد نسي ذلك، وجاء ليدعي أن الصف الإسلامي كان على غاية من القوة والتماسك خلف قائده. مع أنهم يذكرون - كما تقدم وسيأتي إن شاء الله - أنه صلى الله عليه وآله قد بقي في ثلاث مئة من أصحابه، بل ذكرت بعض النصوص: أنه لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً فقط.

كما أن هذا الكاتب لم يعرف: أن نعيم بن مسعود لم يكن هو بطل القصة. بل كان المحرك و المحور الأساس فيها هو

(١) الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٥٦.

٤٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
رسول الله (ص) نفسه حسبما أوضحناه آنفاً.

الشائعات والحرب النفسية:

قد روي عن علي عليه السلام، أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول يوم الخندق: الحرب خدعة ويقول: تكلموا بما أردتم^(١).

وقد اتضح مما تقدم أيضاً: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعمل على إيقاع الشك والريب فيما بين الأحزاب بالطريقة الإعلامية الذكية والواعية، حتى تحقق له صلى الله عليه وآله وسلم ما أراد، واستطاع من خلال ذلك أن يفشل كل مخططاتهم، ويبطل كل ما بذلوه من جهد وكيد.

وقد تجلت لنا من خلال ذلك أهمية الإعلام الحربي الموجه، وأنه قد يهزم الجيوش، ويثل العروش. إذا كان هادفاً وواعياً وذكياً.

الدعاء والابتهاال:

لقد دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأحزاب، فاستجاب الله تعالى له. يقول المؤرخون والمحدثون: إنه (ص) أتى مسجد الأحزاب يوم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء. فدعا عليهم يوم الأربعاء بين الصلاتين، قال جابر: فعرفنا البشر في وجهه^(٢).

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٠٢ وفي هامشه عن التهذيب ج ٢ ص ٥٣.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٠ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠ و ٤٩١ وإعلام الوری ط دار المعرفة ص ١٠٠ والكافي ط دار الأضواء ج ٨

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٢١

وفي نص آخر: انتظر (ص) حتى زالت الشمس، ثم قام في الناس، فقال: يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية؛ فإن لقيتم العدو، فاصبروا، واعلموا: أن الجنة تحت ظلال السيوف^(١).

ثم قال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم، وانصرنا عليهم وزلزلهم^(٢).

وعن ابن المسيب أنه (ص): لما اشتد عليهم الحصار قال: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد»^(٣).

ص ٢٣٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وفيه: «الأحاديث التي جاءت بدم يوم الأربعاء محمولة على آخر أربعاء في الشهر».

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ والبدية والنهاية ج ٤ ص ١١١ عن الصحيحين، وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ١٠٩ و ١١٠ ط مؤسسة آل البيت، والجعفریات ص ٢١٨ وتيسير المطالب ص ٢٤٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢ وراجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ١٢ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣

٤٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

وعند الراوندي: أنه (ص) صعد مسجد الفتح، فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض بعدها، فبعث الله ريحاً قلعت خيم المشركين إلخ... إلى أن قال: ثم رجع من مسجد الفتح إلى معسكره، فصاح بحذيفة بن اليمان، وكان قد ناداه قريباً ثلاثاً إلخ... ثم ذكر إرساله لكشف خبرهم^(١).

وقد ذكرت أدعية أخرى عديدة له (ص) في يوم الأحزاب فلتراجع في مصادرها^(٢).

ولعله صلى الله عليه وآله قد دعا بذلك كله في مواقف مختلفة.
وآخر ما نذكره نحن هنا:

ما عن الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر.

قال: نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا.

قال: فصرف الله تعالى ذلك^(٣).

- ص ٤٠٣ و ٤٠٤ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧.
- (١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ وراجع ص ٢٣٠ وتفسير القمي، ح ٢ ص ١٨٦ وغير ذلك.
- (٢) راجع بحار الأنوار ج ٩١ ص ٢١٢ و ٢١٣ ومهج الدعوات ص ٧٠ و ٧١ والوسائل ج ١٠ ص ٢٧٦ و ٢٧٧.
- (٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١١ عن أحمد، وابن أبي حاتم وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣ وفتح الباري ج ٧

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٢٣

ونقول:

إن لنا هنا وقفات:

أحداها: إن رواية عبدالله بن أبي أوفى المتقدمة موضع ريب وشك؛ لأن المسلمين لم يتمنوا لقاء العدو آنئذٍ، بل كان الحال يزداد شدة وصعوبة عليهم يوماً بعد يوم، وكان الخوف مسيطراً على الكثيرين؛ فإن كان النبي (ص) قد قال كلاماً من هذا النوع، فلا بد أن يكون قد قاله في مناسبة أخرى، غير مناسبة الخندق.

أضف إلى ذلك: أننا نستبعد كثيراً: أن يقول النبي (ص) كلاماً من هذا النوع؛ وذلك لما يحمل في طياته من تضعيف وتخذيل لم يكن النبي (ص) ليقدم عليه في حالات الحرب.

الثانية: إننا نجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يلتجئ للصلاة وللدعاء، ويوجه الناس إلى الله سبحانه في هذه الظروف الحرجة، التي يكون فيها الإنسان أكثر من أي وقت مضى مؤهلاً للتفاعل مع الحالات الروحية.

يساعد على ذلك أنه في هذه الظروف بالذات تكون نظرتة إلى الأمور واقعية وسليمة، لا تشوبها نوازع نفسية، ولا أهواء ولا غيرها مما من شأنه أن يضخم الأمور له، أو يمنع من رؤيتها على حقيقتها.

وذلك لأنه حين تصبح القضية لها مساس بمصيره وبيئاته، فإنه لا بد له من أن يحدق بها، ويكتشف كل خباياها وخفاياها، وتبلور فيه حساسية خاصة تجاه أية بادرة يلاحظها؛ إذا كانت تصب في نفس

٤٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

الإتجاه الذي يسير فيه، أو تؤثر على الواقع الذي يتعامل معه، سلباً كان ذلك التأثير أو ايجاباً.

وإذا كان ثمة ارتباط في هذه الناحية بالذات بالغيث، وبالله سبحانه على الخصوص؛ فإن التأثير يصبح أكثر عمقاً وأصاله وشمولية، لأنه يركز على الناحية العقيدية والإيمانية والشعورية، ومداهما، قبل أن يدخل في الحسابات المادية وفي نطاقها.

فإذا كانت الناحية الإيمانية تقوم على أساس فكري راسخ وتستند إلى القناعة العقيدية من خلال الدليل الصحيح والقاطع، فإنها تستمد حينئذ من اللامحدود، وتستند إلى المطلق، الذي يملك القدرة على استيعاب المحدود، مهما كانت قوته، ومهما اشتد وتعظم خطره.

الثالثة: من الواضح: أن التربية الروحية بحاجة إلى القول وإلى العمل، فإن ذلك يفيد في نيل درجات القرب، ويؤثر أيضاً في التصفية والتزكية، بما توحى به الكلمة عن معانٍ، وتشره من ظلال روحية، وتثيره من نسمات إيمانية أنيسة ودافئة.

كما أن العمل العبادي بما يمثله من تجسيد للحالة الروحية والنفسية يستطيع أن يرسخ الوعي في المشاعر وفي الخواطر، فتشير لديه وعياً جديداً، وأملاً وليداً.

الريح والملائكة:

قد عرفنا فيما تقدم: أن رسول الله (ص) قد دعا على الأحزاب، في مسجد الأحزاب، يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٢٥

١ - قالوا: فلما كان ليلة السبت بعث الله الريح على الأحزاب، حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله، ولا يقر لهم قدر ولا بناء. وقام رسول الله (ص) يصلي إلى أن ذهب ثلث الليل. وكذلك فعل ليلة قتل كعب بن الأشرف، وكان إذا حَزَبَه أمر أكثر من الصلاة^(١). وكان ذلك في أيام شاتية^(٢) وبرد شديد^(٣).

وقال البعض: أرسل الله تعالى عليهم الريح، فهتكت القباب، وكفأت القدور، ودفنت الرجال، وقطعت الأوتاد، فانطلقوا ليلوي أحد على أحد، وأنزل الله إلخ^(٤).

وكانت الريح التي أرسلها الله سبحانه عليهم هي ريح الصبا؛ فأكفأت قدورهم، وطرحت آنيتهم، ونزعت فساطيطهم^(٥).

وفي نص آخر؛ بعث الله عليهم ريحاً وظلمة، فانصرفوا هاربين لا يلوون على شيء، حتى ركب أبو سفيان ناقته وهي معقولة. فلما

(١) امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٨ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٨ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ١٢ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٦٤.

(٢) تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥.

(٣) الجامع للقيرواني ص ٢٨١.

(٤) سبل الهدى والرشاد ٤ ص ٥٤٥ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ و ١٢.

(٥) راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٩٢ عن مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٩ وراجع: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢.

٤٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

بلغ رسول الله (ص) ذلك قال: عوجل الشيخ^(١).

ويقول نص آخر: «كان الله عز وجل قبل رحيلهم قد بعث عليهم بالريح بضع عشرة ليلة، حتى ما خلق الله لهم بيتاً يقوم، ولا رمحاً، حتى ما كان في الأرض منزل أشد عليهم ولا أكره إليهم من منزلهم ذلك، فأقشعوا والريح أشد ما كانت، معها جنود الله لا ترى. كما قال الله عز وجل إلخ.^(٢)»

ولكن هذا النص الأخير لا ينسجم ما تقدم، وما سيأتي في حديث حذيفة أيضاً: من أن إرسال الريح عليهم إنما كان بعد دعاء النبي (ص) عليهم، وذلك بعد قتل عمرو بن عبد ود. وأن ذلك لم يدم إلا مدة يسيرة انتهت بفرارهم. بل لقد أخبرهم النبي (ص) ليلة الأحزاب بالريح، كما صرحت به النصوص.

كما أننا لا نرى مبرراً لأن يصمدوا أمام هذه الريح العاتية هذه المدة الطويلة.

والنصوص التاريخية حول ما صنعتها الريح بهم كثيرة، وسيأتي في حديث حذيفة المزيد.

أما بالنسبة لإرسال الملائكة، فإن النصوص فيه أيضاً كثيرة.

ويذكر المفسرون أن آية قرآنية قد ذكرت إرسال الريح والملائكة على الأحزاب، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودُ

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع الخرائج والجرائح منشورات مصطفىوي

ص ١٥٢ والبحار. ج ٢٠ ص ٢٤٩.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٦.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٢٧
فأرسلنا عليهم ريحاً، وجنوداً لم تروها. وكان الله بما تعملون
بصيراً^(١).

ويظهر من بعض النصوص: أن ما فعلته الريح هو نفس ما فعلته
الملائكة، وأن حركة الريح هي حركة الملائكة بالذات، فهو يقول:

وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم، وكانوا ألفاً. ولم
تقاتل يومئذٍ، وسمعوا قعقة السلاح، ولكن قلعت الأوتاد، وقطعت
أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل
بعضها في بعض، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فارتحلوا، وتركوا ما
استثقلوه من متاعهم^(٢).

١ - وقيل: إن الملائكة لم يقاتلوا يومئذٍ، بل كانوا يشجعون
المؤمنين، ويجنبون الكافرين^(٣).

٢ - في رواية: أن الملائكة قطعت أوتاد الخيام، وأطفأت
نيرانهم، ورأى الجيش أنه لا خلاص لهم إلا بالفرار^(٤).

٣ - قال البعض: وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى
كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم، حتى إذا اجتمعوا عنده

(١) سورة الأحزاب / ٩.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ عن
ابن ظفر في الينبوع، والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ والمواهب اللدنية
ج ١ ص ١١٤ وراجع، سعد السعود ص ١٣٨.

(٣) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٩ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٢ وراجع: تاريخ
الخميس ج ١ ص ٤٩١.

(٤) حبيب السير ج ١ ص ٣٦٤.

- ٤٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
 قال: النجاة النجاة، أتيتم^(١)، لما بعث الله عليهم من الرعب.
 ٤ - قال البلاذري: «وغشيتهم الملائكة تطمس أبصارهم»^(٢).
 ٥ - قيل: إنما بعث الله الملائكة تزجر خيل العدو وابلهم؛
 فقطعوا مدة ثلاثة أيام في يوم واحد فارين منهزمين^(٣).
 ٦ - جاءت الملائكة، فقالت: يا رسول الله، إن الله قد أمرنا
 بالطاعة لك، فمرنا بما شئت.
 فقال: زعزعي المشركين وأرعيهم، وكونوا من ورائهم.. أي
 فهي قد نفثت الرعب في قلوبهم^(٤).
 ٧ - وقالوا إن الملائكة لم تقا تل يومئذ^(٥).

مهمة حذيفة بن اليمان:

وبعد أن بقي النبي (ص) في اثني عشر رجلاً^(٦)، أو في ثلاث

-
- (١) راجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٩ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤
 ص ٥٤٦ ولم يذكر الملائكة. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وسعد السعود
 ص ١٣٨.
 (٢) أنساب الأشراف ص ٣٤٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦.
 (٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦.
 (٤) راجع الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٦ و ١٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨
 وراجع ص ٢٣٠ وراجع تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ والسيرة النبوية لدحلان
 ج ٢ ص ١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦.
 (٥) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٥ عن البيهقي، والسيرة الحلبية ج ٢
 ص ٣٢٦ وراجع السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠.
 (٦) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١ وتلخيصه للذهبي بهامشه.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٢٩

مئة رجل - كما في روايات أخرى عن حذيفة -، يحدثنا حذيفة عن تلك الليلة التي قام الرسول فيها على التل، الذي عليه مسجد الفتح في ليلة ظلماء ذات قرّة^(١).

وكان المسلمون صافين قعود، والأحزاب فوقهم، وقریظة أسفل منهم، يخافونهم على ذرائعهم، ونحن نلخص كلامه هنا؛ فقد قال:

ما أنت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحاً منها، في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبغه.

فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله، ويقولون: «إن بيوتنا عورة، وما هي بعورة» فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، ونحن ثلاث مئة، أو نحو ذلك.

فطلب النبي أن يأتيه أحدهم بخبر القوم، ثلاث مرات، فلم يجبه أحد من شدة الجوع والقر والخوف، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ابعث حذيفة.

فلما كلم النبي حذيفة تقاصر إلى الأرض، كراهية أن يقوم فأمره (ص) بالقيام، فقام، فقال له (ص): إنه كائن في القوم خبر، فأنتي بخبر القوم. وفي نص آخر: إن الله قد أخبرني: أنه قد أرسل الرياح على قریش فهزمهم.

فشكى إليه البرد، فقال له (ص): لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي. فذكر له أنه يخاف الأسر والتمثيل به فقال: إنك لن تؤسر، فخرج حذيفة، فدعا له النبي (ص)، فذهب الفرع، والبرد عنه.

(١) إعلام الوری ط دار المعرفة ص ١٠١ والكافي ج ٨ ص ٢٧٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٨ وراجع ص ٢٣٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦.

٤٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

قال حذيفة: فمضيت كأنما أمشي في حمام^(١). فلما وليت دعاني، فقال: يا حذيفة، لا تحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني.

وفي رواية: أنه (ص) قال له: إئت قريشاً، فقل: يا معشر قريش، إنما يريد الناس إذا كان غداً، أن يقولوا: أين قريش؟ أين قادة الناس؟ أين رؤوس الناس، فيقدموكم، فتصلوا القتال، فيكون القتل فيكم.

ثم أئت بني كنانة، فقل: (وعلمه ما يشبه الكلام السابق لقريش، وكذا الحال بالنسبة لقيس).

فذهب حذيفة فلما دنا منهم رأى أدهم ضخماً عند نار توقد، وحوله عصبة، وقد تفرق الأحزاب عنه، وهو يقول: الرحيل الرحيل.

ولم يكن حذيفة يعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزع سهماً ليرميه. فذكر وصية النبي (ص) له، فأمسك.

قال: فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان أنه قد دخل فيهم غيرهم، فقال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه.

فضربت بيدي على يد الذي عن يميني، فأخذت بيده، فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان. ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص. وفي نص آخر: سهيل بن عمرو وفي آخر: سبحان الله أما تعرفني؟! أنا فلان بن

(١) في تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣١: أنه بعد أن اجتاز الخندق شعر كأنه يمشي في حمام وراجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٧.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٣١

فلان؛ فإذا رجل من هوازن. وعند الراوندي: خالد بن الوليد. فعلت ذلك خشية أن يفطن بي، فبدرتهم بالمسألة.

ثم تلبث فيهم هنيهة، وأتيت بني كنانة وقيساً، وقلت ما أمرني به رسول الله (ص).

ثم دخلت في العسكر؛ فإذا أدنى الناس مني بنو عامر. ونادى عامر بن علقمة: يا بني عامر، إن الريح قاتلي وأنا على ظهر، وأخذتهم ريح شديدة. وصاح بأصحابه. فلما رأى ذلك أصحابه جعلوا يقولون: يا بني عامر، الرحيل الرحيل، لا مقام لكم.

وإذا الريح في عسكر المشركين ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم، وفرشهم، والريح تضربها، فلما دنا الصبح نادوا أين قريش؟ أين رؤس الناس؟.

فقالوا: أيها، هذا الذي أتينا به البارحة.

فقالوا: أين كنانة؟.

فقالوا: أيها، هذا الذي أتينا به البارحة.

أين قيس؟ أين أحلاس الخيل؟.

فقالوا: أيها، هذا الذي أتينا به البارحة.

فلما رأى ذلك أبو سفيان، أمرهم بأن يحملوا. فتحملوا، وإن الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم. حتى رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول فجعل يستحثه ولا يستطيع أن يقوم حتى حل بعد.

فعاد إلى النبي، فلما انتصف به الطريق التقى بعشرين فارساً، أو بفارسين فقط، فقالا: أخبر صاحبك: أن الله تعالى كفاه القوم بالجنود

٤٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
والريح . فرجع إلى النبي (ص) فوجده يصلي ، وعاد إليه البرد والقر ،
فسدل عليه فضل شملته فنام ، ثم أخبره : أنه تركهم يرحلون .
وذكر ابن سعد : أن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما في
ماءتي فارس ساقا للعسكر ، وردءاً لهم ، مخافة الطلب^(١) .

نص آخر لقضية حذيفة:

إننا نذكر نصاً مختصراً آخر لقضية حذيفة ، ثم نحيل القارىء إلى
المصادر التي ذكرت هذه القضية بتفصيل أو بإجمال ليراجعها من اراد
الاستقصاء والمقارنة .
فنقول :

بعد أن ذكر المؤرخون ما قام به نعيم بن مسعود من كيد بين
قريظة ، وقريش وغطفان - وإن كنا نحن قد سجلنا فيما سبق تحفظات
قوية عليه - قالوا :

«وتخاذل القوم ، واتهم بعضهم بعضاً ، وذلك في زمن شات ،
وليال باردة كثيرة الرياح ، تطرح أبنتهم ، وتكفأ قدورهم . وضاق ذرع
القوم ، وبلغ رسول الله (ص) اختلاف القوم ، وما هم فيه من الجهد ،
فدعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال حذيفة : فذهبت فرأيت من الرياح أمراً هائلاً ، لا يقر لهم

(١) راجع هذا النص الذي حاولنا تلخيصه في سبل الهدى والرشاد ج ٤
ص ٥٤٧ - ٥٤٩ عن الحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وأبي نعيم
في دلائلهم ، ومسلم ، وابن عساكر ، وابن إسحاق ، وستأتي بقية المصادر
في الهامش الذي بعد التالي وكثر العمال ج ١٠ ص ٢٨٢ و ٢٨٣ .

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٣٣
ناراً ولا بناءً.

فقام أبو سفيان بن حرب، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ
جليسه.

قال: فبادرت وأخذت بيد الرجل الذي إلى جانبي، فقلت: من
أنت؟!

قال: أنا فلان بن فلان.

ثم قال أبو سفيان: إنكم يا قوم ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك
الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم ما نكره، ولقينا من
الجهد والشدّة، وهذه الريح ما ترون، فارتحلوا؛ فإني مرتحل^(١).

ثم قام إلى جملة، وقام الناس معه. (في نص آخر: قام إلى
جملة وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم).

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانصرفوا إلى بلادهم.

وتفرق ذلك الجمع من غير قتال، إلا ما كان من عدة يسيرة،
اتفقوا على الهجوم إلخ. ثم ذكر قتل علي عليه السلام لعمرو. ثم
قال: وانتقض ذلك الجمع والتدبير كله^(٢).

(١) وفي نص آخر أنه قال: «إن كنا نقاتل أهل الأرض فنحن بالقدرة عليه، وإن
كنا نقاتل أهل السماء كما يقول محمد؛ فلا طاقة لنا بأهل السماء إلخ»
الخرائج والجرائح ص ١٥٧ والبحار ج ٢ ص ٢٤٨ عنه.

(٢) تجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٢ و ١٥٣.
وحدث حذيفة هذا موجود بإيجاز أو بتفصيل في المصادر التالية: امتاع
الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٤ وتاريخ الأمم
والملوك ج ٢ ص ٢٤٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ - ١١٥ والسيرة
النبية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٧ - ٢٢١ وإعلام الوری ط دار المعرفة

٤٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وذكرت المصادر: أنه (ص) نادى حذيفة مرتين، فلم يجبه، وأجابه في الثالثة. فقال له: تسمع صوتي ولا تجيبني؟! فاعتذر عن عدم اجابته بالخوف والبرد والجوع^(١).

ص ١٠١ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٥ و ٦٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٣ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٧ و ١٧٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٩ و ٤٩٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ و ٤٩٢ والوفاء ج ٢ ص ٦٩٤ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٣ - ٤٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٥ - ١٩٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢٦٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٩ - ٤٥٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣١٢ والكافي ج ٨ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣١ وتلخيصه بهامشه وصحاحه، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد باب غزوة الأحزاب والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ - ٣٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٣ و ٢٥٠/٢٤٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ - ١٢ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧٠ و ٢٧١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٤ و ١٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٨/١٤٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥.

(١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٠ والخرايع والجرائح ج ١ ص ١٥٧ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ و ١١ ولم تصرح المصادر الثلاثة الأخيرة بأنه (ص) ناداه باسمه ثلاث مرات وكذا في المصادر التالية: السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٨/١٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٤ والبداءة والنهاية ج ٤ ص ١١٣ و ١١٤ وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٥ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٤ و ١٧٥ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٧ - ٢١٩.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٣٥

وثمة نص آخر يقول: إنه (ص) أراد أن يبعث رجلاً من أصحابه يعبر الخندق فيعلم ما خبر القوم، فأتى رجلاً فطلب منه ذلك فاعتل، فتركه. وأتى آخر، فاعتل أيضاً فتركه، وحذيفة، يسمع، ولكنه صامت لا يتكلم، فأتاه (ص) وهو لا يدري من هو، فسأله إن كان قد سمع ما جرى، فأجاب بالإيجاب، ثم اعتذر عن عدم مبادرته للإجابة طلبه (ص) بالجوع والضر. ثم أمره (ص) بالذهاب إلخ.^(١)

ونقول:

إننا لا نستطيع أن نؤكد صحة قضية حذيفة بمالها من خصوصيات وتفاصيل مذكورة آنفاً، وإن كنا لا نمنع من أن يكون النبي (ص) قد أرسله لكشف خبر الأحزاب، فعاد إليه فأخبره بأنهم بدأوا بالرحيل..

وشكنا فيما عدا ذلك من تفاصيل وأحداث مزعومة، يستند إلى عدة أمور، نذكر منها.

أولاً: إننا نجد حذيفة يذكر أنه رأى أبا سفيان في ضوء النار الموقدة، وهو يستدفيء بها مع أصحابه، وأراد أن يرميه بسهم، لولا أنه ذكر وصية النبي (ص) له. وقد رآه رجلاً ضخماً أدهما.. فكان من الواضح له أنه استطاع أن يميز لونه، ويعرف أنه أدهم.

ولكنه يأتي ويجلس بين نفس تلك العصبة التي حول أبي سفيان. ولا يستطيع أن يراه أحد من تلك العصبة، ولا أحس به. رغم وجود النار والنور. ورغم احساس أبي سفيان بأن رجلاً غريباً دخل بينهم. وإذا كانت الظلمة شديدة إلى هذا الحد، فكيف استطاع حذيفة

(١) دلائل النبوة لليبهي ج ٣ ص ٤٠٦ و ٤٠٧.

٤٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
أن يجد مكانه بينهم دون أن يصطدم ولو جزئياً بواحد منهم؟!.

وكيف استطاع حذيفة أن يرى العصابة وأبا سفيان، ويرى تفرق الأحزاب عنه. ثم لا يراه أحد، ولا يحس به أي منهم على الإطلاق؟.

وثانياً: إذا كان أبو سفيان حين ورود حذيفة ينادي: الرحيل الرحيل، وكذلك كان عامر بن علقمة بن علاثة ينادي الرحيل الرحيل، لا مقام لكم، فما معنى أن يقوم حذيفة بدوره في تخذيلهم، وفق ما علمه الرسول إياه.

وثالثاً: هناك اختلاف في نصوص الرواية. ونذكر تناقضاً صريحاً واحداً هنا وهو واقع في الرواية التي ذكرناها أولاً نفسها، فهي تقول: إن الريح كانت في عسكر المشركين، ما تجاوز عسكرهم شبراً. مع أنه قد جاء في بداية الرواية نفسها قوله: «ما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحاً منها، في أصوات ريحها مثل الصواعق؛ فجعل المنافقون يستأذنون إلخ...».

ورابعاً: تقول الرواية التي ذكرناها أولاً: إن النبي (ص) قد أمر حذيفة بأن يأتي قريشاً فيقول: يا معشر قريش، إنما يريد الناس إلخ... ثم يأتي كنانة فيقول كذا وكذا، ثم يأتي قيساً فيقول كذا وكذا..

وهذا لا ينسجم مع عنصر السرية الذي كان مطلوباً لحذيفة في ظروف كهذه. كما لا ينسجم مع ما جرى بينه وبين جليسيه حين طلب أبو سفيان أن يعرف كل منهم جليسه.

وخامساً: ألف: إن بعض المصادر ذكرت: أنه لما سأل حذيفة

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٣٧
جليسه عن اسمه. قال: سبحان الله، أما تعرفني؟! أنا فلان بن فلان،
فإذا رجل من هوازن.

فما معنى تعجب هذا الرجل؟ فهل رأى حذيفة وجهه في ذلك
الظلام الدامس ولم يعرفه، فأثار ذلك تعجبه؟!

ب: كما أننا نعرف أن حذيفة قد حضر حرب أحد، وكان أبو
سفيان قائد جيش المشركين في أحد، فهل لم يكن قد رآه آنئذٍ، ليقول
هنا: إنه لم يكن يعرف أبا سفيان حتى ذلك الوقت؟! .

وحين رآه واقفاً يوقد النار ويستدفيء بها كيف عرف أنه أبو
سفيان، فلعله رجل آخر من هذا الجيش الكثيف.

ج - تذكر رواية الراوندي: أن حذيفة قال: «فصرت إلى
معسكرهم فلم أجد هناك إلا خيمة أبي سفيان، وعنده جماعة من
وجوه قريش، وبين أيديهم نار تشتعل مرة، وتخبو أخرى، فانسللت
فجلست بينهم»^(١).

والسؤال هو: لماذا لم يجد إلا خيمة أبي سفيان، فهل استعصت
هذه الخيمة فقط على الريح التي أرسلها الله سبحانه عليهم؟! .
ودمرت خيام جيش يعد بالألوف؟!

وسادساً: إن البعض قد أورد ما يشبه هذه الرواية، لكنه يجعل
بطلها الزبير بن العوام، فهو يقول:

قال رسول الله (ص) يوم الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم؟! .

فقال الزبير: أنا.

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ عنه.

٤٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟

فقال الزبير: أنا.

ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟

فقال الزبير: أنا.

ثم قال: إن لكل نبي حوارى، وإن حوارى الزبير^(١).

ونقول: إذا كان هذا صحيحاً فلماذا ترك الزبير، ولم يرسله.

وأرسل حذيفة؟

فأجاب البعض: بأن حذيفة إنما ذهب ليأتيه بخبر المشركين. أما

الزبير فقد كشف خبر بني قريظة^(٢).

ولكنه كلام لا يصح. لأن ابن الدبيع قد صرح بأن الزبير هو

الذي سمع أبا سفيان ينادي، ويأمرهم بسؤال جلسائهم عن أنفسهم.

قال الزبير: فبدأت بجليسي وقلت: من أنت؟^(٣).

وقد حاول دحلان أن يجيب على ذلك التساؤل بطريقة أخرى،

فقال: .

(١) حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ و ٥٩١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٨

وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣١ وصحيح

البخاري ج ٣ ص ٢٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وتاريخ الإسلام

للذهبي (المغازي) ص ٢٤٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ والسيرة النبوية

لدحلان ج ٢ ص ١٠ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧٠ عن البخاري

ومسلم، وسنن الترمذي، وابن ماجه، وفي الأخير عن علي.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ و ٥٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣

وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٢.

(٣) حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ و ٥٩١.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٣٩

«فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وأرسله كما سيأتي، ولم يرسل الزبير (رض) مع سؤاله ذلك ثلاثاً؛ لأن له حدة وشدة، لا يملك معها نفسه أن يحدث بالقوم شيئاً مما نهى عنه حذيفة فيما يأتي؛ فاختار إرسال حذيفة لذلك. هذا هو التحقيق عند ائمة السير. وهو أن المرسل إنما هو حذيفة (رض). ونسب بعضهم الإرسال إلى الزبير، وهو اشتباه. وإنما إرسال الزبير (رض) في كشف خبر بني قريظة لما نقضوا العهد»^(١) انتهى.

ونقول:

قد تقدم: أن إرسال الزبير إلى بني قريظة لا يصح أيضاً، فراجع.

وأما أنه (ص) عدل عن الزبير إلى حذيفة لأجل حدة كانت في الزبير، فإنما هو على فرض تسليم أصل القصة. وهي مردودة جملة وتفصيلاً؛ لأن حذيفة يصرح بأنه (ص) ناداهم ثلاثاً فلم يجب منهم أحد، وهذا يكذب أن يكون الزبير قد أجاب ثلاث مرات.

حقيقة القضية:

ونعتقد: أن ما يذكر للزبير هنا إنما هو من مجعولات محبيه، لينال وساماً عن غير جدارة ولا استحقاق.

أما حذيفة، فقد يكون النبي صلى الله عليه وآله أرسله لكشف خبر المشركين. فراقبهم عن بعد، أو عن قرب، وسمع بعض

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨.

٤٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
أقولهم. ثم زاد الرواة على ذلك ما شاؤا حتى أخرجوا القضية عن
حدود المعقول والمقبول.

رسالة أبي سفيان للنبي (ص) قبل الرحيل:

وكتب أبو سفيان إلى النبي (ص) رسالة يقول فيها: لقد سرت إليك
في جمعنا. وإننا نريد ألا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك، فرأيتك قد
كرهت لقاءنا وجعلت مضايق وخذادق، فليت شعري من علمك هذا؟
فإن نرجع عنكم فلکم منا يوم كيوم أحد، تبقر فيه النساء.
ويعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي. فقرأه له أبي بن كعب.
فكتب إليه (ص):

أما بعد، فقديماً غرك بالله الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا
في جمعكم، وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر الله
يحول بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى.
وأما قولك: من علمك الذي صنعنا من الخندق، فإن الله تعالى
ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك. وليأتين عليك يوم
تدافعني بالراح. وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى، واساف،
ونائلة، وهبل حتى أذكرك ذلك^(١).

(١) المغازي ج ٢ ص ٤٩٢ والامتناع ج ١ ص ٢٤٠ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٢
وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ وراجع أنساب الأشراف ج ١
ص ٣٤٤ وراجع النزاع والتخاصم ص ١٧ و ١٨ والغدير ج ٣ ص ٢٥٢
عنه.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٤١

وثمة نص آخر لكتاب كتبه أبو سفيان فليراجع^(١).

الرحيل الذليل:

وذكر الواقدي: أن أبا سفيان جلس على بعيره وهو معقول، ثم ضربه، فوثب على ثلاث قوائم، فما أطلق عقاله إلا بعد ما قام. فناداه عكرمة: إنك رأس القوم وقائدهم، تقشع؟ وتترك الناس؟. فاستحيا، فأناخ جملة ونزل عنه، وأخذ بزمامه وهو يقوده. وقالوا: ارحلوا قال، فجعل الناس يرتحلون وهو قائم حتى خف العسكر.

ثم قال لعمر بن العاص: يا أبا عبدالله، لا بد لي ولك أن نقيم في جريدة من خيل بازاء محمد وأصحابه؛ فإننا لا نأمن أن نطلب حتى ينفذ العسكر.

فقال عمرو: أنا أقيم.

وقال لخالد بن الوليد: ما ترى يا أبا سليمان؟.

فقال: أنا أيضاً أقيم.

فأقام عمر وخالد في ماءتي فارس وسار العسكر إلا هذه الجريدة على متون الخيل.

وأقامت الخيل حتى السحر، ثم مضوا فلحقوا الأتقال والعسكر مع ارتفاع النهار بملل.

ولما ارتحلت غطفان وقف مسعود بن رخيطة في خيل من

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣١.

٤٤٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

أصحابه، ووقف الحارث بن عوف في خيل من أصحابه، ووقف فرسان من بني سليم في أصحابهم، ثم تحملوا في طريق واحدة، وكرهوا أن يتفرقوا حتى أتوا على المراض (موضع على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة) ثم تفرقوا إلى محالهم^(١).

لكن الراوندي يقول: إن أبا سفيان قال لخالد:

إما أن تتقدم أنت فتجمع إلي الناس، ليلحق بعضهم ببعض، فأكون على الساقة، وإما أن أتقدم أنا وتكون على الساقة.

قال بل أتقدم أنا وتتأخر أنت.

فقاموا جميعاً، فتقدموا، وتأخر أبو سفيان فخرج من الخيمة، وأنا اختفيت في ظلها، فركب راحلته وهي معقولة من الدهش الذي كان به، فنزل يحل العقال، فأمكنني قتله، فلما هممت بذلك تذكرت إلخ^(٢).

فالرواية المتقدمة تقول: إن خالداً قد بقي هو وعمرو بن العاص في جريدة من مائتي فارس، وهذه تقول: إن خالداً تقدم على أبي سفيان، وابن العاص حيث بقي أبو سفيان على ساقة العسكر، وابن العاص في الجريدة؛ التي تأخرت.

ومهما يكن من أمر، فقد روي عن قتادة: أن سيد كل حي كان يقول: يا بني فلان هلم إلي، حتى إذا اجتمعوا عنده قال: النجاة،

(١) المغازي ج ٢ ص ٤٩٠ وأشار إلى ذلك في عيون الأثر ج ٢ ص ٦٦، وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١١ و ١٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٧ وراجع: امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩.

(٢) الخرائج والجرائع ج ١ ص ١٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ عنه.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٤٣
النجاة أتيتهم. لما بعث الله عليهم من الرعب، وتركوا ما استثقلوه من
متاعهم^(١).

ويقول البلاذري: بعد أن ذكر: أن الله سبحانه قد أرسل عليهم
ريحاً صفراء، فملات عيونهم فدخلهم الفشل والوهن، وانهزم
المشركون وانصرفوا إلى معسكرهم، ودامت عليهم الريح..
«وقالت غطفان وسليم: والله، لمحمد أحب إلينا، وأولى بنا من
يهود؛ فما بالنا نؤذيه وأنفسنا، وكانت تلك السنة مجدبة، فجهدوا،
وأضر مقامهم بكراعهم، فانصرفوا، وانصرف الناس»^(٢).

وكفى الله المؤمنين القتال (بعلي) (ع):

إن ملاحظة أقوال معظم المؤرخين تعطينا:

١ - إن ما فعله نعيم بن مسعود - حسب زعمهم - من الفتنة بين
بني قريظة والمشركين، ثم إرسال الريح عليهم. كان هو السبب في
هزيمة الأحزاب^(٣).

٢ - وبعضهم يرى: أن السبب هو الريح فقط، أو الريح
والجنود^(٤).

(١) راجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦
عن ابن جرير، وابن أبي حاتم والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وراجع:
السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢.

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥.

(٣) راجع على سبيل المثال: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢.

(٤) راجع سيرة مغلطاي ص ٥٦ والدر المنثور ج ٥ ص ١٩٢ عن ابن أبي حاتم
وابن جرير عن السدي وقناة.

٤٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

٣ - والبعض يرى: أن ما فعله نعيم هو السبب^(١).

بل يقول البعض:

إن دور الريح والملائكة كان صورياً. والسبب الحقيقي هو
الفرقة التي بثها رسول الله (ص) بين صفوف المهاجمين، فأصبح
بعضهم لا يأمن بعضاً قبل المعركة، فكيف يأمنه إذا حمي الوطيس
واحمرت الحديق؟!

ولذلك ما إن هبت عليهم الرياح التي أرسلها الله حتى اتخذوها
ذريعة للانسحاب من ميدان القتال يحملون في قلوبهم الضغائن على
بعضهم^(٢).

وهو كلام عجيب لما فيه من الجرأة والوقاحة على نفي كلام
القرآن، الذي يصرح بالدور القوي للملائكة وللريح في حسم
الموقف، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم، إذا جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾.

فهل يرى هذا الكاتب أن ما أرسله الله سبحانه لم يكن له أي أثر
أو دور إلا أنه اتخذ ذريعة للفرار من قبل المشركين؟!.

وقد ورد أنه صلى الله عليه وآله كان يقول: «لا إله إلا الله
وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب (أو وهزم) الأحزاب وحده،
فلا شيء بعده»^(٣).

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٩٥ عن ابن سعد عن سعيد بن المسيب.

(٢) التفسير السياسي للسيرة ص ٢٦٢/٢٦٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ عن البخاري والبداية والنهاية ج ٤
ص ١١١ و ١١٥ عن الصحيحين ومجمع البيان ج ٨ ص ٢٤٥ وتاريخ

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٤٥

ونقول:

إن النصوص المختلفة تلمح وتصرح: بأن هزيمة الأحزاب كانت لأسباب ثلاثة:

الأول: وهن أمر المشركين بسبب تضعضع ثقتهم ببعضهم البعض، مع طول الحصار، ثم مع ما واجهوه من مصاعب فيما يرتبط بالناحية المعيشية لهم ولكراهم.

وذلك لأن خروجهم إلى حرب النبي بعد انقضاء زمن الحصاد، وفي سنة مجدبة، قد تسبب لهم بنكسة قوية. وهو يدل على أنهم لم يدرسوا الموقف من جميع جوانبه، ولعل ذلك لأجل أنهم كانوا مطمئنين إلى أنهم سيحسمون الموقف لصالحهم في فترة وجيزة ففاجأهم الرسول بخبطه الحربية التي كانت قاصمة الظهر بالنسبة إليهم.

الثاني: ما أرسله الله سبحانه عليهم من الريح والجنود التي لا ترى؛ فإن الآية وإن لم تصرح بأن هزيمتهم كانت بسبب ذلك إلا أن عدم التصريح هذا لأن ذلك لم يكن هو تمام السبب في الهزيمة، بل كان من المؤثرات فيها.

الثالث: ما قذفه في قلوبهم من الرعب، بسبب قتل فرسانهم وكبش كتيبتهم، حتى يئسوا من أن يلجوا الخندق مرة أخرى قال ابن

الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٠ وعن مسلم كتاب الذكر ج ٨ ص ٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٦ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ و ٢٢١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٤٠٦.

٤٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩

العبري: «وبقوا بضعة وعشرين يوماً لم يكن بينهم حرب. ثم جعل واحد من المشركين يدعو إلى البراز، فسعى نحوه علي بن أبي طالب، فقتله وقتل بعده صاحباً له، وكان قتلها سبب هزيمة الأحزاب، على كثرة عددهم، ووفرة عددهم»^(١).

ب: وقال المعتزلي: «الذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب؛ لأنه قتل شجاعهم وفارسهم عمرواً لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم»^(٢).

ج: وقال الشيخ المفيد: «فتوجه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع، والخطاب. ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ كان الفتح له، وعلى يديه. وكان قتله عمرواً ونوفل بن عبدالله سبب هزيمة المشركين»^(٣).

د: ويقولون أيضاً: «وفر عكرمة، وهبيرة، ومرداس، وضرار، حتى انتهوا إلى جيشهم، فأخبروهم بقتل عمرو ونوفل؛ فتوهن من ذلك قريش، وخاف أبو سفيان. وكادت أن تهرب فزارة، وتفرقت غطفان»^(٤).

هـ: تقدم عن علي عليه الصلاة والسلام أنه قال عن قتله لعمر بن عبد ودّ يوم الأحزاب.

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ٥ ص ٧.

(٣) الارشاد ص ٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٨.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧/٤٨٨ عن روضة الأحباب.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٤٧

«فهزم الله قريشاً والعرب بذلك، وبما كان مني فيهم من النكاية»^(١).

و: ثم هناك ما روي عن ابن مسعود من أنه كان يقرأ - على سبيل التفسير والبيان طبعاً -: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي^(٢).

فكلمة: بعلي ليست من القرآن، وإنما هي زيادة تفسيرية للآية، للتأكيد على نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام.

وما أكثر القراءات التفسيرية هذه. فراجع كتابنا: حقائق هامة حول القرآن الكريم.

ز: عن ابن عباس: كفاهم الله القتال يوم الخندق، بعلي بن أبي

(١) الخصال للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٣٦٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٢ عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساکر وينايع المودة ص ٩٤ و ٩٦ و ١٣٧ عن المناقب وأبي نعيم وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ والارشاد للمفيد ص ٦٢ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٦ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٢٣ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤ وروح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥ وكفاية الطالب ص ٢٣٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٥٠ و ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٦ و ٢٠٥ و ٢٥٩ و ج ٤١ ص ٨٨ وشواهد التنزيل ط وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية ص ٧ و ٨ و ٩ ج ٢ ونهج الحق ص ١٩٩ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج ٢ ص ٤٢٠.

وملحقات إحقاق الحق للمرعشي النجفي ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٨٠ و ج ١٤ ص ٣٢٧ - ٣٢٩ و ج ٢٠ عن مصادر تقدمت وعن المصادر التالية: معارج النبوة للكاشفي ج ١ ص ١٦٣ ومناقب مرتضوي ص ٥٥ ومفتاح النجا للبدخشي ص ٤١ مخطوط وتجهيز الجيش ص ٨١ مخطوط ودر بحر المناقب ص ٨٥ مخطوط. وارجع المطالب ص ٧٥ و ١٨٦.

٤٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
طالب، حين قتل عمرو بن عبد ود^(١).

وذكر القمي أيضاً نزول الآية في علي فراجع^(٢) وكذا روي عن الإمام الصادق^(٣).

ح: تقدم في الفصل السابق قول الحافظ يحيى بن آدم، أو جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى:
فهزموهم باذن الله، وقتل داود جالوت.

ط: قال الشيخ المفيد: «وقال رسول الله بعد قتله هؤلاء
النفر (يعني: عمرواً وأصحابه): «الآن نغزوهم ولا يغزوننا»^(٤).

وعند المعتزلي الشافعي: أنه صلى الله عليه وآله قال عند قتل
عمرو: «ذهبت ريحهم، ولا يغزوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء
الله»^(٥).

اشجع الأمة:

قال المحقق التستري: تدل الآية بناء على قراءة ابن مسعود:
«على كون علي أشجع من كل الأمة. وأنه تعالى به عليه السلام كفى

(١) شواهد التنزيل ط وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية ج ٢ ص ١٠ وشرح نهج
البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٤ عن الاسكافي.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٣.

(٣) ينابيع المودة ص ٩٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ والبحار ج ٤١
ص ٨٨.

(٤) الإرشاد ص ٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٨.

(٥) شرح النهج للمعتزلي الشافعي ج ١٩ ص ٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٣ عنه.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٤٩

شر العدو عنهم يوم الأحزاب؛ فيكون أفضل منهم، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً^(١).

وقال المظفر: «... فمنه حياة الإسلام والمسلمين، ولولا أن يكفيهم الله تعالى القتال بعلي لاندست معالم الإسلام؛ لضعف المسلمين ذلك اليوم، وظهور الوهن عليهم إلخ...»^(٢).

مفارقة في الموقف:

وقد ذكرت إحدى الروايات: أن هند بنت عمرو بن حزام، حين قتل زوجها عمرو بن الجموح وأخوها عبدالله، وابنها في حرب أحد. قالت لعائشة:

أما رسول الله (ص) فصالح، وكل مصيبة بعده جليل. واتخذ الله من المؤمنين شهداء. «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لما ينالوا خيراً. وكفى الله المؤمنين القتال. وكان الله قوياً عزيزاً».

قال المعتزلي: قلت: هكذا وردت الرواية. وعندي أنها لم تقل كل ذلك. ولعلها قالت: «ورد الله الذين كفروا بغيظهم» لا غير، وإلا فكيف يواطىء كلامها آية من كلام الله تعالى، أنزلت بعد الخندق. والخندق بعد أحد. هذا من البعيد جداً^(٣).

ونقول:

إننا نوافق المعتزلي على ما قاله. ولكننا نقول له: كيف صار

(١) احقاق الحق ج ٣ ص ٣٨١. والآية في سورة النساء ٩٥.

(٢) دلائل الصدق ج ٢ ص ١٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٤ ص ٢٦٢.

٤٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

هذا من البعيد جداً، ولم تكن موافقات عمر للقرآن^(١) على اختلافها وتنوعها، من البعيد جداً أيضاً؟!

أم أن عبقرية عمر ليست لغيره من البشر، حتى الأنبياء وأوصيائهم، فضلاً عن النساء؟ أم أن حق التأليف القرآني محفوظ لعمر بن الخطاب بالاشتراك مع العزة الإلهية؟! تعالى الله عما يقول الجاهلون والوضاعون لفضائل عمر وغيره علواً كبيراً.

الآن نغزوهم، ولا يغزوننا:

وذكروا: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال يوم الأحزاب، حين أجلاهم الله سبحانه: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم.

أو قال: لن تغزوكم قريش بعد عامهم (أو عامكم) هذا.

أو نحو ذلك^(٢) فلم تغز كفسار قريش المسلمين بعد

(١) راجع: على سبيل المثال تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٣٢ - ٣٤ وراجع: الغدير للعلامة الأميني ج ٥ ص ٤٣ - ٦٥.

(٢) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٩ عن أحمد، والبخاري، والبزار، والبيهقي، وأبي نعيم. وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٤، و ٤٥٧ و ٤٥٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٦ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٨ و ٢٧٣ و ٢٠٩ والإرشاد للمفيد ص ٦٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٦ وراجع ص ٧٦

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٥١ الخندق^(١).

متى قال النبي كلمته:

وقد صرح المفيد والمعتزلي بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قال ذلك حين قُتِلَ عمرو وأصحابه. لكن المؤرخين الآخرين. يذكرون ذلك بعد جلاء الأحزاب والظاهر هو أنه لا فرق بين القولين، لأن جلاء الأحزاب. كان في اليوم الثاني، أو الثالث، من قتل الفرسان. فلم يكن هناك فاصل زمني يعتد به. ولا حدثت بعد قتلهم أحداث متميزة ومهمة سوى ما أرسله الله سبحانه على الأحزاب من الريح.

ولعل البعض قد حاول تعمية الأمر هنا، لأجل أن يقلل من أهمية الانجاز الكبير الذي حققه علي عليه السلام، الذي ابتلي بأناس لا يزالون يحاولون انكار فضائله، واطفاء نور جهاده الرسالي الرائد.

وحدات الأنوار ج ٢ ص ٥٩٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥ عن ابن اسحاق ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢.

(١) امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣٤٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٧ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤.

٤٥٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

لماذا لن تغزوهم قريش بعد اليوم:

لقد أشاع المشركون بعد حرب أحد: أن المسلمين قد هزموا، وتكبدوا خسائر فادحة، رغم أن نهايات حرب أحد كانت كبدائياتها قد أرعبت جيش الشرك، وهزمت روحياً وعسكرياً. وإن كانت قد حصلت نكسة في أواسط المعركة، تكبد المسلمون بسببها خسارة كبيرة.

ولكنهم بفضل جهاد علي عليه السلام، ثم عودة الخُص من المسلمين للقتال قد استعادوا زمام المبادرة، وانتهت الحرب بهزيمة المشركين وكسر عنفوانهم، وتكبدوا هم أيضاً خسائر كبيرة على مستوى القيادات وغيرها.

ولكن الخسارة التي مني بها المسلمون كانت أكبر - كما قلنا - فكان أن أشاع المشركون أنهم قد انتصروا في حرب أحد، كمحاولة دعائية فارغة لرد الاعتبار.

ثم حزبوا الأحزاب، وجمعوا الجموع، واتفقوا مع يهود بني قريظة، فانتعشت آمالهم من جديد. وبدا واضحاً لهم: أن أمر المسلمين قد انتهى. وأصبحت المسألة مسألة وقت لا أكثر ولا أقل.

وقد كانت المشاركة الشاملة للقبائل الفاعلة في المنطقة تطمئن زعماء قريش، الذين حشدوا كل ما لديهم من قوى بشرية ومادية لحسم هذا الأمر، والتخلص من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم.

ولكن وجود الخندق، وحسن إدارة الرسول لأمر الحرب معهم، قد هياً للمسلمين فرصة للمطالبة في أمر الحرب، حتى ملّ الأحزاب طول الحصار، وأصبحوا يواجهون مشكلات على مستوى التموين وغيره. ثم ظهرت خلافات زعزعت الثقة فيما بين الفرقاء المؤتلفين،

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٥٣

حيث فسد الأمر بينهم وبين بني قريظة وكان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم السبب في ظهورها، حسبما أوضحناه.

ثم كان قتل علي عليه السلام لعمر، فارس الأحزاب وكبش كتيبتهم، ولمن معه، وفرار الباقيين، هو الضربة القاصمة لهم؛ والمرعبة لقلوبهم.

وجاءت الريح لتثير في نفوسهم المزيد من الخوف والرعبة، والاحساس بالرحشة والوحدة. حيث يجد كل منهم نفسه مسؤولاً عن حفظ نفسه في مواجهة طغيان هذه الريح. ولا أحد يستطيع مساعدته والدفع عنه.

فآثروا الفرار على القرار، خوفاً من أن يبطش بهم سيف الإسلام من جديد؛ دون أن يتمكنوا من لم شعثهم، وتسوية صفوفهم. بل وحتى دون أن يتمكنوا من رؤية ما حولهم، لأنهم أصبحوا في ظلمة شديدة، وحالة مزرية إلى أبعد الحدود.

فكانت الهزيمة، وكان الخزي والعار لهم، دون أن يتمكنوا من تحقيق أي شيء سوى أنهم قتلوا أفراداً قليلين، قد لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة وقد خسروا في المقابل ما يعادل نفس هذا العدد، إلا أن من بينهم فارس قريش والعرب عمرو بن عبد ود العامري لعنه الله.

فإذا كان هذا أكبر حشد يمكن لقوى الشرك والكفر في المنطقة كلها أن تقوم به، وقد طار صيت هذا الحشد في مختلف البلاد، وشدت إليه الأنظار، وانتظر الناس أخباره في الليل والنهار، وتوقعت القبائل نتائجه في مختلف أرجاء الجزيرة العربية بفارغ الصبر لا سيما وأن الهدف الذي أعلنوه لهذه الحرب، هو استئصال محمد ومن معه،

٤٥٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
حسبما تقدم^(١).

فإن النتائج التي قدمها هذا الحشد كله، قد جاءت بمثابة زلزال
هز المنطقة من الأعماق. وبث روح الفشل والوهن في كل قلب،
وزرع الخوف والرعب في كل بيت.

وحدثت الهزيمة الساحقة والمحققة لكل عنفوان الشرك،
وجبروت الكفر حيث فهم الجميع أن أقصى ما يمكن لهم أن يفعلوه
ضد الإسلام ونبي الإسلام قد فعلته قريش والأحزاب ولم ينته إلى
نتيجة.

وكانت النتيجة كذلك هي أن قريشاً قد فقدت الكثير من نفوذها
ومكانتها، ولم تعد الكثير من القبائل تجد نفسها ملزمة بالخط أو
الموقف الذي تريد قريش الزامها به.

ولم يعد بالامكان اقناع الكثير من القبائل بالمخاطرة بمستقبلها،
والدخول في حرب جديدة مع الإسلام ومع المسلمين.

أضف إلى ذلك: أنه لم يعد بالامكان تحصيل درجة كافية من
الوثوق بالآخرين، الذين لا بد من ضمان مشاركتهم الفاعلة حتى
النهاية. بعدما أثبتت التجربة مع بني قريظة، بل وفيما بين فئات
المشركين أنفسهم أن الرهان على ذلك رهان فاشل، بل هو رهان على
يباب وسراب.

وهكذا، فإن القبائل التي باتت على يقين من عجزها عن مواجهة

(١) راجع: امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ وخاتم النبیین ج ٢ ص ٩٤٢ والمغازي
للواقدي ج ٢ وبقية المصادر، وهي كثيرة جداً - تجدها في فصل: الأحزاب
إلى المدينة. وفي فصل: غدر بني قريظة.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٥٥

الإسلام تسير باتجاه ترميم علاقاتها، وتحسينها مع التيار الإسلامي الجديد، الذي لا يزال يتنامى ويتعظم في المنطقة بصورة مطردة.

وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: الآن نغزوهم ولا يغزوننا أو ما هو قريب من هذا.

وأصبح زمام المبادرة والمبادأة العسكرية على الخصوص بيد المسلمين. منذ هزيمة الأحزاب واليهود في حرب الخندق.

وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

غلط حسابات المعتزلي:

وقد ادعى المعتزلي: أن النبي «انتصر يوم بدر، وانتصر المشركون عليه يوم أحد وكان يوم الخندق كفافاً، خرج هو وهم سواء، لا عليه ولا له؛ لأنهم قتلوا رئيس الأوس، وهو سعد بن معاذ. وقتل منهم فارس قريش، وهو عمرو بن عبد ود. وانصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعة التي كانت»^(١).

وقد اشتبه الأمر على المعتزلي في موضعين.

أحدهما: قوله: إن المشركين انتصروا على النبي (ص) يوم أحد. وقد بينا في غزوة أحد: أن النصر فيها كان للمسلمين، وأن المشركين قد فروا من ساحة الحرب، خوفاً من أن يدال المسلمون منهم بصورة أشد وأعنف. نعم قد حصلت نكسة للمسلمين في وسط المعركة، ثم تجاوزوها بفضل جهاد علي. وقتله العديد من قادة

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ٢٢٠.

٤٥٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

كتائب المشركين، فراجع.

الثاني: دعواه: أنه يوم الأحزاب لم يكن النصر لأحد، مع أن النصر فيها كان للمسلمين، وذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان. وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم من نصوص وبحوث.

إلا أن يكون محط نظر المعتزلي هو عدد القتلى الذين سقطوا من الفريقين في هذه المعارك. ولكن من الواضح: أن تعبيره بالنصر والهزيمة - والحالة هذه - يصبح بلا مبرر.

الشهداء، والقتلى:

١ - الشهداء من المسلمين:

قال مالك: لم يستشهد يوم الخندق إلا أربعة، أو خمسة^(١).
وقال أبو زهرة: خمسة^(٢).

وقيل: كان الشهداء ستة، منهم سعد بن معاذ. وزاد الكازروني: أنهم من الأنصار^(٣).

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ عن الوفاء

والجامع للقيرواني ص ٢٨١.

(٢) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.

(٣) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٣ وراجع:

البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٢٠ ومختصر التاريخ ص ٤٣ والوفاء ص ٦٩٤

وامتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١، ومناقب آل أبي طالب ج ١

ص ١٩٨ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧٢ وحبيب السير ج ١

ص ٣٦٤ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠

و ٥٥١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٥٧

وقال البعض: استشهد سعد في سبعة من الأنصار^(١).

وقال البعض: قتل من المسلمين ثمانية، مضيفاً الرجلين اللذين قيل: إنهما كانا طليعة للمسلمين فقتل^(٢) وقد تقدم عدم صحة ذلك.

٢ - القتل من المشركين:

وقتل من المشركين ثمانية^(٣) وقيل ثلاثة^(٤). وقيل: أربعة جميعهم من قريش^(٥).

وقد سمت بعض المصادر الشهداء والقتلى.

أما الشهداء، فهم: ثلاثة من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ. رمي بسهم وأنس بن أوس، قتله خالد بن الوليد. وعبدالله بن سعد. رماه رجل من بني عوف فقتله. واثنان من بني جشم، هم: الطفيل بن النعمان. قتله وحشي. وثعلبة بن عنمة. قتله هيرة بن أبي وهب.

والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥ و ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٢ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٨ و ١٧٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣.

- (١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢.
- (٢) الرسول العربي، وفن الحرب.
- (٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠.
- (٤) راجع المصادر التي تقدمت للقول بأن شهداء المسلمين ستة.
- (٥) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ والرسول العربي وفن الحرب ص ٢٥٤ وروح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥.

٤٥٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

وواحد من بني النجار (أو دينار) هو كعب بن زيد. أصابه سهم غرب فقتله. وقيل: قتله ضرار بن الخطاب.

والثلاثة الذين من المشركين هم: منبه بن عثمان (أو عثمان بن أمية بن منبه) أصابه سهم فمات منه بمكة. ونوفل بن عبدالله. وعمرو بن عبد ود^(١). وعبيد بن السباق^(٢) فليتأمل في هذا الأخير وليراجع كلام ابن اسحاق.

وتقدم أن حصل بن عمرو بن عبد ود قد قتل هو الآخر مع أبيه. فراجع الفصل السابق.

وقال ابن شهر آشوب: أن علياً عليه السلام قتل يوم الأحزاب: عمرو بن عبد ود وولده، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة، ومنبه بن عثمان العبدري، وهيرة بن أبي هيرة المخزومي^(٣).

وزاد الدمياطي في الشهداء من المسلمين: قيس بن زيد بن عامر، وعبدالله بن أبي خالد، وأبا سنان بن صيفي بن صخر. ذكر

(١) راجع: امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ و ٥٥١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥ و ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٨ و ١٧٩ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٦ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤ وروح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥.

(٢) البحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٨٣.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٥٩

الحافظ في الكنى: أنه شهد بدرًا، واستشهد في الخندق^(١).

العودة إلى المدينة:

قالوا: «وأصبح رسول الله (ص) بالخندق، وليس بحضرته أحد من عساكر المشركين. قد هربوا وانقشعوا إلى بلادهم. فأذن للمسلمين في الإنصراف إلى منازلهم. فخرجوا مبادرين مسرورين بذلك. فكره رسول الله (ص) أن تعلم بنو قريظة حب رجعتهم إلى منازلهم. فأمر بردهم؛ فبعث من ينادي في أثرهم، فما رجع منهم رجل واحد»^(٢).

زاد في نص آخر قوله: «من القَرّ والجوع. قالوا: وكره رسول الله (ص) سرعتهم، وكره أن يكون لقريش عيون.

قال جابر: فرجعت إلى رسول الله (ص) فلقيته في بني حرام منصرفاً، فأخبرته؛ فضحك (ص)»^(٣).

ويقول القمي عن الأحزاب: «ففروا منهزمين. فلما أصبح رسول الله (ص) قال لأصحابه: لا تبرحوا. فلما طلعت الشمس دخلوا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧ و ٦٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ والمغازي ج ٢ ص ٤٩١. وفي امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ اكتفى بالقول: «وأصبح (ص)، فأذن للمسلمين بالانصراف؛ فلحقوا بمنازلهم».

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ عن الطبراني، والواقدي. والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٢.

٤٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

المدينة، وبقي رسول الله (ص) في نفر يسير^(١).

ويقول الراوندي: «إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «صلى بالناس الفجر، ونادى مناديه: لا يبرحن أحد مكانه إلى أن تطلع الشمس.

فما أصبح إلا وقد تفرق عنه الجماعة إلا نفرأ يسيراً.

فلما طلعت الشمس انصرف رسول الله (ص)، ومن كان معه، فلما دخل منزله إلخ»^(٢).

وكان انصرافه (ص) من غزوة الخندق لسبع ليال بقين من ذي القعدة^(٣).

وكان المنافقون بناحية المدينة يتحدثون بنبي الله (ص) وأصحابه، ويقولون: ما هلكوا بعد؟!.

ولم يعلموا بذهاب الأحزاب. وسرهم أن جاءهم الأحزاب، وهم بادون في الأعراب^(٤).

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣١.

(٢) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ عنه.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٦ وراجع: نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١١.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠.

الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق ٤٦١

عثمان وبنت النبي في الخندق:

وقد روى قطب الدين الراوندي قصة المغيرة بن أبي العاص في غزوة الخندق وملخص ما هو محط نظرنا منها:

أن المغيرة بن أبي العاص ادعى: أنه رمى رسول الله (ص) فكسر رباعيته، وشق شفتيه وكذب، وادعى أنه قتل حمزة وكذب.

فلما كان يوم الخندق ضرب الله على أذنيه، فنام ولم يستيقظ حتى أصبح، فخشي أن يجيء الطلب فيأخذوه، فتنكر، وجاء إلى منزل عثمان، وتسمى باسم رجل من بني سليم كان يجلب إلى عثمان الخيل والغنم والسمن.

فأدخله عثمان منزله، فلما علمت امرأة عثمان ما صنع بأبيها وعمها صاحت، فأسكتها عثمان. ثم خرج إلى رسول الله، فطلب منه الأمان للمغيرة ثلاث مرات، والنبي يحول وجهه عنه حتى آمنه في الثالثة. وأجله ثلاثاً، ولعن من أعطاه راحلة، أو رحلاً، أو قتباً، أو سقاءً، أو قربة، أو إداوة، أو خفاً، أو نعلاً، أو زاداً أو ماءً. فأعطاه عثمان هذه الأشياء. ولم يوفق للخروج من محيط المدينة فأعلم جرائيل النبي بمكانه، فأرسل زيد بن حارثة والزبير، فقتله زيد لأن النبي كان قد آخى بين زيد وحمزة.

فرجع عثمان إلى امرأته، واتهمها بأنها كانت قد أخبرت أباهما بمكان عمه، فحلفت له بالله ما فعلت، فضربها بخشبة القتب ضرباً مبرحاً - كان سبب وفاتها في اليوم الثاني، وقد منع النبي (ص) عثمان

٤٦٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

- الذي كان قد أَلَمَّ بجاريته ليلة وفاتها - من حضور جنازتها^(١).

ولكن قد تقدم بعد غزوة حمراء الأسد: أن هذه القضية قد حصلت بعد واقعة أحد. وربما تكون رواية الراوندي أقرب والله هو العالم.

(١) الخرائج والجرائع ج ١ ص ٩٤ - ٩٦ والبحار ج ٢٢ ص ١٥٨. وقال في هامش الخرائج: ورواه: بنحو آخر في الكافي ج ٣ ص ٢٥١ والتهذيب ج ٣ ص ٣٣٣ وأخرجه في الوسائل ج ٢ ص ٨١٨.

الفهارس ٤٦٣

فهارس الكتاب

- ١ - الدليل الإجمالي للكتاب.
- ٢ - الدليل التفصيلي للكتاب.

الفهارس ٤٦٥

الدليل الإجمالي للكتاب

القسم الرابع: من الخندق إلى فتح مكة	٥
الباب الأول: غزوة الخندق	٧
الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة	١٩
الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع	٧١
الفصل الثالث: حفر الخندق، أحداث ودلالات	٩٩
الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الإلهية	١٣٣
الفصل الخامس: جيش المسلمين وجيش المشركين في المواجهة ..	١٦٣
الفصل السادس: غدر بني قريظة	١٩١
الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ..	١٢١
الفصل الثامن: الحصار والقتال	٢٦٣
الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين	٣٢٣
الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق	٤٠٣
كلمة أخيرة	٤٦٣
فهارس الكتاب:	٤٦٥
١ - الدليل الإجمالي	٤٦٧
٢ - الدليل التفصيلي للكتاب	٤٦٩

الدليل التفصيلي للكتاب

٥	القسم الرابع: من الخندق إلى فتح مكة
٧	الباب الأول: غزوة الخندق
٩	آيات حول غزوة الخندق
١٣	موجز عن غزوة الخندق
١٩	الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة
٢١	تمهيد وبيان
٢٤	تحزيب الأحزاب في روايات المؤرخين
٢٩	تجمع القوى
٣٠	الأحزاب إلى المدينة
٣٢	مناقشات وإيضاحات
٣٢	تاريخ غزوة الخندق
٤١	غزوة الخندق في زمن الحصاد
٤٢	هل أخطأ التقويم التطبيقي؟
٤٣	مشاركة الحارث بن عوف في الخندق
٤٤	أبو رافع قتل بعد أحد
٤٥	هل كان أبو الأعور في الخندق؟
٤٧	توثيق أبي الأعور
٥٠	آية سورة النساء متى وفي من نزلت؟

٤٦٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
٥٢ توضيح وتصحيح
٥٣ تحريض اليهود
٥٤ الداء الدوي
٥٦ أهداف الحرب
٥٧ الأحقاد هي المحرك
٥٩ يريدون ليطفئوا نور الله سبحانه
٦٠ الإيمان والمواثيق لا تجدي
٦٣ تمر خبير
٦٤ تأثير المال في تحزيب الأحزاب
٦٥ الإرهاب الفكري والخداع للسذج
٦٦ الحارث بن عوف ينصح قومه
٦٧ عقدة بدر الموعد
٦٧ عيينة بن حصن
٧٠ شك المشركين
٧١ الفصل الثاني: الخندق في خطة الحرب والدفاع
٧٣ المفاجأة
٧٦ المشورة والتخطيط
٧٨ من أخبر النبي (ص) بمسير الأحزاب
٧٨ من المشير بحفر الخندق
٨١ وعي سلمان
٨١ لو كان الخندق بإشارة سلمان
٨٤ طريقة استشارته (ص) أصحابه
٨٥ الخندق في ايجابياته الظاهرة
٨٧ بين الأصالة والتجديد
٨٨ أين كان الخندق، وما هي مواصفاته؟
٨٨ ١ - موضع الخندق
٩٠ ٢ - جعل الأبواب للخندق

٤٦٩	الفهارس
٩١	خصوصيات ومواصفات أخرى
٩١	الموقع الجغرافي للخندق
٩٤	تشبيك المدينة بالبنيان
٩٥	مدة حفر الخندق
٩٧	زامم المبادرة بيد من؟
٩٩	الفصل الثالث: حفر الخندق أحداث ودلالات
١٠١	شدائد ومتاعب
١٠٢	حفر الخندق في روايات المؤرخين
١٠٣	المساحي والمكاتل
١٠٣	تقسيم العمل في الخندق
١٠٥	النبي (ص) يشارك في حفر الخندق
١٠٨	علي (ع) وشيعته أعظم الناس عناء
١٠٨	وثمة تفاصيل أخرى
١١٠	عمل المنافقين في الخندق
١١٢	١ - توزيع المهام على العاملين
١١٤	٢ - النبي والشعر
١١٦	٣ - دور عضل والقارة
١٦٦	٤ - الأمثلة المواساة
١١٧	٥ - المتحذلقون الأغبياء
١١٨	٧ - الحماس والمثابرة
١١٨	٨ - الأسوة الحسنة
١٢٠	منع حسان وكعب بن مالك من الشعر
١٢٢	الكلمة المسؤولة والقرار الحاسم
١٢٤	زيد بن ثابت
١٢٥	سلمان من أهل البيت
١٢٨	الصحيح في القضية
١٢٩	تقتلك الفئة الباغية

٤٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

١٣٣ الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الإلهية
١٣٥ مما سبق
١٣٥ الكرامات والمعجزات في الخندق
١٣٧ نبوءة صادقة للنبي (ص)
١٣٧ كرامة أخرى لرسول الله (ص)
١٣٩ قصور الروم وفارس
١٤٣ نص آخر يخالف ما سبق
١٤٥ القيادة الحازمة، والانضباط أساس النجاح
١٤٦ مدائن كسرى وقصور الروم وصنعاء
١٤٨ الأمل بالنصر
١٤٨ كرم وكرامة
١٥١ قضية أخرى فيها كرامة لرسول
١٥٢ كرامة أخرى للنبي (ص)
١٥٢ يطعم الجيش كله حفنة من تمر
١٥٣ كرامة أخرى لرسول الله (ص)
١٥٣ بين نظرتين
١٥٥ التزوير الرخيص
١٥٦ الجهد والضعف والجوع
١٥٧ الأولى: النبي (ص) وصوم الوصال
١٥٨ الثانية: العزم والثبات
١٥٩ الثالثة: الخصاصة والجوع
 الفصل الخامس: جيش المسلمين، وجيش المشركين في
١٦٣ المواجهة
١٦٥ الاعداد والاستعداد
١٦٧ مقر القيادة
١٦٨ عرض النبي (ص) الخارجين إلى الحرب
١٦٩ النساء والأطفال في الآطام

٤٧١	الفهارس
١٦٩	الحرس على أبواب الخندق
١٧٠	تركيبة الحرس مثار تساؤل
١٧١	الذراري والنساء في الآطام
١٧٣	عقد الألوية للحرب
١٧٥	شعار الحرب
١٧٨	عدة وعدد المسلمين
١٨٢	عدد المشركين
١٨٤	عدة جيش الشرك
١٨٥	معنويات جيش الشرك
١٨٧	جيش أهل الإيمان
١٨٨	الغطرسه القرشية
١٨٩	رسالة تهديد من أبي سفيان
١٩١	الفصل السادس: غدر بني قريظة
١٩٣	بنو قريظة ينقضون العهد
١٩٧	لا بد من التثبت
٢٠١	النزعة العنصرية لدى اليهود
٢٠١	وفاء اليهود
٢٠٢	طريقة حيي للتأثير على كعب بن أسد
٢٠٢	دوافع نقض العهد
٢٠٣	جهام بلا ماء
٢٠٤	الشعور بالذنب والخيانة
٢٠٤	عدة مبعوثين لمهمة واحدة
٢٠٥	طريقة الرمز في نقل المعلومات الحساسة
٢٠٦	البشائر النبوية بالنصر
٢٠٦	حدة سعد بن عباد
٢٠٧	أسيد بن حضير
٢٠٧	فضيلة مكذوبة للزبير

٤٧٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩
٢١٦ من الذي شاتم بني قريظة
٢١٦ عمر عرف بأمر بني قريظة
٢١٧ أحلاف عبادة بن الصامت
٢١٨ عريش جديد لأبي بكر
	الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام
٢٢١ الحصار
٢٢٣ الحالة المعنوية لجيش الأحزاب
٢٢٤ المسلمون في مواجهة الأحزاب
٢٢٤ الحالة العامة
٢٢٥ يقين أهل الإيمان
٢٢٦ حالة المنافقين
٢٢٧ النصوص التاريخية
٢٣٠ مواقف المنافقين
٢٣٣ من الذي قال: بيوتنا عورة؟
٢٣٥ من بقي مع النبي (ص) في المواجهة؟
٢٣٦ الحارث بن عوف
٢٣٦ رهبة الليل
٢٣٦ خوف الرسول
٢٢٧ اتهام أحد البدويين بالنفاق
٢٢٨ هيكل يخطيء في تصوراتهِ وتصويراته
٢٤٢ العقد المزعوم مع عيينة بن حصن
٢٤٦ نقاط ضعف في هذا الاتفاق
٢٤٦ ١ - التناقض والاختلاف
٢٤٧ ٢ - الحارث بن عوف
٢٤٧ ٣ - سعد بن الربيع
٢٤٧ ٤ - استشارة السعود واعطاء الدينة
٢٤٨ ٥ - المرواضة وكتابة كتاب الصلح

٤٧٣	الفهارس
٢٤٩	٦ - العجز والفشل
٢٤٩	٧ - رأي النبي (ص) ورأي غيره
٢٤٩	٨ - اتهام النبي (ص)
٢٤٩	٩ - فصلب رسول الله (ص)
٢٥٠	١٠ - الاحتفاظ بسرية هذا العقد
٢٥١	١١ - أدب عينة وغيره ابن حضير
٢٥١	١٢ - فأسكت رسول الله (ص)
٢٥٢	المساس بشرف الإسلام
٢٥٣	استفادات وتوجيهات
٢٥٦	مناقشة سريعة
٢٥٩	المشورة وقيمة رأي النبي (ص)
٢٦٠	الصحيح والمقبول في القضية
٢٦٣	الفصل الثامن: الحصار والقتال
٢٦٥	بداية الحديث
٢٦٥	مدة الحصار
٢٦٨	الحراسة
٢٧٣	وقفات مع ما تقدم
٢٧٧	فضائل موهومة لسعد ولعائشة
٢٨٠	نساء النبي (ص) في غزوة الخندق
٢٨١	المواجهة بين الفريقين
٢٨١	القتال بين المسلمين والمشركين
٢٨٥	ملاحظة
٢٨٥	كلام العلامة الحسنی
٢٨٥	روايات مشبوهة
٢٨٨	دعوى قتل طليعة للنبي (ص)
٢٨٩	حديث أم سلمة
٢٩١	حديث آخر ينسب لأم سلمة

٤٧٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٩
٢٩٣ إصابة سعد بن معاذ بسهم
٢٩٥ حديث عائشة حول سعد
٢٩٧ الاختلاف في من قتل سعد بن معاذ
٢٩٧ سعد في خيمة رفيدة
٢٩٨ إصابة أبي بن كعب في اكحله
٢٩٨ هل فرّ عمر وطلحة في غزوة الخندق؟
٣٠١ من بطولات سعد
٣٠٢ بطولات وهمية للزبير
٣٠٣ قدامة بن مظعون في حرب الخندق
٣٠٥ القتال بين المسلمين وبين بني قريظة
٣٠٥ ألف: التفكير بماغته المدينة
٣٠٧ ب: قصة خوات بن جبير واليهودي
٣٠٨ ج: تحركات وتحركات
٣٠٩ د: قتل مغامر
٣١٠ صفية وحسان بن ثابت واليهود
٣١٢ ألف: جبن حسان
٣١٥ ب: قصة حسان في الخندق. أم في أحد؟
٣١٥ ج: تأثير هذه القضية على اليهود
٣١٧ د: ربط السيف على الذراع وتناقض الرواية
٣١٧ غنيمة المسلمين من المشركين
٣١٨ الجن الذين في المدينة
٣١٩ اشتباك مع الأخوة
٣٢٠ لعن الله الراكب، والقائد والسائق
٣٢٠ آية قرآنية في خوات بن جبير
٣٢٣ الفصل التاسع: ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين
٣٢٥ عبور الخندق
٣٢٦ وصفهم لعمر

٤٧٥	الفهارس
٣٢٩	المواجهة بين عمرو والمسلمين
٣٢٩	رواية مشكوكه
٣٣٠	أخذ الشجرة على عمرو وأصحابه
٣٣١	طلب البراز، وخروج علي لعمرو
٣٣٤	برز الإسلام كله إلى الشرك كله
٣٣٨	الخصال الثلاث وقتل عمرو
٣٤٣	نص الحسكاني
٣٤٤	نصوص أخرى
٣٤٨	يقول أهلك ما لبدأ
٣٤٨	لماذا طلب عمرو من علي (ع) أن يرجع؟
٣٤٩	علي (ع) غلام حدث، وشيخا قریش
٣٥٠	جرح علي (ع)
٣٥٠	الكبرياء والخطرة
٣٥١	إنه عمرو
٣٥٣	الخصال الثلاث
٣٥٤	قطع رجل عمرو
٣٥٥	علي (ع) ودرع عمرو
٣٥٧	قتلته في الله
٣٥٨	الوسام الإلهي
٣٦٠	تحملات وتعصبات ابن تيمية
٣٦٢	شهادة حذيفة
٣٦٣	شهادات ومواقف أخرى
٣٦٥	لا نأكل ثمن الموتى
٣٦٦	فرح الملائكة بقتل عمرو
٣٦٧	قتل عمرو وهزم بني قريظة والأحزاب
٣٦٨	الخوارج وحديث قتل عمرو
٣٦٩	متى قتل عمرو

٤٧٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)/ج ٩

٣٦٩	قتل حسل بن عمرو بن عبد ود
٣٧٠	قتل نوفل بن عبد الله
٣٧٤	إنما هي جيفة حمار
٣٧٥	الزبير وهبيرة بن وهب
٣٧٨	واحدي يا رسول الله
٣٧٩	عمر وضرار بن الخطاب
٣٨١	عمر ليس أخا ضرار
٣٨١	الآن نغزوهم ولا يغزوننا
٣٨٢	الأشعار في غزوة الخندق
٣٨٩	المكر المفضوح
٣٩٠	تعصب يثير الغثيان
٣٩١	من تشكيكات الجاحظ وتعصباته
٣٩٣	المعركة التي لا حقيقة لها
٣٩٨	استفادت غير موفقة
٤٠٠	الصحيح في القضية
٤٠٠	السر والسبب
٤٠٣	الفصل العاشر: كيف انتهت حرب الخندق
٤٠٥	ما فعله نعيم بن مسعود
٤١٨	اللمحات الأخيرة
٤١٩	التبرير بلا مبرر
٤٢٠	الشائعات والحرب النفسية
٤٢٠	الدعاء والابتهاال
٤٢٤	الريح والملائكة
٤٢٨	مهمة حذيفة بن اليمان
٤٣٢	نص آخر لقضية حذيفة
٤٣٩	حقيقة القضية
٤٤٠	رسالة أبي سفيان للنبي (ص) قبل الرحيل

٤٧٧	الفهارس
٤٤١	الرحيل الذليل
٤٤٣	وكفى الله المؤمنين القتال بعلي (ع)
٤٤٨	الشجع الأمة
٤٤٩	مفارقة في الموقف
٤٥٠	الآن نغزوهم ولا يغزونا
٤٥١	متى قال النبي (ص) كلمته
٤٥٢	لماذا لن تغزوهم قريش بعد اليوم
٤٥٥	غلط حسابات المعتزلي
٤٥٦	الشهداء والقتلى
٤٥٦	١ - الشهداء من المسلمين
٤٥٧	٢ - القتلى من المشركين
٤٥٩	العودة إلى المدينة
٤٦١	عثمان وبنو النبي (ص) في الخندق
٤٦٣	كلمة أخيرة
٤٦٥	فهارس الكتاب
٤٦٧	١ - الدليل الإجمالي للكتاب
٤٦٩	٢ - الدليل التفصيلي للكتاب

